الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة مولود معمري - تيزي وزو-

كلية الأداب واللغات

قسم الأدب العربي

التّخصص: اللّغـة والأدب العـ ـربي

الفـ ـرع: النحو العربي

مذكّرة لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب: رحمون حكيم

الموضوع:

مستويات استعمال اللغة العربية

-بـ الواقع والبديل-

لجنـ ـ ـ ـة المناقشـ ـة:

أ.صلاح يوسف عبد القادر......أستاذ التعليم العالي..........جامعة مولود معمري تيزي وزو..رئيسا

أ. صالح بلعيد..................أستاذ التعليم العالي...........جامعة تيزي وزو........مشرفا ومقررا

أ.بروان محمد الصادق.........أستاذ محاضر صنف (ب)....جامعة تيزي وزو ....ممتحنا

أ.حورية بن سالم...............أستاذة محاضرة صنف (أ)....جامعة تيزي وزو.............ممتحنا

تاريخ المناقشة: 2011/07/04


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر ا زيل إ أستاذي الدكتور "صا بلعيد" الذي يدخر جهدا تقد النصائح القيمة ال أفادت أيما إفادة هذا البحث ا تواضع، ولا أنسى تقد نفس الشكر والتقدير إ أساتذ السنة التحض ية: "الأستاذ صلاح عبد القادر، الأستاذ طاهر ميلة، الأستاذ عبيد عبد الرزاق والأستاذ عبد ا يد سا ي" كما أشكر يع الأصدقاء والزملاء الذي أعانو بطريقة أو بأخرى، ولا يفوت تقد نفس الشكر إ عمال قسم اللغة والأدب العر امعة تيزي وزو وأخص بالذكر عمال ا كتبة وإليهم يعا أهدي هذا العمل ا تواضع.

الإهـــــداء

أهدي هذا العمل إ :

- الوالدين الكر .
- إخو وأخوا .
- كل أفراد العائلة.
- فرقة البحث (**ثربعث أقطيج**) على رأسها "الشيخ".

مقدمة: إن اللّغة ظاهرة اجتماعية تتفاعل مع المجتمع، تؤثّر فيه ويؤثر فيها، ولا يمكن أن نتصور لغة بدون مجتمع، كما لا يمكن أن نتصور مجتمعا بدون لغة، واللّغة شأنها شأن الظواهر الاجتماعية الأخرى، كالعادات والتقاليد والأعراف وأنماط السلوك، ومعنى ذلك أن التطور والتغير سمة لازمة للغة، فكما تتغير أنماط السلوك بتقدم الزمن وانتقاله من فترة إلى أخرى، فكذلك تتغير اللّغة ويصيبها ما يسمى بالتطور، فكلّما اتّسعت حضارة الأمة، وكثرت حاجاتها ومرافق حياتها، وارتقى تفكيرها، نهضت لغتها، وسمت أساليبها، وتعددت فيها فنون القول، وتغيرت معاني بعض مفرداتها القديمة، وظهرت فيها مفردات أخرى جديدة عن طريق الوضع، والاشتقاق، والاقتباس...إلخ، للتعبير عن المسميات والأفكار الجديـدة.

وإن اللغة ليست مجرد ضوضاء أو أصوات تلقى في الهواء، وإنّما هي في حقيقة الأمر وجوهره تجسيد حي لكلّ معارف الإنسان وخبراته، ودليل شخصيته وهويته، وهي بمثابة الكاشف عن مكنون النفس والعقل، فالكلام الذي يؤديه اللسان لا يصدر من فراغ، وإنّما يستمد مادته ومكوناته من مخزون عقله ونفسه، أي من محصوله المعرفي والثقافي، وقد قالوا في الانجليزية "لسانك أنت Your) .Tougue is you)

تواجه اللّغة العربية تحديا كبيرا في عصرنا الراهن، عصر تقدم العلم والتكنولوجيا، كما هو عصر الإعلام، ولذلك تعددت وسائل الإعلام، من صحافة، وإذاعة، وتلفاز، ومسرح، وسينما، وهي الوسائل المؤثّرة في الجماهير واللغة معا، إلى جانب جملة من العناصر الأخرى، واللغة أداة هذا الإعلام وسبيله إلى الوصول إلى الجماهير والتأثير فيهم سلبا أو إيجابا، وفي الواقع نجد أن اللّغة العربية في عصرنا هذا مضطربة اضطراب أهلها فكريا، وثقافيا، واجتماعيا واقتصاديا، وسياسيا، لأن اللّغة مرآة عاكسة لكلّ مناحي النشاط الإنساني في مجتمعها، فهي تواجه مزاحمة مزدوجة من العاميات من جهة، ومن اللغات الأجنبية من جهة أخرى، فتكونت فيها عدة مستويات لغوية متداخلة ومتشابكة يصعب التمييز بينهما، ويرجع السبب في ذلك إلى اختلاف طبقات المجتمع، وبسبب تفاوت المستوى الثقافي ومناحي التفكير، إذ نجد فرقا بين لغة التخاطب اليومي مثلا ولغة الكتابة، وما يستخدمه المثقفون من أساليب لغوية تتميز عن أساليب الخطاب المستعمل في البيت والسوق، فالمستوى اللّغوي الواحد في حركة دائمة ومستمرة، إما أن يتّجه نحو الأعلى، وذلك من شأنه أن يحافظ على سلامة اللغة العربية

الفصحى، وهو المستوى الفصيح، أو يتّجه نحو الأسفل، وهو مستوى الهجين أو السوقي، وغالبا ما يكون ذلك على حساب صفاء اللغة العربية وفصاحتها.

وآية السلامة في اللّغة- كما يقول الباحثون- هي ألايكون هناك اختلاف كبير بين لغة الخاصة ولغة العامة، وكلّما اقتربت لغة الخاصة من لغة العامة كان هذا علامة على سلامة اللّغة، وكلّما تباعدت اللغتان، وانفرجت مسافة الخلاف بينهما، كان ذلك دليلا على سقم اللغة، فهي في حاجة إلى علاج، والعلاج لا يكون إلاّ بتقليص الفجوة بين اللغتين، إما بارتفاع لغة العامة إلى لغة خاصة، أو بنزول لغة الخاصة إلى لغة العامة، أو بالأمرين معا، وذلك المعنى نجده في قول (كمال بشر) في كتابه (اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم) بأن الفرق بين المجتمع المتكامل السليم، والمجتمع المتنافر المريض، هو في تقارب المستويات اللغوية في الأول، وتباعدها في الأخير، فتقارب مستويات التعبير اللغوي دليل على تجانس المجتمع، وتوازن طبقاته، وحيوية ثقافته، وتباعدها دليل على الانفصام الفكري في المجتمع، وهذا يؤدي إلى التدهور والانحطاط، بحيث لا تخلو لغة من اللغات في العالم من هذه المستويات، فلغة الكتابة تختلف في كثير أو قليل عن لغة التخاطب، فالمتكلّم يميل إلى ما هو يسير ويحب الاختصار في الجهد، وما نلاحظه أن بين المستويات اللّغوية في اللغة العربية اختلافا واضحا إذ تختلف لغة الكتابة كثيرا عن لغة الكلام، رغم أن الألفاظ المستعملة في لغة الكلام هي من أصل فصيح، إلاّ أنّها قد أصابها تحريف سواء في بنيتها الصرفية أو الصوتية.

اخترت البحث في هذا الموضوع، وهو مستويات استعمال اللغة العربية (بين الواقع والبديل) لكونه موضوع الساعة، حيث أسالت قضية الفصحى والعامية الكثير من الحبر في الآونة الأخيرة واختلفت الاقتراحات فيما يخص اللغة الأنسب للتواصل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حضرت الملتقى الذي احتضنته الجزائر ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، تحت عنوان (الفصحى وعامياتها) وذلك في الرابع والخامس يونيو 2007، إذ شدت انتباهي مداخلات الأساتذة والباحثين من مختلف الأقطار العربية، الذين تطرقوا للموضوع من كلّ جوانبه، مما ولد لدي رغبة في البحث في هذا الموضوع، الذي أميل فيه إلى تقريب الفصحى وتهذيب العامية، وبصفة عامة التقريب بين المستويات اللغوية، والبحث في سبل النهوض باللغة العربية.

والغرض من البحث هو النظر فيما نستعمله من مستويات لغوية في هذا العصر، وإلقاء نظرة فاحصة لهذه المستويات، ثم بلورتها، وتوضيح اتجاهها، ورصد حركتها، وذلك يؤهلنا لنتنبأ بمستقبل اللغة العربية.

وإذا اطّلعنا على تاريخ اللغة العربية، نجد أن هذا المسار التاريخي يثير جملة من الإشكاليات هل كانت اللغة العربية الفصحى لغة التخاطب؟ أم كانت لغة الشعر والأدب فقط؟ ماذا نعرف عنها قبل ظهور الإسلام؟ هل كانت للّغة العربية مستويات تعبيرية في مراحلها الأولى؟ أم كانت على مستوى واحد من الفصاحة وإن كانت لها مستويات، ففيم تتمثّل؟ وفي العصر الحاضر ما هو واقع اللغة العربية في سوق اللغات؟ ما موقع اللغة العربية الفصحى في الاستعمال اليومي؟ ما هو البديل لحلّ أزمة اللغة العربية؟ كيف نقرب بين المستويات اللغوية؟ هل هناك وسيط لغوي؟ فيم يتمثل؟ ما هي اللغة المثلى للتخاطب اليومي؟ ما هي الحلول الناجعة للنهوض باللغة العربية وجعلها تساير مستجدات العصر؟ وقد تكون هذه الفرضيات جزءا من الجواب العام عن هذه الإشكالية المطروحة، و التي هي:

- قد يكون للفرد العربي مستويات تعبيرية مختلفة في زمان الفصاحة.
- قد يكون من الضرورة بمكان، البحث عن مستوى لغوي لرد اللغة العربية إلى الاستعمال، هذا المستوى اللغوي لا يكون الفصيح غير المستساغ وغير المتاح للعامة، ولا العامي الذي يجسد التفرقة، ويوسع الهوة بين أفراد الأمة العربية، ويسهم في تخلّي اللغة العربية عن أهم مميزاتها.
- ربما يمكن التقريب بين المستويات اللغوية: الفصيح، والعامي، وتبسيط الفصحى وتيسيرها.
- قد يكون للغة العربية مستوى عفوي مستخف يسهل التواصل به في الحياة اليومية العادية.
- قد تكون الفصحى المعاصرة تصلح لغة للتخاطب اليومي والإعلام.
- يمكن أن تكون الفصحى المخففّة لغة التخاطب والكتابة.

وللبحث في الموضوع والإجابة على التساؤلات، اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، الذي قد فرض نفسه في هذا البحث، وهو يقوم على وصف الظاهرة، وتحليلها، ومناقشتها، والخروج بمقترحات.

بنية البحث:

مدخل: وضعت لهذا البحث مدخلا حيث تحدثت فيه عن معنى كلمة (عرب) وقدمت لمحة تاريخية عن العرب الأولين وعن طبقاتهم، فهم طبقتان: عرب بائدة، وعرب باقية، والطبقة الثانية تنقسم إلى قسمين: عرب عاربة وعرب مستعربة، ثم تحدثت عن مراحل نشأت اللغة العربية التي حددتها في ثلاث مراحل:

- **المرحلة الأولى:** احتكاك اللغة الحميرية اليمنية بالمضرية العدنانية.
- **المرحلة الثانية:** ظهور اللهجات القبلية واختصت كل قبيلة بلهجة وعوامل تشعبها إلى لهجات بعد أن كانت لغة واحدة.
- **المرحلة الثالثة:** ظهور اللغة الأدبية المشتركة التي طغت عليها لهجة قريش، ثم ذكرت العوامل التي ساعدت لهجة قريش على ذلك، وفي الأخير تحدثت عن أثر القرآن الكريم في اللغة العربية.

الفصل الأول، بعنوان: اللّغة العربية في عصر التقعيد النّحوي: وفيه تحدثت عن الواقع اللغوي قبل نشأة النحو العربي، وفيه تطرقت إلى أسباب وضع النحو العربي، وبعد ذلك تطرقت إلى مسألة واضع النحو العربي.

الفصل الثاني، عنوانه: واقع استعمال اللغة العربية في العصر الحديث، وفيه تطرقت إلى واقع اللغة العربية في العصر الحديث، بالإشارة إلى ظواهر لغوية حديثة هي:

- الازدواج اللغوي.
- الثنائية اللغوية.
- التداخل اللغوي.

وواقع اللغة العربية في العصر الحديث، في حيز الاستعمال في مجالات:

- لغة الأسرة.
- لغة المدرسة.
- لغة الإعلام.

وتحدثت بعد ذلك عن دور المجامع اللغوية العربية في التقريب بين الفصحى والعامية.

الفصل الثالث، عنوانه: المستويات اللغوية، وفيه تحدثت عن المستوى اللغوي بين القواعد والاستعمال وكان ضمنه إشارة إلى معنى المستوى اللغوي، وفيه حديث عن الناحية المعيارية للغة العربية لتسليط الضوء على المستوى اللغوي الفصيح، الذي يتجسد في اللغة التي يراعى فيها مبدأ المعيارية، ثم تطرقت إلى مفهوم الفصاحة بصفة عامة، وقوفا على فصاحة الكلمة، وفصاحة الكلام وفصاحة المتكلّم بين الماضي والحاضر، وفي هذا الفصل كذلك حديث عن المستوى اللغوي من زاوية الاستعمال خاصة بعد الفتوحات الإسلامية إلى العصر الحاضر، وفيه:

- مستوى الأنس (الاسترسالي) وخصائصه.
- مستوى لغة المثقّفين وخصائصه.
- المستوى العامي.
- عوامل ظهور المستوى العامي.
- خصائص المستوى العامي.

وخصصت الفصل الرابع للحديث عن مستوى آخر بعنوان: الفصحى المعاصرة، وفي هذا الفصل تناولت نظرة الباحثين إلى هذا المستوى اللغوي، وذكرت بعض آرائهم حول الموضوع، ثم ذكرت تاريخ البحث في المستوى اللغوي الوسيط، ثم ذكرت خصائص هذا المستوى اللغوي، وهو ينقسم بدوره إلى ثلاثة مستويات، الفصيح، ودون الفصيح، وغير الفصيح، وذلك بدراسة المستوى دون الفصيح من جانبه الصوتي، والصرفي، والنحوي، والدلالي، وفي الأخير تحدثت عن دور الفصحى المعاصرة في التنمية اللغوية، واقترحت في ختام هذا الفصل مستوى بديلا يتمثّل في ما يعرف بـ (الفصحى المخفّفة) مع وضع نتائج في نهاية كلّ فصل.

خاتمة البحث، وفيها ذكرت النتائج المتوصل إليها، كذا حاولت اقتراح بعض التوصيات التي بدت لي ضرورية لتحسين المستوى اللغوي و التقريب بين المستويات اللغوية.

ولقد تطرق أهل العلم من اللغويين والنحويين القدامى، والباحثين المحدثين، إلى هذه القضايا كلاّ على شاكلته، فمنهم من سلّط الضوء على قضية الفصحى، فأصلوا لمفهوم الفصاحة، واللفظ الفصيح...، كابن جنّي في (الخصائص) والسيوطي في (المزهر) ومنهم من كتب في اللحن لغرض تقويم الألسنة، فظهرت كتب تحمل عناوين كـ (لحن العامة) و(لحن الخاصة) و(ما تلحن فيه العامة) ومنها كتاب (إصلاح المنطق) للزبيدي، ومنهم – لاسيما اللغويين المحدثين- من خص اللهجات بالدراسة، وظهر الحديث أيضا عن ما يسمى (المستويات اللغوية) ليظهر الكلام عن الفصحى

المعاصرة، أو ما يعرف بالمستوى اللغوي الثالث، التي كتب فيها الأساتذة: أحمد محمد المعتوق في كتاب (نظرية اللغة الثالثة دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى)، وعباس السوسوة في (العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية)، ومحمد كامل حسن في (اللغة العربية المعاصرة) ومنهم من تكلّم عن التطور اللغوي، كالأستاذ رمضان عبد التواب، في (لحن العامة والتطور اللغوي) والذي يتميز به بحثي هذا كونه قد شمل كلّ هذه القضايا التي خصها هؤلاء بالدراسة، لأنّي سعيت إلى تسليط الضوء على (المستويات اللغوية) الذي في الواقع أشار إليه بعض اللغويين المحدثين أمثال الأستاذ (عبد الرحمان الحاج صالح) في بعض مقالاته، ولعلّ من الأهداف التي أرجوها من هذا البحث، محاولتي الوقوف على المستويات اللغوية وخصائصها، وإثارة قضية حول مستوى لغوي وسيط بين الفصحى والعامية، لما فيه من دور كبير في التقريب بين المستويين.

وقد واجهتني صعوبات في إنجاز هذا البحث، تتمثّل في قلّة المراجع التي تناولت موضوع المستويات اللغوية بشكل مفصل، إذ كان الحديث عن هذا الموضوع في الغالب في مقالات فقط ولم يشمل ذلك كلّ المستويات، ناهيك عن خصائصها، زيادة على ذلك صعوبة الحصول على هذه المقالات وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذنا المشرف الذي كان خير موجه وخير ناصح، فله كلّ التقدير والاحترام.

مدخــل: إن بداية اللّغة العربية لا زالت مجهولة وذلك لجهلنا معالم تاريخ العرب القدامى، وليس في مقدور الباحث اليوم أن يكشف أطوار النشأة الأولى لهذه اللغة، لأن التاريخ لم يسايرها في مرحلة التطور والنماء، وأهم مصدر تاريخي اعتمد عليه هي تلك النقوش والآثار الباقية، ولكنّها قصيرة العبارات، ومحدودة المعاني، فهي ذاتية لا تتحدث إلاّ عن ذلك الشخص الذي دونها.

وحين نتحدث عن طفولة اللّغة العربية يجدر بنا أن نعطي أولا لمحة تاريخية عن العرب الأولين في حقب زمنية مختلفة، وقبل ذلك نعطي مفهوم كلمة (عرب) التي حاول عدد من الباحثين التوصل إلى معرفة أصلها، وكان اللغويون العرب في طليعتهم، فهناك من يقول بأن هذه الكلمة - وإليها تنسب اللغة العربية- "جاءت نسبة إلى أول من أنطق ا لسانه بلغة العرب، (يعرب بن قحطان) وهو أبو اليمن وهو من العرب العاربة"[1] وآخرون يقولون بأن لفظة (عرب) تعود إلى اسم بلدهم الذي يقيمون فيه منذ القدم، وهو (عربة) حيث نشأ أولاد إسماعيل عليه السلام، وهي من تهامة، وهناك من يقول إن "الجزيرة العربية كلّها تدعى عربة وبعضهم يخص بها مكة"[2] ونقول: رجل عربي، إذا كان نسبه في العرب ثابتا، وإن لم يكن فصيحا، ورجل معرب إذا كان فصيحا وإن كان عجمي النسب، ورجل أعرابي، إذا كان بدويا يسكن في البادية.

وإذا سألنا من هم العرب؟ فنقول: العرب هم قوم سكنوا شبه الجزيرة العربية منذ القدم، وهم أمة من أصل سامي على اختلاف شعوبها وتباين قبائلها نسبة إلى (سام بن نوح) اختلف العلماء والنسابون، فبعضهم نسب العرب إلى (إرم بن سام) وآخرون أرجعوهم إلى (قحطان بن عامر بن شالخ بن سام) ومن أسباب الخلل في أخبار العرب، تناقل الخبر أجيالا على الألسنة بغير تدوين أو ضبط وليس من اليسير رسم صورة للحياة السياسية والاجتماعية لشعوب لم تترك من الآثار سوى النقوش القليلة "ويعود الفضل الأكبر في فتح الاكتشافات ببلاد العرب للألمان في أوساط القرن 18، ومنهم العالم الألماني (ميخايلس)"[3] نظرا لطبيعة المنطقة، فالوصول إلى تلك الأراضي القاحلة شاق وصعب.

وحسب البحوث والدراسات، نجد أن الجزيرة العربية يسكنها عرب من أصل واحد، ثم تحضر الذين يسكنون على ضفاف الفرات ووادي النيل، وظلّ العرب الآخرون تغلب عليهم البداوة، وعاش أكثرهم عيشة قبائل رحل، لا يستقرون في مكان، ولا يتصلون بالأراضي التي يسكنونها اتّصالا وثيقا بل يترقّبون مواسم الغيث، فيخرجون بكلّ ما لهم بحثا عن الماء والكلأ، وهناك عرب الشمال وعرب الجنوب، والنسابون يقولون إن عرب الشمال من نسل (إسماعيل بن إبراهيم) عليهما السلام وعرب

1- ينظر لسان العرب، وتاج العروس من جواهر القاموس، مختار الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (عرب).

2- أحمد رحيم هبو، تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2. سوريا: 1981، منشورات جامعة حلب، ص90.

3- جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام، دط. القاهرة: 1969، ص33.

الجنوب من نسل (يقظان) أو (قحطان) فسمي أهل الشمال بالعدنانيين نسبة إلى (عدنان) الذين يعيشون حياة بدوية، وسمي أهل الجنوب بالقحطانين نسبة إلى (قحطان) وهم يعيشون حياة متحضرة إذ كان اليمنيون يتحكّمون في التجارة، وبعد انهيار سد مأرب، تفرقوا وسقطت اليمن وظهر عرب الحجاز وتفوقوا في جميع الميادين.

كما اختلف المؤرخون في تقسيم طبقات العرب، بحيث نجد (جرجي زيدان) في كتابه (العرب قبل الإسلام) قسمها إلى عرب بائدة وعرب باقية، والعرب الباقية، هم العرب القحطانيون، من حمير في اليمن، والعرب العدنانيون في الحجاز وما يليها، ونجد طبقات العرب في كتاب (دراسات في تاريخ العرب: تاريخ العرب قبل الإسلام) لـ (عبد العزيز سالم) طبقتين: عرب بائدة وعرب باقية، والعرب الباقية هم عرب عاربة وعرب مستعربة أو متعربة، وهناك من يقسمها إلى طبقتين: القحطانية باليمن والعدنانية بالحجاز، مثل (طه حسين) في كتابه (في الأدب الجاهلي) في حين نجد (ابن خلدون) يقسمها إلى أربع طبقات: العرب العاربة، وهم البائدة، عرب مستعربة وهم القحطانيون، ثم العرب التابعة هم من عدنان والأوس والخزرج، والغساسنة، والمناذرة، ثم عرب مستعجمة وهم غير العرب الذين دخلوا في الإسلام، أما (أحمد حسن الزيات) في كتابه (تاريخ الأدب العربي)" فقد قسمها إلى عرب بائدة وعرب عاربة وعرب مستعربة، ونعتمد هذا التقسيم:

- العرب البائدة (عارية).
- العرب العاربة.
- العرب المستعربة.

1-الطبقة الأولى: ونقصد بهم العرب البائدة، وهم أقدم الطبقات، إذ سموا بذلك لأنّهم أبيدوا ولا يعرف عنهم إلا القليل، وذلك حسب ما ذكر في القرآن الكريم، يقال إن العرب البائدة "هم أولاد إرم بن سام بن نوح عليه السلام، وهم عاد وثمود، طسم وجديس وعماليق إلى غير ذلك من أقوام أخرى"[1] وحسب روايات مختلفة، فإن سبب انقراض هذه الأقوام هي الكوارث الطبيعية التي اجتاحتهم كالعواصف والبراكين، والهزات الأرضية، ونذكر من هذه الأقوام:

أ-عاد: يعتبرهم الأخباريون أقدم العرب البائدة، ولقد وردت في القرآن الكريم أخبار عن عاد ونبيهم هود، وكيف عصوه واستكبروا في الأرض، فعاقبهم ا تعالى أشد العقاب "إذ أرسل عليهم ريحا

[1]- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دط. القاهرة: 1964، دار الفكر، ج1 ص3.

صرصرا وصواعق دمرت مساكنهم، وقضت عليهم، وأصبحوا عبرة لمن يعتبر"[1] وذلك لقوله تعالى: **فأرسلنا عليهم ر ا صرصرا أيامٍ نحسات لنذيقَهم عذَاب ا زيِ في ا َياة الدنيا ولَعذَاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون** (فصلت 16) "وهم أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام ومنازلهم الإحقاق بين اليمن وعمان والبحرين إلى حضر موت"[2] كما أخبر بذلك الأستاذ (جرجي زيدان).

ب- ثمود: وهم" قوم النبي صالح بن عبيد بن عامر بن سام بن نوح عليه السلام الذي دعاهم إلى عبادة ا فخالفوه"[3] وذلك في قوله تعالى: **كَذَّبت ثَمود بِطَغواها ○ إِذ انبعثَ أَشقَاها ○ فَقَالَ لَهم رسولُ ا ِ ناقَةَ ا ِ وسقْياها ○ فَكَذَّبوه فَعقَروها ○ فَدمدم علَيهِم ربهم بِذَنبِهِم فَسواها ○ ولاَ يخاف عقْباها** .(الشمس 11 - 15) إذ عقروا ناقة نبيهم صالح، فأهلكهم ا بالصاعقة، وهم قوم عاشوا في المناطق الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية، إذ كانوا يعيشون في بيوت منحوتة في الصخور.

2-الطبقة الثانية: وهم **العرب العاربة،** "من ولد بن قحطان بن هود بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وكان له من الأولاد يعرب وجرهم وعمان، ويزعم العرب أن َيعرب أول من تكلّم العربية، وهي مشتقة من اسمه"[4] وهو الذي ملك اليمن واستولى عليها، وغلب عاد والعمالقة. ونذكر من أقوام هذه الطبقة (جرهم) لأنّهم هم الذين سكنوا مكة موطن العرب ومنبع حضارتهم، وهم من بني (أَرفَخْشَذ بن يقطن بن عابر بن شالخ) وكانت ديارهم اليمن، ثم نزلت جرهم الحجاز لأسباب أمنية وطبيعية، وأقاموا في مكة حتى قدمها (إسماعيل) عليه السلام وصاهرهم، وأقدم ما ذكره العرب أن إسماعيل عليه السلام لما نزل مكة، كان فيها بقية من جرهم، فتزوج إسماعيل منهم، وتعلم العربية منهم وتناسل فيهم.

3-الطبقة الثالثة: العرب **المستعربة** وهم بنو (إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام) وطنهم الأول مكة، وهم أصل ربيعة، وكنانة، وقريش، وهذه القبائل كانت متّحدة، ثم ابتعدت وتفرقت بحثا عن الكلأ والعيش، ونظرا لضيق المنطقة، ظهرت خلافات أدت إلى نشوب الحروب بينها، وكانت نتيجة ذلك تباعد واختلاف لهجاتها، واتساع الهوة بينها.

---

[1]- عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب (تاريخ العرب قبل الإسلام) دط. الإسكندرية: 1968، مؤسسة شباب الجامعة، ص52.

[2]- جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، ص23.

[3]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العـ رب، ط4. بيروت: 1984، دار الكتاب العربي، ص38.

[4]- عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العربي: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص62.

ونخص بالحديث قريش، لأن موضوع هذا البحث يتمحور حول لهجة هذه القبيلة، وكيف تغلّبت على اللّهجات الأخرى، وانتشرت بين العرب، إذ هي أشهر القبائل العربية، وهي "من أبناء فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، ومن أبرز زعمائها قصي بن كلاب الذي أخذ البيت الحرام من خزاعة الذي أخذته من جرهم، إذ نشأ وشب عند أخواله بني قضاعة ثم جاء مكة وتزوج من بنت خليل القضاعي الذي كان سيد مكة وقسم قصي بن كلاب قريش إلى قسمين: الظواهر والبطاح"[1] والبطاح يقصد بالبطون التي تسكن مكة نفسها، ويحتكر رجالها التجارة والوظائف الكبرى، ففيهم التجار والرأسماليون وهم بنو عبد مناف وبنو عبد الدار وغيرهم ،أما الظواهر هي التي تسكن أطرف مكة، ومنهم بن محارب والحارث بن فهر، ومنهم أيضا هاشم بن عبد مناف وهو أول من سن رحلتي الشتاء والصيف، ومنه ظهر بن عبد المطلب، وظهر منهم فخر العرب والمسلمين سيدنا محمد بن عبد ا بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، وباختصار تمكنّا من الوصل إلى أصل سكان الجزيرة العربية ومنها مكة.

1- مراحل نشأة اللغة العربية: اللّغة العربية إحدى اللغات السامية نسبة إلى العرق السامـي، تشعبت من لغة واحدة، لكن لما خرج الساميون من مهدهم (هناك اختلاف حول موطنهم الأصلي) لتكاثر عددهم، تشعبت اللّغة الأم إلى لهجات، وبمرور الزمن، وتأثير البيئة، أصبحت كلّ لهجة لغة مستقلة عن أخواتها، فاللّغة العربية من بين هذه اللّغات التي عرفت تحولات متتالية، إذ لم تصلنا على هذه الصورة التامة التي نعرفها اليوم حتى مرت بمراحل طويلة من النمو والتطور، وأهم هذه المراحل:

1/1-المرحلة الأولى: اختلاط الحميرية اليمنية بالمضرية العدنانية، إن لغة العرب على تعددها واختلافها، ترجع إلى لغتين أصليتين: لغة حميرية في الجنوب، ومضرية في الشمال، وبين اللغتين اختلاف ظاهر، وإن كانتا من أصل واحد، إذ قال (أبو عمرو بن العلاء): "ما لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا، فهو يحس بأن هذا اللسان اليمني هو لسان عربي، إلا أنه عربية أخرى غير عربية القبائل المستعربة، ولم تكن كلمة (لغة) ترادف في ذلك الزمان بعد كلمة (لسان) فسماها لسان"[2] أي لغة حمير واليمن لا علاقة لها في الظاهر باللغة المضرية، إلاّ أن ذلك لم يمنعهم من التفاهم والتواصل، ولم تكن اللغتان في معزل عن بعضهما، بحيث إن القحطانيين رحلوا عن ديارهم بعد سيل العرم ،جزاء لكفرهم بما أنعم ا عليهم، فأرسل عليهم السيل، فهدم سد مأرب، وأتلف الزرع، وخرب الكثير من مواردهم الفلاحية، وذلك ما ذكر ا تعالى في القرآن الكريم: **فَأَعرضوا فَأَرسلْنا عليهم سيلَ الْعرِمِ وبدلْناهم**

1- أبو الفداء إسماعيل بن كثير، السـيرة النبـوية، ج1، ص56-57.

2- عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، دط. الجزائر: 2007، موفم للنشر ص164.

بجنتيهم جنتين ذَواتى أُكلٍ خمط وأثْلٍ وشيءٍ من سدرٍ قَليل . (سبأ 16) فاتجهوا إلى شمال الجزيرة العربية، فتفرقوا باحثين عن مأوى له، وذلك في قوله تعالى: **فَقَالُوا ربّنا بعد بين أسفَارنا وظلَموا أنفُسهم فَجعلْناهم أحاديثَ ومزقْناهم كُل ممزقٍ إن في ذَلك لآيات لكُل صبارٍ شكُور** . (سبأ 19) و كان القحطانيون قبل سيل العرم يهاجرون إلى الشمال طلبا للتجارة، والغزو والتوسع، وذلك يدلّ على وجود احتكاك بين اللغتين، وبمرور الوقت أخذت الدولة الحميرية تزول بتغلب الأحباش على اليمن من جهة وتسلّط الفرس عليها من جهة أخرى، وكان العدنانيون، على نقيض هؤلاء، قد تهيأت لهم أسباب النهضة والوحدة بفضل الأسواق التجارية والحج، ففرضوا لغتهم وأدبهم على حمير المغلوبة، ولا نقول إن اللغة العربية الفصحى هي لسان مضري محض، بل إنّها قد تأثرت باللغات الشمالية، "فحركة اللغة قد سايرت حركة القبائل، والأصول المضرية أو العدنانية اشتركت في لغة واحدة، هي اللغة الشمالية وتلاقت معها الشعوب اليمنية، وتعاملت معها، ونشأ من هذا كلّه اللغة الفصحى"[1] وأصبحت اللغة العدنانية المضرية أكثر ثقافة وأدبا، وذلك ما سمح لها أن تدخل في صراع مع أخواتها من اللغات السامية حتى قضت عليها، فانتشرت في أرجاء الجزيرة العربية.

2/1- المرحلة الثانية: ظهور اللهجات القبلية، وكان للقبائل العربية لهجات مختلفة الفروع، متّحدة الأصول، وذلك بعد أن تفرقت وانتشرت في شبه الجزيرة العربية بحثا عن الكلأ والماء، "ولا ريب أن ذلك يحدث حين تنكمش مساحات الكلأ ولا تعود الصحاري قادرة على إطعام أهلها، فيفيض سكانها على الأقاليم الزراعية المجاورة"[2] بالإضافة إلى الخلافات التي نشبت فيما بينها نظرا للعصبية القبلية التي يتعالى بها العربي في ذلك الوقت، ومن ثم نشأت لغات كثيرة، بحيث "إن اللّغة مهما كانت إذا انتشرت في مناطق واسعة ويكثر المتكلّمون بها، يستحيل عليها الاحتفاظ بوحدتها أمدا طويلا، فلا تلبث أن تتشعب إلى عدة لهجات"[3] ولم تفلت اللغة العربية من هذا القانون العام، فقد انقسمت منذ أقدم عصورها إلى لهجات كثير، يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت، والدلالة، والقواعد والمفردات، واختصت كلّ قبيلة بلهجة من هذه اللهجات، ومن بين هذه اللهجات نذكر: لهجة ربيعة، إذ يجعلون بعد كاف الخطاب في المؤنث شينا مثلا: رأيتكش وبكش وعليكش، وذلك ما يعرف بالكشكشة.

- لهجة قيس أو لهجة تميم يجعلون الهمزة المبدوء بها عينا فيقلون: **عنك** بدلا من **إنّك،** وفي **عسلم** بدلا من **أسلم،** وفي **عذن** بدلا من **أذن،** وسمي ذلك: **عنعنة.**

---

[1]- محمد زغلول سلام، دراسات أدبية: مدخل إلى الشعر الجاهلي :دراسة في البيئة والشعر، ص48.

[2]- عبد الغفار حامد هلال، أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل، دط. القاهرة: 1996، دار الفكر العربي ص18.

[3]- علي عبد الواحد وافي، علـم اللغة، د ط. القاهرة: دت، دار نهضة مصر، ص172.

- هذيل ويجعلون الحاء عينا، وذلك في قولهم: **عيّ** بدلا من حيّ، وعملَ بدلا من حملَ، وذلك ما يسمى: **الفحفحة.**

- قضاعة ويجعلون الياء المشددة جيما، فيقولون في تَميمي تَميمج، وذلك ما يعرف: **بالعجعجة**[1] وترجع هذه الاختلافات إلى أسباب وعوامل يذكر الأستاذ (علي عبد الواحد وافي) منها:

أ- **عوامل سياسية:** تتعلّق باستقلال المناطق التي انتشرت فيها اللغة، وتباعدت بعضها عن بعض فالتفكك السياسي وانقسامها إلى قبائل أدى إلى انقصام الوحدة الفكرية واللغوية.

ب- **عوامل اجتماعية:** نظرا للفروق في النظم الاجتماعية من عادات وتقاليد، أدى إلى الاختلاف في أداة التعبير من حيث المصطلحات، إذ نجد في قبيلة ما ألفاظا ليس لديها دلالات في قبيلة أخرى، أو لها دلالة مختلفة.

ت- **عوامل جغرافية:** إن الاختلاف في ظروف الطبيعة من مناخ وتضاريس والبيئات يؤدي حتما إلى الاختلاف في اللغات، لأن لها تأثيرا على الهيئة الفيزيولوجية للأفراد، مما يؤثّر على جهاز النطق.

ث- **عوامل جسمية فيزيولوجية:** إن التكوين الطبيعي لأعضاء النطق يكون حسب الظروف الطبيعية التي يعيش فيها المتكلّمون بتلك اللغة، وذلك يؤثّر حتما على نطق الأصوات، مما يؤدي إلى الاختلاف في اللّغات[2] ولعلّ ثمة عوامل أخرى، تكون لسانية محضة، كانت وراء هذه الظاهرة.

3/1- المرحلة الثالثة: ظهور اللّغة المثالية (المشتركة) تكونت بجانب اللّغات القبلية المختلفة لغة مثالية مشتركة بين كلّ القبائل، خالية من العيوب اللهجية - التي سبق ذكرها- والتي تتميز بها اللهجات الأخرى "وكان ذلك نتيجة الاحتكاك الذي يحدث بين الناطقين لهذه اللهجات أثناء التجارة وتأدية المناسك، وكان العرب يأخذ بعضهم عن بعض بالمخالطة والمجاورة"[3] فانصهرت فيها جميعا، وبرزت أحسن بروز في القرآن الكريم، وفيما وصلنا من الأدب العربي الرفيع، من الشعر وخطابة وقد طغت

1- عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي، دط. بيروت: د.ت، دار الفكر، ج1، ص221.

2- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، دط. القاهرة: د.ت، مكتبة غريب، ص115-116.

3- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط4. بيروت: 1984، دار الكتاب العربي، ج1، ص91.

على تلك اللغة المثالية لهجة قريش التي هي أقلّ اللّهجات عيوبا وأفصحها بيانا، بحيث اشتملت على خصائص كثيرة من لهجات القبائل العربية، وساعدها على ذلك عدة عوامل نذكر منها:

أ- العامل الجغرافي: ونقصد بذلك الموقع الاستراتيجي الذي تحتلّه مكّة، إذ تقع في منتصف طريق القوافل بين اليمن والشام، في واد من أودية جبال الشارة على شكل سهل منبسط، بحيث توجد على طول الطرق التجارية عبر الصحراء أماكن تتّخذها القوافل التجارية مواطن لراحتها، ومكة أحد هذه المواطن، وذلك لوفرة المياه فيها، يستسقي منها المسافر وهو بئر (زمزم) نظرا للوضع الأمني السائد في المنطقة، ونقصد ذلك التصادم المستمر بين الفرس والروم "جعل مكة معبر تجارة الشمال والجنوب، وبمكة يوجد البيت الحرام الذي أكسبها حرمة وقدسية، تحرم فيها كلّ أنواع العنف والقتل"[1] الأمر الذي سمح لها بأن تكون أكبر مركز تجاري، يأتيه العرب وغيرهم من كلّ فج وصوب لقضاء حاجاتهم، وكانت للعرب لهجات متباينة مما سمح لها بأن تحتك فيها بينها، وأهل مكة يلتقطون الألفاظ الفصيحة ويضمونها إلى لهجاتهم، فقد "ارتفعت قريش في الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن، وتضجع قيس وعجرفية ضبة..."[2] وإلى ذلك يرجع أغلب الباحثين واللغويين قديما وحديثا، فصاحة القرشيين.

ب- العامل الديني: تمكّنت قريش من السيادة على مكّة بعد أن جمع (قصي بن كلاب) شملها ووحد بطونها "واهتم بعمارة البيت الحرام، وأقام دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضي شؤونها العامة ووضع مهام أخرى من السدانة، والسقاية، والرفادة، وكلّها مناصب متّصلة بالكعبة والحج إليها"[3] فالعرب يقصدون هذا المكان المقدس ليؤدوا مناسكهم، ويزوروا أصنامهم، وبذلك أصبحت مكة أكبر مركز ديني للوثنية، ولقريش الفضل في توجيه وتسيير الحجيج، وتحديد الأشهر الحرم الأربعة التي يحرم فيها الحرب والقتال، ويسود الأمن والسلم لما لذلك من أهمية، إذ تعتبر فرصة لانتقال القبائل إلى مكة لأداء المناسك، وأشهر الحرم عند قريش هي: ذو العقدة، ذو الحجة، ومحرم، وصفر وبذلك اكتسبت قريش احترام القبائل، "فألوف العرب تفد إلى مكة من شتى نواحي شبه الجزيرة للحج والاعتماروتتعامل مع قريش، وتسمع منهم لهجاتهم، فتتأثّر بها"[4] لأن الأقل تحضرا يولع بتقليد من هو أكثر تحضرا كما يرى (ابن خلدون) "وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها، إذا أتتهم

---

[1]- نبيه عاقل، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، دط. دمشق: 1976، المطبعة الجديدة، ص215.

3- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط3. القاهرة: 1987، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، ص411.

[3]- أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دط. القاهرة: 1965، الدار الفكر العربي ص130-132.

[4]-خليل عبد الكريم، قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية، ط1. القاهرة: 1993، سينا للنشر، ص204.

الوفود من العرب، تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللّغات إلى نحائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب"[1] ذلك ما ذهب إليه ابن خلدون.

ج- العامل الاقتصادي: تقام في مكة وفي غيرها أسواق منها: عكاظ، وحجز، وهجر، ودوامة الجندل، على اختلاف مواقعها، واختلاف مواسمها بين الشتاء والصيف، وكانت تجتمع فيها القبائل العربية مختلفة الأعراق والمواطن بين يمنية جنوبية، وحجازية ونجدية وشامية، وبين عرب وغير عرب، من أحباش وفرس وروم "إلى هذه الأسواق يتّجه العرب ويقيمون فيها نحو شهر، ويبيعون ويشترون، ويأخذون ويعطون، ويقضون مهماتهم وأمورهم، ثم يأخذون في إلقاء الخطب وإنشاد الشعر فيتفاخرون ويتنافسون على مسمع الجماهير الغفيرة"[2] وفي ذلك المحفل جماعة من الزعماء القرشيين يحكمون ويقضون بين الشعراء، فكانت تلك الأسواق بالفعل مواسم أدبية وثقافية، يحضرها كتّاب وكبار الشعراء، كما أنّها "أدت وظائف كثيرة مثل الفصل في الخصومات بين العشائر والقبائل، وعقد معاهدات التحالف وحسن الجوار، ودفع الديات لأهل القتلى، وتبادل وإعلام خلع الخلعاء والتبرؤ منهم"[3] كانت التجارة في يد القرشيين وأصبحوا أثرياء إذ لا يتاجرون في الأسواق المحلية فحسب، بل كانوا ينتقلون بتجارتهم في مختلف بقاع الجزيرة العربية، ويقومون برحلتين في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، وذلك لقوله تعالى **لإِيلَافِ قُرَيْشٍ ○ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ○ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ○ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ** (قريش1-4) وبفضل هذا النشاط التجاري أصبحت الثروة المادية في أيديهم "فاتفقت في ذلك حياتهم اللّغوية وحياتهم الاجتماعية فارتفعت لغتهم عن كثير من مستبشع اللغات ومستقبحها، وبذلك مرنوا على الانتقاء حتى رقّت أذواقهم وقويت سلائقهم حتى صاروا في آخر الأمر هم أجود العرب انتقاء للأفصح من الألفاظ"[4] ونتيجة كلّ ما سبق اتّساع نفوذ القرشيين، فنمت لهجتهم وازدهرت وسادت على اللهجات الأخرى، فأصبحت لغة عامة العرب واستعملتها القبائل المختلفة لغة إنتاجهم الأدبي الرفيع.

د- العامل السياسي: كان لموقع قريش من سدنة البيت، وما لها من ثروة مادية أثر في ازدياد نفوذها السياسي بين القبائل، بالإضافة إلى قوة زعمائها، وقدرتهم على حلّ المنافسات التي تقع بين

---

[1]- أبو الحسن أحمد بن فارس الصاحبي، في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، تح: مصطفى الشويمي، دط. لبنان: 1963، مؤسسة أ. بدران، ص 52.

[2]- رشيد يوسف عطا ا ، تاريخ الآداب العربية، تح : علي نصيب عطوي، دط. دب: 1985، مؤسسة عز الديـن ص21.

[3]- خليل عبد الكريم، قريش من القبلية إلى دولة مركزية، ص 205.

[4]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب ،ج1، ص 93.

القبائل والعشائر للمصلحة العامة، وبفضل فطنة وذكاء زعماء قريش، كانوا دائما يتّخذون الحياد بين القوى العظمى المتصارعة كالفرس والروم، كذلك وضع الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال حفاظا على مصالحهم التجارية الداخلية والخارجية، وذلك ما يسمح أيضا للقبائل الأخرى بأن تأتي إلى مكة في أمن وسلامة، ولهذه الأشهر أهمية بالغة، لأنّها هدنة يجد فيها العرب فرصة للتحرك والاتصال والتبادل مطمئنين "وقد أدى صراع القبائل إلى اختلال الأمن، وانقطاع وفود الحجيج وتعطلت مناسك الحج ومنافع الناس في موسمه وأسواقه، فحفز هذا ذوي السلطان والنفوذ من الزعماء والرؤساء إلى العناية بأمر الحج وتأمينه، ففرضوا الأشهر الحرم"[1] وزادت واقعة الفيل في نفوذ القرشيين حينما أقبل الأحباش على تهديم الكعبة، فأرسل ا طيرا أبابيل، فأصيبوا بالوباء فترجعوا عن مكة، وزاد الكعبة بذلك كرامة وتقديسا، وذلك لقول تعالى: **ألم تر كيف فَعلَ ربك بِأصحابِ الفيلِ ○ ألم يجعلْ كَيدهم في تضليلٍ ○ وأرسلَ عليهم طيراً أبابيلَ ○ ترميهم بِحجارة من سجيلٍ ○ فَجعلَهم كَعصف مأكُولٍ** (الفيل 1- 5).

ولقد تضافرت هذه العوامل حتى تمكّنت لهجة قريش من السيادة في جميع أنحاء الجزيرة العربية ويقول (طه حسين) في هذا الصدد: بأن لقريش "سلطان سياسي حقيقي، ولكنّه قوي في مكة وما حولها وهذا السلطان السياسي كان يعتز بسلطان اقتصادي عظيم... وكان هذا السلطان يعتز بسلطان دين قوي مصدره الكعبة التي كان يحج إليها أهل الحجاز، من عرب الشمال، فقد اجتمع لقريش إذا سلطان سياسي واقتصادي وديني... لغة قريش إذا هي هذه اللّغة العربية الفصحى، فرضت على قبائل الحجاز فرضا لا يعتمد على السيف، وإنّما يعتمد على المنفعة، وتبادل الحاجات الدينية، والسياسية والاقتصادية"[2] وهكذا أصبحت لهجة قريش للعرب جميعا قبل نزول القرآن الكريم، لغة يحتذونها في خطاباتهم وأشعارهم، ويعتبر (مصطفى صادق الرافعي) نهضة قريش بأنّها حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعي إذا يقول: "تعد نهضة قريش أمر عجيب أنها لا يتجاوز 100 سنة قبل الهجرة إلى 150 سنة على الأكثر، فلا بد من التسليم بأنّها حادثة كونية من خوارق النظام الطبيعي، ظهرت نتيجتها بعد ذلك في نزول القرآن الكريم بلغة قريش، وهو أفصح الأساليب العربية بلا مراء"[3] فالعربية الفصحى لغة مشتركة نشأت لحاجة القبائل المختلفة الأصول والمنازل إلى لغة تتفاهم بها فيما بينها، ساعد على ظهورها اللقاءات المتعددة في المصالح المشتركة.

---

[1]- أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص 214.

[2]- طه حسين، من تاريخ الأدب العربي: العصر الجاهلي والعصر الإسلامي، ط5. لبنان:1991، دار العلم للملايين ص120.

[3]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج1، ص94.

فهذه القوة التي تمتاز بها قبيلة قريش زادت من مكانة لهجتها، وأصبحت لغة يقتضى تعلّمها، مثلما نجده في عصرنا هذا اللّغات الحية، فالعرب كلّهم، خاصة منهم التجار، كانوا يتمثّلون هذه اللغة بانتقاء الألفاظ الفصيحة واختيار التراكيب البليغة، وذلك ما سمح للهجة قريش أن تنتشر على الألسنة وتكون لغة مشتركة بين القبائل، ينظم بها الشعر وتلقى بها الخطب.

2- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية: جاء الإسلام واللغة العربية في أوج مجدها، وقمة ازدهارها وكانت قد وصلت في تلك الحقبة من الزمن إلى منتهى الكمال والنضج، وأقصى ما يمكن أن تصل إليه من حيث الفصاحة وقوة البيان، تنطقها كلّ قبيلة في الجزيرة العربية، ولا يعسر فهمها على سائر القبائل، وهي لغة المجتمعات الأدبية، ولغة الشعر والخطابة، ولغة المفاخرة، وللقرآن الكريم أثر في المجتمع العربي، في الوجهة الاجتماعية واللغة، إذ جمع كلمتهم، وشملهم على اختلاف أنسابهم ومواطنهم، بعد أن كانوا يتفاضلون بالعصبية، ويتفاخرون بالأنساب، وأصبح همهم الوحيد حفظ القرآن وتلاوته، وعلى الصعيد اللغوي" فالقرآن الكريم له أثر واضح في آداب اللغة العربية، خطابة وشعرا فالخطابة إبانه زادها بلاغة وحكمة، وأخذ الخطباء يستشهدون بآيات قرآنية، حتى جعلوا الخطبة برمتها مجموع آيات كما فعل (مصعب بن الزبير) لما قام (العراف) وأراد أن يحرض أهله على الطاعة لأخيه عبد ا "[1] أما الشعر فقد كان أقلّ شأنا من الخطابة، وذلك بعد أن ذهبت تلك العصيبة القبلية ولم تبق الحاجة إلى الشعر والشعراء.

وكان الأثر في الألفاظ ودلالاتها واضحا، فقد تجرد كثير منها (الألفاظ) من معانيها العامة القديمة، فصارت تدلّ على معاني خاصة تتصل بالعبادات والشعائر، أو تتعلق بشؤون السياسة والإدارة أو مصطلحات العلوم والفنون، ومن أثاره أيضا القضاء على كثير من الألفاظ العربية الجاهلية التي تدلّ على نظم حرمها الإسلام، كأسماء الأنصبة، وكذا أسماء الشهور والأيام في الجاهلية، كما أحل القرآن الكريم معاني لم تكن معروفة من قبل مثل الفرقان، الكفر، الإيمان...الخ.

ومن أثاره أيضا، أنه هذّب اللغة من الكلمات الوحشية ومن اللفظ الغريب، ووسع المادة اللغوية بما شاع من ألفاظ دينية وفقهية لم تكن تستخدم من قبل هذا الاستخدام الخاص، إذ قال (جرجي زيدان) في أثر القرآن الكريم على اللغة العربية أنّها "دخلتها ألفاظ إسلامية، وأكثرها كانت موجودة في اللّغة قبل الإسلام، ولكنها كانت تدلّ على معان أخرى، فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة

[1]- جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تقديم: إبراهيم صحراوي، دط. دب: 1993، ج1، ص 334.

كالمؤمن، والصلاة، والزكاة، والركوع، والسجود، والحج"[1] إلى غير ذلك من الألفاظ كما عمل على تهذيب بعضٍ منها.

إن القرآن الكريم عمل على توحيد اللهجات العربية في لهجة قريش، وعمل على توسيع نطاقها ويقول (جرجي زيدان) في كتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) "القرآن أطال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرؤونها ويفهمونها، وهو الذي حفظ الجامعة العربية، واستبقى العنصر العربي لأن الإسلام يفرض على كلّ مسلم أن يحفظه ويطالعه، فلو لا القرآن الكريم لكانت للعالم العربي لغات متفرقة، يصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت إليه اللغة اللاتينية" [2] وكان ظهور الإسلام أهم حدث في تاريخ اللّغة العربية وتقرير مصيرها، إذ جعل من اللّغة العربية الفصحى نموذجا مفروضا ومثلا أعلى يقتدي به كلّ كاتب عربي، ذلك أن القرآن جمع العرب على لهجة قريش، حقا كانت هذه اللّهجة تسود القبائل الشمالية في الجاهلية، غير أن هذه السيادة لم تكن تامة، فقد كان الشعراء هم الذين يستخدمونها غالبا، أما قبائلهم فقد كانت تلوك لهجة تختلف عن اللهجة القرشية قليلا أو أكثيرا حسب قربها من مكة أو بعدها عنها، فعمل القرآن الكريم على تقريب ما بين اللهجات من فروق واستكمال السيادة للهجة قريش، إذ كان العرب يتلونه أناء الليل وأطراف النهار، وأخذت هذه اللهجة تعم القبائل الجنوبية في اليمن ومنطقة الخليج العربي ، التي كانت لا تزال تتكلّم اللغة الحميرية القحطانية "ولما فتحت الفتوح ومصرت الأمصار، أخذت هذه اللهجة تسود مشارق العالم الإسلامي ومغاربه"[3]على حد تعبير الأستاذ شوقي ضيف.

ومجيء القرآن الكريم على ذلك النسق من الفصاحة والبيان، وبلاغة التعبير، دلّ دلالة على أنّه يخاطب قوما وصلوا إلى درجة عالية في ميادين البلاغة وروعة التعبير، إذ تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله، وذلك قوله تعالى: **وإنْ كُنتم في ريبٍ مما نزلْنا على عبدنا فَأتوا بِسورة من مثْله وادعوا شهداءَكُم من دون ا ـ إنْ كُنتم صادق** (البقرة 23) وبالرغم من أن لهجة قريش قد سيطرت على اللهجات، إلاّ أنّها لم تخرج سالمة من ذلك الصراع، وفيها آثار كثيرة من اللهجات الأخرى، لكن القرآن الكريم هذّبها ونقّحها، حتّى أصبحت في أرقى مستوى من البيان والفصاحة، فهي اللّغة المثالية المشتركة بين العرب كافّة، وهناك حقيقتان هما:

---

[1] - جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، ج1، ص 334.

[2] - نفسه، ج1، ص24.

[3] - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر الإسلامي، ط14. القاهرة: 1963، ص31.

1- أن اللّغة العربية في أولياتها - وهي في مرحلة الطفولة الباكرة التي ترجع إلى ما قبل الإسلام بقرون مديدة- لم تكن بالصورة التي كانت عليها في أوائل القرن السابع الميلادي الذي نزل القرآن في نهاية العقد الأول منه، بل كانت في صورة أبسط وأقل مستوى.

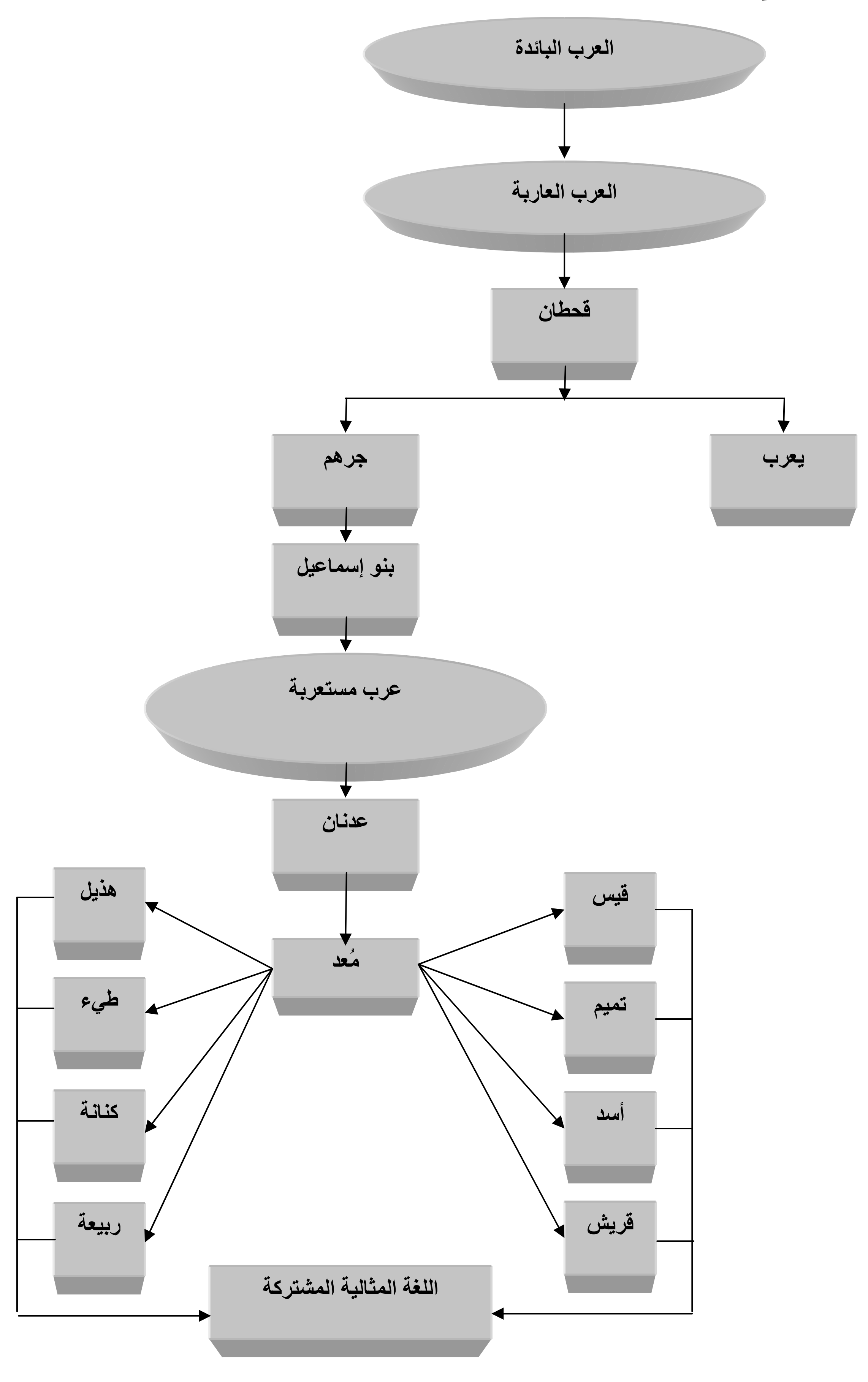
2- أنّه كان هناك من فجر نشوء هذه اللغة، لهجات خاصة متعددة بتعدد القبائل، وتباعد أماكن وجودها في الجزيرة العربية، ونشأت عن هذا التعدد فروق لغوية من أهمها:

أ- اختلاف شكل الكلمات في بعض حروفها، كاستبدال الألف واللام (أداة التعريف) بالألف والميم مثل: البر= أمبر، الصيام= أمصيام ، السفر= أمسفَر.

ب- الدلالات المعنوية للكلمات، وذلك ما يسمى بالمشترك اللفظي الذي يعني أن تكون الكلمة واحدة ولها معان متعدد ككلمة: عين = الناظرة، البئر، الجاسوس... الخ.

ولكن هذه الفروق اللغوية لم تقف عقبة أمام التقاء القبائل العربية على اللغة الأم التي استكملت عناصر نضجها قبل نزول القرآن بقرن من الزمن على الأقل، وتمثلت في لغة قريش التي استطاعت أن تصهر هذه اللهجات في بوتقة واحدة، بتفادي ما يعيبها من ظواهر شاذة، فبذلك أصبحت اللهجة أو اللغة المثالية النموذجية، وإن قيل إن القرآن نزل بلغة قريش، فذلك لا ينفي تأثير اللغات الأخرى في مفردات القرآن الكريم ونسجه الصوتي، لذلك قيل بأنّه نزل بسبعة أحرف.

رسم توضيحي لطبقات العرب



الفصل الأوّل

اللغة العربية في عصر التقعيد

قبل الخوض في الحديث عن عصر التقعيد النحوي، يجدر بنا أن نلقي الضوء على الواقع اللغوي الذي سبق نشأة النحو العربي، للحفاظ على اللغة العربية من اللحن، تلك اللغة التي يعود تاريخها إلى غابر الأزمان، فهناك من يرى أن (إسماعيل بن إبراهيم) عليهما السلام أول من نطق بها وهنالك من يرى أن تاريخها يعود إلى أولّ نقش عثر عليه في القرن الثاني الميلادي، وعلى العموم فإن غياب الملموس والدراسات الإيتيمولوجية في هذا الشأن، جعل الباحثين يركزون على أول نص شعري جاهلي وقعوا عليه لـ(إمرىء القيس) فاللغة العربية في ذاك العصر كانت قد اكتمل نموها وهي اللغة التي سادت الجزيرة العربية قبل الإسلام بقرنين من الزمان تقريبا، حسب ما ذكره بعض المؤرخين وتتجلّى في الشعر والخطب والأمثال بشكل يكاد يكون موحدا بين شعراء القبائل المختلفة وخطبائها وكهانها، وإن وجدت فروق لغوية، فهي يسيرة تشير إلى اختلافات لهجية، فقد "كان بعض العرب في العصر الجاهلي يمارسون القراءة والكتابة، ولاسيما في الحواضر، كالحيرة، واليمن والطائف، ومكة والمدينة"[1] وهذا يدلّ على أنّهم على وعي بدائي بالتحليل الصوتي للغة ،لأن الكتابة تحتاج إلى تمييز كلمات بعضها من بعض، ومعرفة لواحقها، وسوابقها، والإحاطة بأجزاء التركيب فيها، ولعلّ مما يبرهنا صحة هذا الزعم ما يوجد في المعاجم العربية التراثية من كلمات كثيرة تدلّ على وسائل الكتابة كالقلم المداد، الصحف، الكتابة...الخ، وهناك من يتعلّم الكتابة بلغة غير اللغة العربية كالفارسية والعبرانية والنبطية، إذ نجد بعضهم يعملون كمترجمين.

وازدادت هذه الحركة نشاطا في العصر الإسلامي، إذ هناك في مكة والمدينة كتاتيب يتعلّم فيها الصبية القراءة، بحيث إن الرسول (ﷺ) كان يرغم كلّ أسير على تعليم عشرة صبية القراءة، فزاد الإقبال أكثر على الجزيرة العربية، وأدى ذلك إلى اختلاط بشري تسبب فيه احتكاك اللغات فيها بينها خاصة في الأمصار مثل البصرة، والأمر لم يتوقف على التأثير المتبادل بين اللغة العربية وغيرها من حيث المفردات، بل تسرب إليها اللحن على كلّ المستويات، وذلك بعد أن دخل الأعاجم في الدين الإسلامي، وازداد إقبالهم على التحدث باللغة العربية، ونظرا لخطورة الوضع الذي يؤدي باللغة العربية إلى الذوبان في الخليط اللغوي الذي ساد المنطقة في تلك الفترة، أخذ العرب يفكّرون في إيجاد وسيلة لصيانتها، وذلك باستنباط قواعدها النحوية، وكانت تلك الخطوة الأولى في نشأة النحو العربي.

[1]- محمد خير الحلواني، المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه، ط1. بيروت: 1979، مؤسسة الرسالة، ص 66-67.

1- أسبـاب وضع النحو: إن النحو العربي لم يوضع اعتباطا، بل كان وراءه دوافع، مع ما نجده في هذه الروايات من خلاف حول الدافع الرئيس، وفي كلّ الأحوال، يمكن التسليم بأن كلّ ما ذكر يصلح بأن يكون سببا منطقيا لظهور هذه الدراسات اللغوية العربية، ومن هذه الأسباب:

1/1- شيوع اللّحن: بعد أن اتّسعت الدولة الإسلامية، وازداد اختلاط العرب بالأعاجم، أخذ اللّحن يشيع تدريجيا على الألسنة، و"أول لحن سمع بالبادية، هذه عصاتي والصواب (عصاي) وأول لحن سمع بالعراق حي على الفلاح، وصوابه حي بالفتح"[1] ولقد اتّخذ اللحن مظهرين متمايزين هما:

أ- الخطأ في نطق الأصوات والصيغ والأبنية، ويمكن أن نطلق عليه الخطأ في الصرف.

ب- الخطأ في الإعراب، ويمكن أن نطلق عليه الخطأ في النحو.

فأما النوع الأول، فقد جرى على ألسنة الموالي والعبيد، ووجد فيها من يرتضخ أنوعا من اللكنة ومن هؤلاء (بلال) الذي كان يرتضخ لكنة حبشية، و(صهيب) لكنة رومية، و(سلمان) لكنة فارسية...الخ، وذلك تبعا لما ألفته ألسنتهم في البيئات التي نشأوا فيها مما يخالف ما هو موجود في اللغة العربية من أصوات وصيغ، فأمثلة الخطأ في الأصوات:

- نطق العين همزة، كما في قول (زياد النبطي) لغلامه، إذ كان شديد اللكنة: فمن لدن دأوتك إلى أن قلت لي ما كنت تصنأ؟ ويريد بذلك: من لندن دعوتك إلى أن أجبتني ما كنت تصنع"[2]مثالا على الخطأ في الناحية الصوتية.

- نطق الحاء هاء مثل في قول (أبي الحسن) أهدى إلي مولى زياد حمار وحش، فقال لزياد: أهدوا لنا همار وهش. قال: أي شيء تقول ويلك؟. قال: أهدوا إلينا أيرا- يريد عيرا- قال زياد: الثاني شر من الأول(3) و الأمثلة عن ذلك كثيرة حيث تغير نطق بعض الأصوات، فيكاد لا يفهم منها شيئ.

- نطق القاف كافا: كما في نطق مسلم الخرساني: كلت له بدلا من قلت له.

- نطق السين شينا، والطاء تاءا، وذلك في قول (زياد بن سليمان أبي أمامة) المعروف بزياد الأعجم:

فَتَى زاده الشُلْتَان في الوّد رِفْعةً ... إِذَا عَير الشُلْتَان كُل خَلِيلِ

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، قدمه وشرحه: علي أبو ملجم، دط. بيروت: 2000، دار ومكتبة الهلال، ج2، ص151.

[2]- نفسه، ج2، ص147.

[3]- نفسه، ج2، ص147.

ويريد بالشلتان: السلطان.

ولكن ذلك النوع من اللحن لم يكن بالأمر الذي يقلق علماء العربية، ويجعلهم ينهضون للتصدي له ومقاومته، بل هناك الأخطر منه، وهو الخطأ في الإعراب الذي ظهر على مستويات مختلفة نذكر منها ثلاثة مستويات:

- على مستوى قراءة القرآن: فقد قدم أعرابي في خلافة (عمر بن الخطاب) وقال: من يقرئني شيئا مما أنزل على محمد؟ فأقرأه رجل من سورة التوبة، إذ قال: **وآذان من ا ـ ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسولِه** (التوبة 3) بكسر اللام في كلمة (رسولِه) فقال الأعرابي: "إن يكن ا بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه" فصحح له عمر بن الخطّاب ورسم (لأبي الأسود 68هـ) من عمل النحو"[1] وهناك من يسند هذه القصة إلى (عمر بن الخطاب) ومنهم من يسندها إلى (أبي الأسود) وذلك حسب ما ذكر في (الخصائص) و(أبناه الراوة) و(مراتب النحويين).

- على مستوى الخطابات: وروي أن وفدا جاء إلى النبي (ﷺ) ليعلن إسلامه، فلما قام يخطب في وفده يتكلّم ويلحن، فاستفظعوا لحنه، وظهر ذلك في وجه الرسول (ﷺ) أيضا وقال للوفد: "أرشدوا أخاكم فقد ضلّ"[2] وروي أيضا عن (الوليد بن عبد الملك) أنّه خطب الناس في المدينة يوما، فقال: "يا **أهلُ** المدينة"[3] برفع المنادى المضاف.

- على مستوى اللغة المحكية: وأخبار اللحن في اللغة المحكية كثيرة جدا، إذ تفشى اللحن على الألسنة بعد أن ازداد وانتقل إلى أطراف الجزيرة العربية عناصر مختلفة، وبنشوء مجتمعات ومدن إسلامية انتشر الفساد اللغوي على نطاق واسع، ونذكر منها قول (بشر بن مروان) وعنده (عمر بن عبد العزيز) لغلامه أدع لي صالحا، فقال الغلام: يا صالحا فقال له بشر: ألق منها ألفا، قال له عمر: وأنت زد في صالحك ألفا، وقال بعضهم ارتفع إلى (زياد) رجل وأخوه في ميراث، فقال: "إن أبونا مات وإن أخين وثب على مال أبانا فأكله، فقال زياد: الذي أضعت من لسانك أضر عليك مما

---

[1]- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علّي النجار، دط. بيروت: دت، دار الهدى، ج2، ص8.

[2]- نفسه، ج2، ص8.

[3]- نفسه، ج2، ص8.

أضعت من مالك"[1] وكان العرب أشد نفورا من اللحن، وفي هذا يقول (أبو بكر الصديق) (رضي الله عنه): "لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن"[2] ومما روي أيضا عن (عمر ابن الخطاب) (رضي الله عنه) أنّه مر بقوم يرمون فاستقبح رميهم فقال: ما أسوأ رميكم؟ فقالوا: "نحن قوم متعلمين" فقال عمر: لحنكم أشد علي من رميكم"[3] ووردت أيضا أخبار اللحن حتى في المراسلات إذ كتب كاتب (لأبي موسى الأشعري) إلى عمر ولحن، فكتب إليه عمر: سلام عليك أما بعد فاضرب كاتبك سوطا واحـدا وآخر عطاءه سنة"[4] فكان نتيجة هذا الاختلاط وانتشار اللحن والخطأ على الألسنة، إلى نشوء لغة التخاطب بين العامة الذين لا يتقيدون بقواعد اللغة الفصحى، و الغرض منها مجرد التفاهم فيما بينهم في شؤونهم العامة والخاصة، وتسمى هذه اللغة بـ(العامية) إذ كانت في أول ظهورها أقرب إلى الفصحى، ثم أخذت تبتعد بالتدريج عصرا بعد عصر ولنا في هذا حديث في الفصل الثالث.

2/1- العامل الديني: اعتمد المسلمون في معرفة أمور دينهم ودنياهم على القرآن الكريم، فهو مصدر التشريع الإسلامي، والأساس الذي تستخرج منه الأحكام الشرعية، وقد أخبر ا تعالى أنّه أنزل الكتاب تبيانا لكلّ شيء، وذلك في قوله تعالى: **ونزّلنا عليك الكتاب تبيانا لكُل شيءٍ وهدى ورحمةً وبشرى للمسلم** (التوبة 89) وفي ضوء هذه الآية الكريمة وغيرها يتبين أن القرآن الكريم هو الأصل الأولّ للشريعة الإسلامية، فأي خطأ لغوي يحدث فيه يؤدي إلى التغيير في المعنى، وبذلك يتغير القصد والحكم، وفي ذلك إفساد للشرع، وتضليل في الدين.

فما طرأ على اللغة العربية بعد ما اضطربت السلائق، ازداد الفساد اللّغوي مما دفع إلى وضع قواعد نحوية تصون اللغة العربية، ومنع التباس معاني القرآن الكريم، وتذكر الروايات التاريخية أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حين نزل البصرة، تنبه لما آلت إليه حال اللغة العربية من فساد، ففكّر في وضع الأسس الأولى للنحو العربي، وفي ذلك روايات مختلفة تتحدث عن الخطوات الأولى في وضع النحو وسنذكر ذلك عند الحديث عن الواضع الأولّ للنحو العربي.

ويعد العامل الديني السبب الرئيس في ظهور الدراسات اللغوية بصفة عامة والنحوية بصفة خاصة، عند العرب، إذ يقول (ابن خلدون) "وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد الملكة رأسا، ويطول

1- الجاحظ، البيان والتبيين، ج2، ص151.

2- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص397.

3- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ أدب العرب ، ج1، ص237.

4- أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تح: أبو فضل إبراهيم، ط2. الكويت:1973، دار الفكر العربي، ص23.

العهد بهـا، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم"[1] ومن هنا فإن من عوامل نشأة الدرس اللغوي العربي الاهتمام بآي الذكر الحكيم، وتدبر معانيها الشريفة، والخشية على صعوبة فهم نصوصها، بالإضافة إلى الدور الذي يؤديه الإعراب في التفسير والتوصل إلى المعنى[2] ووردت الكثير من الأحاديث الشريفة التي تحثّ على فهم القرآن وتدبر معانيه، ومن ذلك قوله (ﷺ): **(أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه).**

3/1- العامل التعليمي: وهو وضع قوانين تساعد الأعاجم المسلمين على تعلّم اللغة العربية، ويجدها هؤلاء عاصما من اللّحن في كلامهم، خاصة وأنّهم قد أقبلوا على تعلّم لغة الدين الجديد، إذ كانت الضرورة ملحة لتعلّمها حتى يتسن لهم قراءة القرآن، وفهم معانيه وأحكامه، وليس ذلك فحسب "فاللغة العربية الفصحى في ذلك الوقت هي لغة العرب المالكين للسيادة، فهم أعيان المجتمع وأسياده، ومن ثم كان تعلّم الأعاجم لهذه اللغة أمرا حتميا، فاستخدام الفصحى دليل على الرقي والمكانة الاجتماعية العالية"[3] وذلك ما جعل الحاجة الماسة إلى وضع قواعد يعرف بها الصواب من الخطأ في الكلام ويقول في ذلك (شوقي ضيف): "الشعوب المستعمرة أحست بالحاجة الشديدة لمن يرسم لها الأوضاع العربية في إعرابها وتصريفها، حتى تتمثلها تمثيلا مستقيما، وتتقن النطق بأساليبها نطقا سليما"[4] فبطبيعة الحال لا يمكن أن نتعلّم لغة ما بالتقليد الأعمى دون معرفة نظامها وقواعدها.

تلك بعض الأسباب التي كانت وراء وضع النحو العربي، بالإضافة إلى الدافع القومي، بحيث إن العرب كانوا يعتزون بكل ما يملكون- بما في ذلك لغتهم- اعتزازا شديدا، فذلك ما جعلهم يخشون على هذه اللغة من الذوبان في اللّغات الأخرى، وقد وضعوا النحو بعد أن رقيت ملكاتهم العقلية رقيا ملحوظا وذلك بعد أن احتكّوا بالشعوب الأخرى المجاورة، بحيث وجدوا أن لغات هذه الشعوب لها قواعد ففكّروا في إيجاد مثلها للغتهم.

ولهذا الغرض، قصد اللغويون العرب البوادي لجمع المادة اللغوية عن طريق مشافهة الأعراب الفصحاء، إذ اعتمدوا على مجموعة من المعايير سمحت لهم بانتقاء اللغة الفصيحة الخالصة، بعد أن حددوا الفترة الزمنية بآخر القرن الرابع الهجري بالنسبة للعرب الذين يسكنون في البادية، ومنتصف القرن الثاني الهجرة بالنسبة للعرب الذين يسكنون في الحواضر، كما حددوا القبائل التي تؤخذ منها اللغة، وهي تلك القبائل التي لم تتعرض فصاحتها لما يفسدها من مخالطة، أو مجاورة الشعوب غير العربية، وهذه القبائل هي: قيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض من كنانة، وبعض من طيء، وهناك

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، تح: علي عبد الواحد وافي، ط2. القاهرة: 1967، مطبعة الرسالة ص1374.

[2]- محمد سليمات ياقوت، أصول النّحو العربي، دط. الإسكندرية: 2000، دار المعرفة الجامعية، ص31، بتصرف.

[3]- محمود فهمي حجازي، علم اللّغة العربية، دط. الكويت: 1973، دار العلم للملايين، ص242-243.

[4]- شوقي ضيف، المدارس النّحوية، ط8. القاهرة: 1968، دار المعارف، ص12.

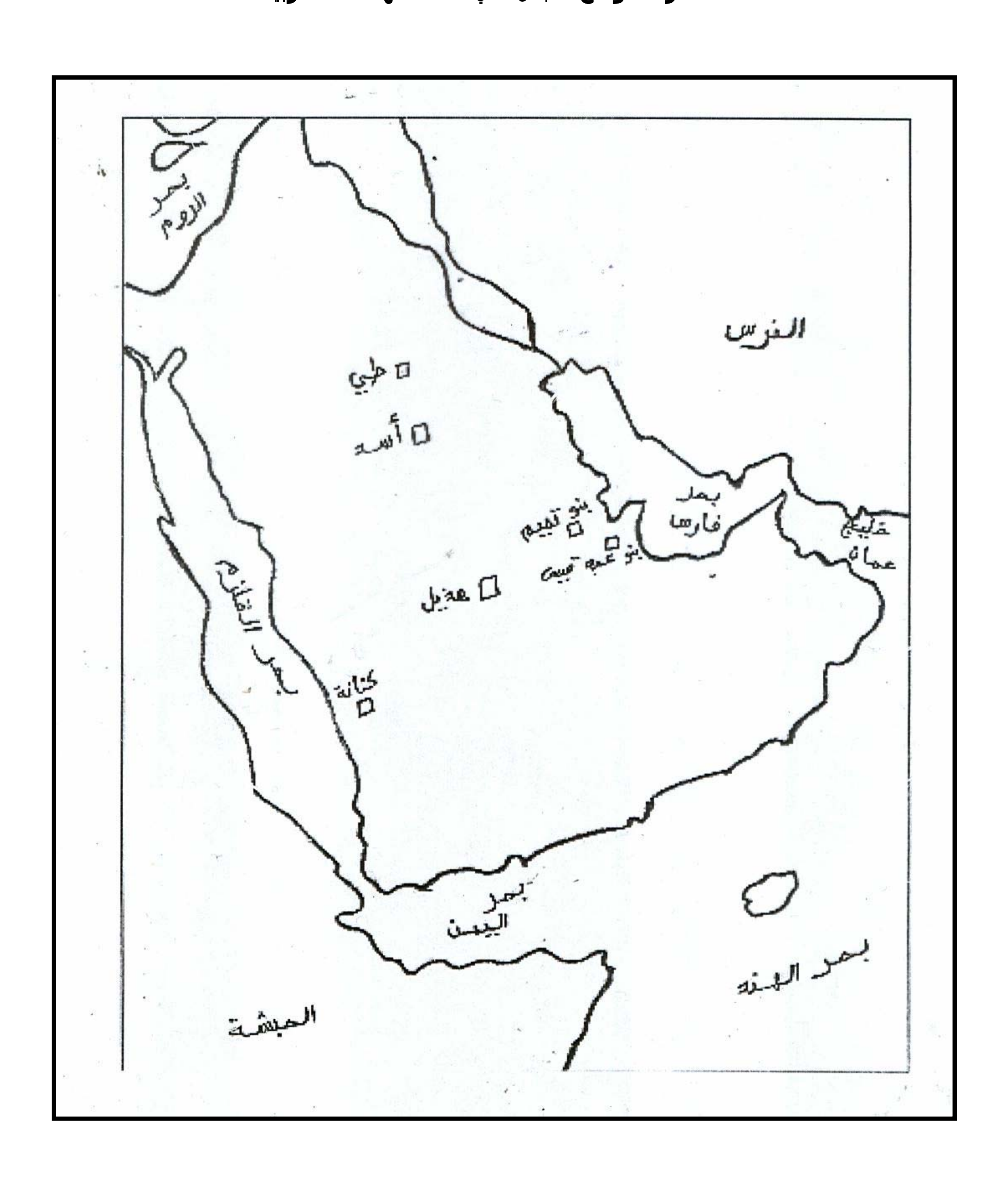
نص مشهور (للفارابي) في كتابه (الألفاظ والحروف) الذي حددت فيه القبائل العربية التي أخذت عنها اللغة.

أما فيما يخص الاستشهاد بكلام العرب الموزون (الشعر) فقد قسم اللغويون الشعراء العرب إلى أربع طبقات[1]:

- **الطبقة الأولى:** الشعراء الجاهليون، وذلك قبل الإسلام كـ (امرئ القيس) و(الأعشى).
- **الطبقة الثانية:** الشعراء المخضرمون، وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام (كالخنساء) و(حسان بن ثابت).
- **الطبقة الثالثة:** الشعراء الإسلاميون، وهم الذين كانوا في الإسلام كـ (جرير) و(فرزدق) و(الأخطل).
- **الطبقة الرابعة:** الشعراء المولدون، وبدايتهم في العصر العباسي كـ (بشار بن برد) و(أبي نواس) فالطبقات الأوليان يستشهد بشعرهما إجماعا، أما الطبقة الثالثة فقد اختلفوا في الاستشهاد بها وأما الطبقة الرابعة فلا يستشهد بها إطلاقا بالإجماع.

[1] - محمود سليمان ياقوت، أصول النحو العربي، ص559.

خارطة توضح القبائل التي أخذت منها اللغة العربية[1]



[1]- محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنشر والشعر، دط. القاهرة: 1981، عالم الكتب، ص68.

ولا يتعداه، أما النّحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله اللّغوي ويقيس عليه"[1] وهو الفرق الجوهري بين عمل اللّغوي وعمل النّحوي، فلكل مهمة خاصة به، واعتمدوا في استخراج القواعد النحوية على مبدأين أساسين هما: السماع والقياس.

- **السماع:** ويعد "الأصل الأول من أصول النّحو العربي وهو كلّ ما نقل عن العرب من شعر، أو نثر سماعا عن العرب الفصحاء بحكم نطقهم للغتهم كما هي"[2] سواء عن طريق الرواية أو عن طريق المشافهة أو السماع المباشر.
- **القياس:** هو الأصل الثاني من أصول النّحو العربي، وهو حمل الفرع على الأصل لعلّة مشتركة بينهما وله أركان: هي الأصل ويقصد به المقيس عليه، والفرع ويقصد به المقيس، والعلّة وهي ما يجمع بين الأصل والفرع والحكم، وهي القاعدة.

2- واضع النحو العربي: لكنّنا قد نساءل: ما مدى صلة أبي الأسود بوضع النحو العربي؟ أو بالأحرى هل واضع النحو العربي عربي محض، وهل تأثّر بثقافات أجنبية؟ بحيث ذهب جمهور اللغويين والمؤرخين إلى أن واضع النحو العربي عربي محض، نشأ بالعراق في صدر الإسلام للأسباب التي دعت إلى وضعه وذهب فريق آخر إلى أن علم النحو، منقول من اللغة اليونانية، لأن وضعه في العراق إنّما كان بعد اختلاط العرب بالسريان وتعلّمهم ثقافتهم، وللسريان نحو قديم ورثوه عن اليونان.

نلاحظ إذن أن ثمة رأيين مختلفين، وفي عجالة نحاول أن ندرس كلّ رأي على حدة، ونبدأ بالرأي الأول.

يقر مساندو الرأي الأول بأن النحو العربي عربي الأصل والمنشأ، وهذا ما ذهب إليه جمهرة من المؤرخين العرب القدماء واتّفقوا عليه، وأن الدافع وراء ظهوره عربيا أصيلا ليس له أية صلة بغيره، ولم يتأثّر باليونانية، ولا السريانية، ولا غيرها من اللغات المجاورة، وفيما يلي نذكر الروايات التي ذكرت ذلك:

يقول (القفطي 624هـ) في كتابه (إنباه الرواة على أنباه النحاة): "أجمع الجمهور من أهل الرواية على أن أول من وضع النحو أمير المؤمنين على ابن أبي طالب(رضي الله عنه) قال أبو الأسود الدؤلي رحمه ا : دخلت على أمير المؤمنين علي(رضي الله عنه) فرأيته مطرقا مفكرا، فقلت: فيما تفكّر يا أمير المؤمنين؟ فقال: سمعت ببلدكم لحنا، فأردت أن أصنع كتابا في أصول العربية، فقلت له: إن فعلت هذا أبقيت فينا هذه

[1]- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص59.

[2]- صالح بلعيد، في أصول النّحو، دط. الجزائر: 2005، درا هومه، ص33.

اللغة العربية، ثم أتيته بعد أيام فألقى إلي صحيفة فيها: بسم ا الرحمن الرحيم، الكلام كلّه اسم وفعل وحرف، فالاسم ما نبأ عن مسمى والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال: تتبع وزد فيه ما وقع إليك،إنّما يتفاضل العلماء في معرفة ما ليس بمضمر ولا ظاهر، فجمعت أشياء وعرضتها عليه، فكان من ذلك حروف النصب فذكرت منها: إن وأن وليت ولعلّ وكأن، ولم أذكر لكن، فقال: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها، فقال: هي منها فزد فيها[1] وقال (أبو البركات الأنباري) في كتابه (نزهة الألباء في طبقات الأدباء) في سبب وضع النحو ما روى (أبو الأسود) إذ قال: دخلت على أمير المؤمنين على بن أبي طالب(ﷺ) فوجدت في يده رقعة فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين، فقال: إنّي تأملت كلام الناس فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعني الأعاجم) فأردت أن أضع لهم شيئا يرجعون إليه ويعتمدون عليه، ثم ألقى إلي الرقعة، وفيها مكتوب الكلام كلّه اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن مسمى، والفعل ما أنبئ به، والحرف ما جاء لمعنى، وقال لي: أنحو هذا النحو وأضف إليه ما وقع إليك، واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة: ظاهر ومضمر واسم لا ظاهر ولا مضمر، وإنّما يتفاضل الناس يا أبا الأسود، فيما ليس بظاهر ولا مضمر، وأراد بذلك الاسم المبهم قال: وضعت بابي العطف والنعت، ثم بابي التعجب والاستفهام إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها ما خلا (لكن) فلما عرضتها على علي (ﷺ) أمرني بضم (لكن) إليها، وكنت كلّما وضعت بابا من أبواب النحو عرضته عليه إلى أن حصلت ما فيه الكفاية قال: ما أحسن هذا النحو الذي قد نحوت، فلذلك سمي النحو"[2] وفي رواية أخرى أن عليا (ﷺ) سمع أعربيا يقرأ: (لا يأكله إلا **الخاطئين)** فوضع النحو ويروى أيضا أنّه قدم أعربي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (ﷺ) فقال: من يقرؤني شيئا مما أنزل ا على محمد(ﷺ)؟ فأقرأه رجل من سورة التوبة، فقال: **إن ا َ بريءٌ من ا ُشرك ورسوله** (التوبة 3) (بالجر) فقال الأعرابي أو قد بريء ا من رسوله؟ إن يكن ا بريء من رسوله، فأنا أبرأ منه فبلغ ذلك عمر (ﷺ) ما قاله الأعرابي، فدعاه وقال له: يا أعرابي أتبرأت من رسول ا (ﷺ) فقال: يا أمير المؤمنين إنّي قدمت المدينة، ولا علم لي بالقرآن، فسألت من يقرؤني فأقرأني هذا (سورة براءة) فقال عمر (ﷺ): ليس هكذا يا أعرابي، فقال: كيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: (إن ا َ برِيء من المشْركين ورسولُه) بالرفع فقال الأعرابي: أنا وا أبرأ ممن بريء ا ورسوله منهم، فأمر عمر (ﷺ) أن لا يقرئ القرآن إلا عالم باللغة وأمر (أبا الأسود الدؤلي) أن يضع

---

[1]- جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1. القاهر: 1986، دار الفكر العربي، ج1، ص39.

[2]- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تح: إبراهيم السامرائي ط3. الأردن: 1985، مكتبة المنار، ص18.

النحو"[1] وقال (محمد بن سلام الجمحي232هـ): "أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهج سبيلها ووضع قياسها (أبو الأسود الدؤلي)"[2] وجاء في كتاب (الأغاني) أن "أبا الأسود دخل على ابنته بالبصرة، فقالت: يا أبي ما أشد الحرّ؟ فرفعت كلمة (**أشدّ**) فظنّها أنها تسأله وتستفهم منه أي زمان الحر أشد؟ فقال: شهر ناجر، فقالت: يا أبتي أخبرتك ولم أسألك"[3] وهناك روايات كثيرة ومختلفة بين ما يسند هذا العمل إلى (علي بن أبي طالب) (رضي الله عنه) وهناك من يستنده إلى (أبي الأسود الدؤلي) بأمر من (علي أبي طالب) و(عمر بن الخطاب) وإن اختلف القدماء في تحديد دور (أبي الأسود) في مجال وضع النحو فإن الشيء الثابت الوحيد الذي اتفقوا عليه هو أن أبا الأسود وضع أولّ نقط يحدد فيه أواخر الكلمات في القرآن الكريم، إذ" قال لزياد بن أبيه: قد أجبتك إلى ما سألت، ورأيت أن أبدأ بإعراب القرآن الكريم، فابعث إلي بثلاثين رجلا، فأحضرهم زياد، واختار منهم أبو الأسود عشرة، ثم لم يزل يختارهم حتى اختار منهم رجلا من عبد قيس، وفي رواية أخرى من قريش، فقال: خذ المصحف وصبغا يخالف لون المداد، فإذا فتحت شفي فأنقط واحدة فوق الحرف، وإذا ضممتها فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، وإذا كسرتهما، فاجعل النقطة في أسفله، فإذا اتبعت شيئا من هذه الحركة غنة (تنوينا) فانقط نقطتين، وابتدأ أبو الأسود المصحف حتى أتى إلى آخره، بينما كان الكاتب يضع النقط"[4] وقد عرف هذا الصنيع في تاريخ الفكر الإسلامي بـ (رسم العربية) أي أن أبا الأسود رسم إعراب القرآن الكريم عن طريق نقط أواخر الكلمات، وتلك هي الخطوات الأولى التي مهدت لأن يظهر علم النحو بأصوله وفروعه.

وأما الرأي الثاني (المعارض) إذ أنكروا صحة هذه الروايات، ونذكر منهم (أحمد أمين) في كتابه (ضحى الإسلام) و(شوقي ضيف) في كتابه (المدارس النحوية) وكثير من المستشرقين بحيث إنّهم اعتمدوا في معارضتهم لذلك على بعض النقاط نذكر منها:

- **أولا:** بداوة عقلية علي بن أبي طالب، و لعلّ هذا الاعتراض أهم الاعتراضات، وأن مصدره الأول هم المستشرون، وقد تبنّاه الأستاذ (أحمد أمين) حيث يقول- بعد عرضه للروايات السابقة- "كلّ هذا حديث خرافة، فطبيعة زمن علي(رضي الله عنه) وأبي الأسود الدؤلي تأبى هذه التعاريف وهذه التقاسيم الفلسفية والعلم الذي ورد إلينا من هذا العصر في كلّ فرع يتناسب مع الفطرة، ليس فيه تعريف ولا تقسيم إنّما هو تفسير آية أو جمع الأحاديث، ليس فيها ترتيب ولا تبويب، فأما التعريف أو التقسيم المنطقي ليس

[1] - أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، ص19-20.

[2] - ابن النديم، الفهرست، تح: مصطفى شويمي، ط1. تونس: 1985، الدار التونسية، ص187.

[3] - أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، تح: لجنة من الأدباء، ط6. بيروت: 1983، دار الثقافة، ص119.

[4] - ابن النديم، الفهرست، ص51.

في شيء مما صح نقله إلينا عن عصر علي وأبي الأسود"[1] والأستاذ (سعيد الأفغاني) يؤيد (أحمد أمين) في رأيه، بعد أن ذكر ما قاله، وقال: "ولعلّ الأستاذ أي (أحمد أمين) لم يكن بعيدا عن الصواب حين روى هذا الخبر، وقال :"لست أدري هل أبقت أمور الخلافة، والحروب، والفتن لعلي وقتا يفرغ فيه للتأليف في العلوم وتنقيحها واختراعها"[2] بعد أن ذكر ما قاله أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) وهذا الرأي يتبناه الأستاذ (إبراهيم مصطفى) إذ يقول: "ولكنّنا لا نستطيع أن نتقبل ذلك- وضع الإمام علي للنحو- بيسر ولا نستسيغ أن هذا الزمن المبكّر قد تمكّن فيه العرب من الاشتغال بالعلوم ووضع القواعد على هذا الوجه الذي نراه في الكتب العربية، وقد أنكر ذلك المستشرقون، وعدوه حديث خرافة"[3] وفي موضع آخر قال: إن طبيعة العرب في صدر القرن الأول للهجرة، لم تكن طبيعة تقسيم أو تبويب، وتعريف للجزئيات، والأقسام والفصول، ولا يقع في تفكير هذا الطبع الساذج، وذلك الجدل النحوي ولا تلك المماحكات، وإنّما هو طبع بسيط ينظر إلى الأمور عامتها لا خاصتها، وكليتها لا جزئيتها، وهذا القول يتناسب وما ورد إلينا من التراث الثقافي لذلك العصر، كتفسير بعض الآيات"[4] فالمعارضون يستعبدون هذه النسبة – نسبة النحو للإمام علي أو لأبي الأسود- لقرب العرب في عصر أبي الأسود من غضاضة البداوة، إذ لابد لقواعد العلوم من مدارسة واصطلاح، لم تتهيأ له عقول العرب بعد، ونجد أيضا الأستاذ (شوقي ضيف) بعد أن يسوق رواية أبي الأسود، يقول معلقا على ذلك: "المسألة لم تقف عند سطور، أو بعض أبواب نحوية تذكر مجملة، بل ألّفت لتصبح مقدمة،أو رسالة صنّفها علي بن أبي طالب، وكأنّه لم يكن مشغولا بها حين ذهب إلى العراق والكوفة لإعداد الجيوش لحرب معاوية، ولا كان مشغولا بحرب الخوارج، وإنّما كان مشغولا بالنحو، ووضع رسومه وأصوله وفصوله، وطبائع الأشياء تنفي أن يكون قد وضع ذلك، ولا يعقل أن تصدر عن علي بن أبي طالب أو أحد من معاصريه، ولعلّ الشيعة هم الذين نحلوا هذا الوضع القديم للنحو الذي لا يتّفق في شيء وأولوية هذا العلم ونشأته الأولى"[5] ويعتبر الأستاذ (شوقي ضيف) هذا من فعل الشيعة، إذ ينسبون كلّ شيء جميل وخارق إلى (علي بن أبي طالب) بما في ذلك وضع النحو العربي.

- **ثانيا:** التأثّر بالثقافات الأجنبية، وهذا الاعتراض لا يقلّ أهمية عن الاعتراض الأول، بل يرتبط به ارتباطا وثيقا، وذلك في كون "ما جاء في التحديد والتقسيمات من طبيعة منطقية أو فلسفية لم تكن تناسب العقلية العربية في ذلك الزمان، وإنّما بعد نقل الفلسفة والمنطق اليوناني إلى اللغة العربية

---

[1]- أحمد أمين، ضحى الإسلام، ط10. بيروت: 1935، دار الكتاب العربية، ج2، ص285.

[2]- سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دط. بيروت:دت، دار الفكر،ص29-30.

[3]- مصطفى السقا" نشأة الخلاف في النحو" مجلة اللغة العربية، ج1، ص95.

[4]- نفسه، ج1، ص 95.

[5]- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص14-15.

وتغلغل ذلك في العلوم العربية والعلوم الإسلامية"[1] ويذهب إلى هذا الرأي الكثير من المستشرقين والمتأخّرون من العرب، ومنهم الأستاذ (محمود السعران) الذي يقول: "النحو العربي- في مرحلته الأولى- تأثّر شيئا من التأثّر بمنطق أرسطو"[2] وهناك من يقول بأن تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف يوناني الوضع والمنشأ، والعرب أخذوا ذلك عن السريان الذين أخذوه بدورهم عن اليونانيين، وذلك لما يربط العرب بغيرهم من المترجمين، وأدى ذلك إلى تأثّر النحو العربي بالنحو اليوناني وبمنطق أرسطو.

- ثالثا: تاريخ تدوين الروايات، وهذا اعتراض آخر يوجه إلى تاريخ تدوين هذه الروايات كونه متأخّرا، فلم تذكر أراء نحوية لعلي (ﷺ) أو لأبي الأسود في الكتب الأولى ، وقيل إنّه لم يذكر في كتاب (سيبويه) ولا فيما بعده رأي نحوي نسب إلى أبي الأسود، ولا إلى طبقتين بعده، وأقدم من نسب إليه رأي نحوي هو (عبد ا بن أبي إسحاق الحضرمي117هـ).

- رابعا: اختلاف الروايات، وذلك في لفظها ومتنها، وفي سبب وضع النحو، وفي واضعه، مما يؤدي إلى الشك في الروايات نفسها، إذ يقول الأستاذ (أحمد أمين) بعد حديثه السابق ويشهد لهذا أي رأي تكذيب الروايات الكثيرة المتناقضة في سبب الوضع، فلا يمكن للمتتبع والباحث الركون إليها ما دامت مضطربة ومختلفة، ولا يطمأن إلى ما تهدف إليه.

وبعد أن ذكرنا هذين الرأيين المتعارضين، نحاول أن نناقش الرأي الذي يفنّد ويعارض الروايات التي ترجع واضع النحو العربي إلى عربي محض، فالاعتراضات هي من قبيل الاجتهادات في مقابل النص، فمع وجود هذه الروايات والنصوص الكثيرة، وإجماع القدماء القريبين زمانا إلى أبي الأسود ووضعه للنحو، فلا مجال لهذه الاجتهادات، والاعتراضات المشكّكة، حتى لو تلبست بلباس البحث العلمي، فالروايات الأقرب إلى عهد الوضع هي الأحرى بالأخذ والثقة.

فالاعتراض الأّول يحتج ببداوة العقلية في زمن علي، ونلاحظ أن الشبهات والاعتراضات التي يثيرها بعضهم حول نسبة النحو للإمام علي (ﷺ) أو نسبة التقسيم الثلاثي وتعريفاته، تشابه الشبهات التي أثرها البعض حول كتاب (نهج البلاغة) ومدى صحة نسبته إلى الإمام علي، لأن فيه بعض التقسيمات والتعريفات، والمصطلحات، والأفكار التي لا يمكن أن تنشأ في تلك الفترة الزمنية البدائية من حيث الوعي والثقافة، ونحن نعلم أن القرآن الكريم، يشتمل على الكثير من التقسيمات والمضامين السامية فلا يستغرب صدور مثل هذه الإبداعات في تلك الفترة الزمنية من الإمام علي، الذي يملك من القوى الفكرية التي يشهد بها التاريخ، أو من غيره.

---

[1] - كمال إبراهيم "واضع النحو الأول" مجلة البلاغ، السنة الأولى، العدد 8، ص17.

[2] - محمود السعران، علم اللغة، دط. بيروت: د.ت، دار النهضة العربية، ص326.

وإن قيل بأن الإمام علي لم يتفرغ لمثل هذه الأمور، فمن يطلع على سيرة الإمام علي يجدها حافلة بسلسلة من الاضطرابات والحروب، فيصعب عليه القيام بوضع النحو للغة العربية، فقد جاء البصرة محاربا ومشغولا بشؤونها[1] لكن اللقاء العلمي تم بين الإمام علي وأبي الأسود بعد الحرب مباشرة وعرض الأمر على الإمام علي، أو ربما الإمام علي هو الذي بادره بذلك، وأيا كان البادئ فقد تمت الموافقة، وكان اللقاء سريعا بدليل الروايات المتشابكة التي لم تستطع هي الأخرى أن تشير بشيء من التفصيل إلى ذلك، أو تقف عنده وقفة طويلة، وذلك ما يؤكده (ابن النديم) في كتابه (الفهرست) الذي شاهد أربعة أوراق في النحو من عمل أبي الأسود، وكان العمل قليلا جدا من حيث الكم لم يكن يتطلّب وقتا لمدارسته.

أما تأثّر النحو العربي باللغات الأجنبية، وأنّه قد استنبطه واضعه من النحو اليوناني، فالاتّصال لم يتم إلاّ في مرحلة زمنية متأخّرة عن تلك المرحلة التي عاشها أبو الأسود، والملاحظ أن بعض المعارضين، في بحثهم عن جذور النحو العربي، نراهم ينتهون إلى (عبد ا بن أبي إسحاق الحضرمي) الذي تتلمذ على يد تلامذة أبي الأسود، وعاش في زمن سابق على زمن الاتّصال الثقافي والتلاقح الحضاري بين العرب واليونانيين، بحيث إن العرب قد اطّلعوا على الثقافة اليونانية بعد ترجمتها إلى العربية، وقد بدأت حركة الترجمة في العصر العباسي، وأن البحث في النحو كان في العصر الأموي، منه أن النحو العربي كان موجودا قبل حركة الترجمة، وقبل العصر العباسي والاتصال الثقافي.

وأما تقسيم الكلام إلى فعل واسم وحرف، فهذا ما هو موجود بالفعل في اللغة العربية، كما هو موجود في اللغة اليونانية وغيرها، وقد ثبت ذلك من خلال ما رواه المؤرخون أن عليا أعطي أبا الأسود أصول النحو العربي وقال له: "الكلام لا يخرج عن اسم وفعل وحرف" وهذا لا يعني بالضرورة أن العرب قد أخذت هذا التقسيم عن اليونانية، فالإمام علي لم ينقل ذلك عن اليونانية، ولم يتّصل العرب باليونانية إلاّ عن طريق السريان، فإنّه "لم تذكر الدراسات أن أحداً من القدماء العرب قد أخذ من اليونانية أو من غيرهم معنى واحد من معاني النحو أو ما يقاربه، ولا توجد ولو إشارة خاطفة إلى المصادر الأجنبية في كتب النحاة الأقدمين، ففي (كتاب سيبويه) نقرأ: اسم كلّ شخص أدلى برأي في مفردة أو في تركيب، ولا نعثر على اسم عالم سرياني أو يوناني"[2] أما من ذهب إلى أن النحاة العرب استمدوا الفكرة الأولى عن العمل النحوي من السريانيين، فذلك محتمل، إذ كان السريان

---

[1]- الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، حققه ورجعه: محمد محمد تامر، محمد عبد العظيم محمد سعيد محمد، شريف محمد، دط. دب: 2006، ج4، ص358- 361.

[2]- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، دط. الجزائر: 2007، منشورات مجمع الجزائري للغة العربية، ص49- 63.

منتشرين في الأوساط الإسلامية بلغتهم، خاصة في العراق وما جاورها، وأن اللغة السريانية سهلة الحفظ والتعلّم وذلك ما نجده في حث الرسول (ﷺ) على تعلم السريانية، ففي حديث عن(زيد بن ثابت) عن النبي (ﷺ) قال: "قال لي النبي أنّي أكتب إلى قوم، وأخاف أن يزيدوا، أو ينقصوا، فتعلّم السريانية، فتعلّمها في سبعة عشر يوما"[1] ومن خلال ذلك يحتمل أن المسلمين قد تعرفوا على الثقافة السريانية والخطوات الأولى في وضع النحو العربي، وإلى هذا يشير (العقاد) بما يفيد أن الفروض العلمية لا تمنع عقلا أن يكون الإمام علي أول من استنبط الأصول الأولى لعلم النّحو من مذاكرة العلماء بهذه الأصول بين أبناء الأمم التي تغشى الكوفة وحواضر العراق والشام، وهم هناك غير قليل ولاسيما السريان الذين سبقوا إلى تدوين نحوهم، وفيه مشابهة كبيرة لنحو اللغة العربية، فيمكن ذلك وليس ببعيد، لأن اللغتين من فروع اللغة السامية، فالتوافق لا يوجد في مجال النحو فحسب، بل يمكن أن يشمل الكثير من المجالات اللغوية.

وفيما يخص تاريخ التدوين والكتابة، فقد تأخّر في شتى المجالات الثقافية، حتى في المصحف الشريف، وليس في مجال النحو فحسب، بحيث كانت المسائل تحفظ في الذاكرة، دون محاولة لتدوينها وكتابتها، مما أدى إلى اختلاف الروايات في شكلها ومتنها، وهذا ما نجده حتى في الحديث الشريف فكيف يكون الحال بالنسبة للروايات التي لا تملك ذلك الحافز الديني، ولا تلك القداسة التي يملكها الحديث النبوي، وربما يرجع ذلك أيضا إلى أسباب مادية تتمثّل في عدم وجود وسائل للكتابة.

ويقال إن ما فعله أبو الأسود هو تنقيط المصحف فحسب، وبإجماع الروايات، فهذا الرجل الذي ملك ذكاء حادا وفطنة، لا يستبعد أن يكون قد وضع بدايات النحو، بعد أن مهد الإمام علي له الطريق وفتح عينيه على هذا الموضوع، فوضع الحركات على المصحف الشريف بواسطة التنقيط، دلالة كبيرة على معرفته الواسعة للغة العربية وحركات الإعراب، وعلى ما يملكه من عمق في التفكير وثقافة لغوية، بل تدلّ على توجهه للقواعد اللغوية، لأن من يخوض في مثل هذه المسائل، ويتكفّل بالقيام بها لابد أن يملك مسبقا توجها وفهما لبعض المسائل، والقواعد الأولية.

ومما ذكره أصحاب التاريخ والأدب، نستطيع القول بأن (الإمام علي) (رضي الله عنه) شعر بضرورة ملحة لوضع قواعد تصون الكلام العربي من اللحن بعد شيوعه في قراءة القرآن، وما يترتّب عليه من أثار سلبية فكانت مهمة المحافظة على سلامة القرآن الكريم من التحريف، ملقاة على عاتقه، باعتباره خليفة المسلمين، فابتدع القاعدة النحوية، وبما أن أبا الأسود كان مرجعا في هذا الجانب، نتيجة لثرائه اللغوي وذكائه، أوكل إليه الإمام علي مهمة استنباط القاعدة النحوية، بعد أن مهد له الطريق بوضع جملة من القواعد الأساسية، وعلى هذا الدرب سار أبو الأسود، وواصل بحثه في صورة أشمل، فاكتشف بعض

---

[1]- أحمد أمين، فجر الإسلام، تقديم: عبد المجيد البصير، ط2. القاهرة: 1994، موفم للنشر، ص142.

القواعد والأبواب النحوية التي ترتبط بصورة مباشرة ووثيقة بشيوع اللحن، وقد كانت القواعد النحوية بسيطة أولية في بدايتها، وبتضافر جهود المجتهدين، توسعت قواعدها، وأسسها، ومبانيها، حتى وصلت إلينا بهذه الصورة التي نتعامل بها في الوقت الراهن.

وفيما يلي أذكر بعض آراء الأستاذ (عبد الرحمان الحاج صالح)[1] فيما يخص علاقة النحو العربي بمنطق أرسطو، وذلك في نقاط متفرقة:

- اطّلاع العرب على معارف اليونان قبل عهد الترجمة، وذلك بواسطة السريان الذين اندمجوا في مجتمعهم الإسلامي المحدث.

- الغريب المقلق أن أشهر هذه الآراء التي ألبست لباس البحث النزيه، هي التي تنفي كلّ طرافة للمناهج العربية في النحو، وتنكر أن يكون النحاة أخرجوا شيئا جديدا لعجزهم، أو عجز البيئة الاجتماعية العربية على إتيان مثل هذا الصنع المبتدع، ورأوا في تقسيم العرب للكلام تقسيما أرسطوطاليسيا محضا.

- ليس من اللازم أبدا أن يؤسس النحو على المنطق، فإن بين الفكر واللغة فوارق جوهرية، وقد أثبت علماء النفس من جهة، والمنطقيون المعاصرون من جهة أخرى أن الكلام لا يطابق كلّ ما يجري في الذهن، فهو آلة للتبليغ.

- المعروف لدى علماء الاجتماع ومؤرخي النظم والأفكار الإنسانية أن العلم الإيجابي لا ينشأ في المجامع والمعاهد، إنّما يولد في المعامل ودور الاختبار، وهذه المعامل هي عند المسلمين الأولين المساجد، حيث كانوا يعالجون مادة القرآن، فاستنبطوا منهجا (نحوا) لاستخراج معانيه، والمحافظة على لغته.

- لا يوجد في كتب أرسطو أي تقسيم للكلام مطلقا.

- إن النحو العربي قد أُسّس على الغرض الذي منه خلق اللسان، وهو الإفادة، فغرضه لغوي محض إذ يجعل الاسم والفعل عمادين للحديث، وهو ما يجري بين المتكلّم والمخاطب، وهو شديد الاهتمام بهذين القطبين للكلام، وفي الأخير يقول: "لم يتأثر النحو العربي في ابتداء نشأته بمنطق أرسطو لا في مناهج بحثه، ولا في مضمونه التحليلي، فإنّه لا يدين بشيء أصلا فيما أبتناه أمره للثقافة

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص53.

اليونانية"[1] فالنحو العربي عربي الأصول والمنشأ، ولا ننفي تأثّره باللغات الأخرى في مراحل تطوره، وفي تفريعاته بعد اتّصال العرب بالأعاجم، وحدث التبادل الثقافي بينهم، وتأثر العرب بالفلسفة والمنطق، بحيث دخلت على إثر ذلك إلى النحو مسائل وعناصر جديدة، كما تأثرت العلوم الإسلامية الأخرى بمثل هذه الثقافات.

لقد أظهرت هذه الحركة اللّغوية ونشاطها مجموعة من آراء وأفكار لدى النحويين، تتوافق أحيانا وتختلف أحيانا أخرى، وذلك ما مهد لظهور مذاهب نحوية، أو ما يسمى بالمصطلح الحديث بـ: (المدارس النحوية) اتّخذت اتجاهات مختلفة باختلاف المبادئ التي بنت عليها منهجها، لكن رغم ذلك الاختلاف فإنّها تصب في هدف واحد، وهو خدمة اللغة العربية والحفاظ عليها من اللحن والخطأ.

3- المـدارس النحوية: إنّ المدارس النّحوية مصطلح يشير إلى اتجاهات في دراسة النّحو العربي اختُلفت في مناهجها، وفي بعض المسائل النّحوية الفرعية، وارتبط كلّ اتّجاه منها بإقليم عربي معين فأنشئت مدرسة بالبصرة، ومدرسة بالكوفة، وأخرى ببغداد... وهكذا، ولم يكن لهذا الارتباط المكاني دلالة علمية خاصة، ويرى بعض الباحثين أن القدماء لم يطلقوا على مسائل الخلاف في النحو القديم كلمة (مدرسة) فلم يؤثر عنهم مصطلح المدرسة البصرية ولا مصطلح المدرسة الكوفية، ولكن نقرأ من قولهم مذهب البصريين ومذهب الكوفيين، غير أن المعاصرين استحسنوا لفظ **المدرسة** فاستعاروها في مادة الاختلاف النحوي، كما استعاروها في مسائل أدبية أخرى.

ولعلّ هذا ما ذهب إليه الباحثون المعاصرون في تاريخ النحو والنحاة، فأثبتوا مصطلح (المدرسة) في النحو، غير أنّك حين تنظر في التراث النحوي لا تجد جمهرة النحاة - بصريين وكوفيين وغيرهم-قد اختلفوا في أصول هذا العلم، ولم ينطق هؤلاء من أفكار متعارضة، إذا اختلفوا في مسائل فرعية تتّصل بالتعليل والتأويل، فكان لهؤلاء طريقة أو مذهب، ولأولئك طريقة أو مذهب آخر، وقد يكون هذا الاختلاف بين بصري وبصري آخر، كما كان بين كوفي وكوفي آخر، والمثال على ذلك هو "اختلاف (الكسائي) و(الفراء) في مسائل نحوية كثيرة وهما ينتميان إلى المدرسة الكوفية"[2] وليس مستحيلا أن تجد بصريا وافق الكوفيين أو العكس، وعلى كلّ حال، فقد شاع بين المحدثين استقلال كلّ مصر من هذه الأمصار بمذهب شاع بين علمائها ونحاتها، وألّفت كتب في هذا التواطؤ، فهناك كتاب عن مدرسة الكوفة وآخر عن مدرسة البصرة، وصنّف مثلا الأستاذ (شوقي ضيف) كتابا في المدارس النّحوية، أجمل فيه الجهود الخصبة لكلّ مدرسة.

---

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص53.

[2]- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، ط4. القاهرة: 1982، دار المعارف، ص118-119.

ونحن هنا سنتحدث عن أهم هذه المدارس، لا عن مجملها، لأن الغرض من هذا البحث ليس المدارس النحوية في حد ذاتها، ولهذا سيقتصر الكلام على ذكر المدرسة البصرية، والمدرسة الكوفية والمدرسة البغدادية، وخصائص الدرس النحوي فيها.

1/3- خصائص الدرس النّحوي عند البصريّين: تعهد البصريون وحدهم النحو بعد مرحلة وضعه المبكرة على يد (أبي الأسود الدؤلي) بإرشاد من (علي بن أبي طالب) بالعناية والرعاية قرابة قرن من الزمن، وقد اتّجهت البصرة وجهة خاصة في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط، ومبلغ الاعتداد بالشواهد وغير ذلك، ونشأ عن هذا أن أصبح للبصرة مذهب له طابع خاص، وقد وضع البصريون قواعد عامة لنحوهم، والتزموا بها بشدة، فأخذوا بالشواهد الموثوق بصحتها كثيرة النظائر المسموعة من الفصحاء باطراد[1] فكانت قوانينهم التي أقاموها على هذه الشواهد أقرب إلى الدقة، أما ما ورد من صحيح كلام العرب مخالفا لها، فإنّهم كانوا يؤولونه لينسجم معها، أو يحكمون عند عجزهم عن التأويل بأنّه شاذ عن القاعدة، لأن قائله ممن يحتج بكلامه، لكنّه يحفظ ولا يقاس عليه، أو "يرمون هذا المخالف بأنّه مصنوع لا يلتفت إليه، أو لحن من مولّد ينبغي أن يطرح، لذا كثر من ذلك عندهم التأويل، والحكم بالشذوذ"[2] بل لقد تجرأ البصريون على أكثر من ذلك فخطّأوا أحيانا بعض العرب من أهل الاحتجاج في أقوالهم، أو في قراءتهم للقرآن، إذا لم تجر على قواعدهم، وهم بذلك قد فضلوا القانون النحوي وآمنوا بسلطانه، وسايروا القاعدة النحوية، وأهدروا ما خالفها حتى لو كان مسموعا صحيحا.

وكما رفض البصريون الاستشهاد بالحديث لما "أدعى أنّه روي بالمعنى، كما أن من رواة الحديث الشريف نجدهم أعاجم ليسوا فصحاء"[3] وكان البصريون أقلّ رواية للشعر من الكوفيين، ذلك ما جعل البصري يتحرج من أن يأخذ عن الكوفي الشواهد، ومن هنا قال البصريون مفتخرين على الكوفيين: "نحن نأخذ اللغة من حرشة الضباب وأكلة اليرابيع، وأنتم تأخذونها من أكلة الشواريز وباعة الكواميخ"[4] أي أن البصريين أخذوا اللّغة عن البدو الخلّص، في حين أخذها الكوفيون عن عرب المدن "فالشواريز جمع شراز، وهو اللبن الرائب المصفى الثمين، والكواميخ أو الكوامخ جمع كامخ بفتح

---

[1]- شوقي ضيف، الدارس النحوية، ص18-19، بتصرف.

[2]- إبراهيم عبود السمرائي، المفيد في المدارس النحوية، ط1. عمان: 2007، درا المسيرة، ص23.

[3]- عبده الراجحي، دروس في المذاهب النحوية، ط2. بيروت: 1979، دار النهضة العربية، ص11.

[4]- ابن النديم، الفهرست، ص92.

الميم أو كسرها، وهو مخال يشهي الطعام"[1] وإن ثبت ذلك، فإن الفرق جلي بين من يأخذ اللغة من البادية ومن يأخذها من الحواضر.

لقد كانت طريقة البصريين الأكثر صرامة على اللغة وشواهدها، والأكثر خضوعا للانتقاء واتّصافا بالدقة فيه، مما جعلهم أشبه بالمحافظين المتمسكين بالقديم الثابت، أضف إلى ذلك تأثّرهم بالمعارف العقلية، وبالمنطق تأثّرا عميقا، إذ أخضعت الأصول إلى أحكام العقل إن وجد تعارض بين النقل والعقل[2] وأكثروا في التأويل، والتقدير، والتوجيه، وعنوا بالقياس واعتدوا به، واعتمدوا عليه والتزموا الدقة في إجرائه، وفي إقامة علله، محتكمين إلى الموازين العقلية المنطقية، ومتأثّرين بالمنهج الفلسفي، وانشغلوا بالتقعيد والتقنين، نتيجة لهذا التأثّر بالمنهج الفلسفي وبالمنهج الكلامي، عن الاهتمام بمادة اللغة لذاتها، فحاولوا إخضاع هذه المادة لما وضعوه من قوانين وقواعد، اعتمدت على أسس فلسفية، وتأثّرت بالروح المنطقية حتى نجد لديهم للقوانين قوانين أخرى، وللعلل الأولى عللا ثواني وثوالث.

2/3- خصائص الدرس النحوي عند الكوفيين: انصرف الكوفيون في البداية عن الدرس النحوي إلى رواية الأشعار، والأخبار، والنوادر، ثم بعد ذلك تنافسوا تنافسا شديدا قرابة قرن من الزمن، خرج بعدها علم أصول النحو كامل العناصر، وانتهى الاجتهاد فيه تقريبا.

ولقد أخبر (أبو الطيب اللغوي) في كتابه (مراتب النحويين) أنّ الكوفة اتّجهت وجهة خاصة في أساليب البحث النحوي وطرق الاستنباط ومبلغ الاعتداد بالشواهد وغيرها، ونشأ عن هذا أن أصبح للكوفة مذهب له طابع خاص، إذ كان الكوفيون أساس وأكثر تساهلا مع اللغة المحتج بها، إذ احترموا كلّ ما صح سماعه من العرب ولو خالف قواعدهم، وأجازوا القياس عليه، بل عدوه أساسا لوضع قاعدة جديدة، وقد اعتمدوا على الشعر المصنوع، وعلى الشعر المنسوب لغير قائله دون أن يهتموا بالتمحيص، واكتفوا بالشاهد الواحد وبنوا عليه حكمهم، واستنبطوا منه قاعدتهم، إذ يقول (أبو الطيب اللّغوي): "الشعر بالكوفة أكثر وأجمع منه بالبصرة، ولكنّه مصنوع ومنسوب إلى من لم يقله، وذلك بين في دواوينهم"[3] وبذلك كان الكوفيون أكثر رواية للشعر، وكان المصنوع لديهم منه أكثر من الشعر المصنوع عند البصريين، وهذا السبب الذي جعل النحو الكوفي يأخذ بشواهده من نظيره البصري وليس العكس.

---

[1]- محمود سليمان ياقوت، أصول النحو العربي، دط.الاسكندرية:2000، دارالمعرفة الجامعية،ص565.

[2]- صالح بلعيد، في أصول النحو، دط. الجزائر: 2005، دار هومه، ص146-147، بتصرف.

[3]- أبو الطيب اللغوي، مراتب النّحويين، ص 24.

ويترخّص الكوفيون أحيانا، فيأخذون بالقياس النظري على مقتضى الرأي كلّما أعوزتهم الشواهد المسموعة، فوصلوا بذلك إلى بعض قواعدهم دون الاعتماد على شاهد مروي أو أثّر مسموع، وهذا ما أدى بهم إلى أن يقلّ عندهم التأويل والحكم بالشذوذ، ومما اعتد به الكوفيون أيضا شعر الأعراب الذين فسدت سليقتهم بسبب الاختلاط بالحواضر، ولعلّ أهم ما يميز المدرسة الكوفية عن المدرسة البصرية اتساع الأولى في رواية الأشعار وعبارات اللّغة عن جميع العرب، بدوهم وحضرهم، بينما كانت "المدرسة البصرية تتشدد تشددا، جعل أئمتها لا يثبتون في كتبهم النحوية إلاّ ما سمعوه عن العرب الفصحاء الذين سلمت فصاحتهم من شوائب التحضر وآفاته"[1] وقد حمل هذا البصريين على أن يكثروا من إنكار شواهد الكوفيين والإعراض عنها، وقد أخذ الكوفيون بكلّ شاهد مهما كانت درجته، إلى أن أصبحوا أشبه بالمجددين، يلتمسون التوسع ويجرون وراء الابتكار، وتميز نحوهم بالترخص وبالاهتمام بتتّبع الروايات اللّغوية، والتسامح في الأخذ عن كلّ واحد، إذ كانوا إذا سمعوا بيتا واحدا فيه شيء مخالف لأصولهم جعلوه أصلا، وبوبوا عليه، وبأنّهم أخذوا عن أعراب قرى بغداد والكوفة، وهم عند البصريين غير أهل الفصاحة، وممن لا يجوز الأخذ منهم، ولم يخرجوا عن القراءات في هذا الإطار "غلبوا الطابع التسجيلي، فاحترموا اللّهجات تأثرا بالقراءات القرآنية جميعها"[2] إذ التزموا بالقراءات المختلفة واعتدوا بها، مهما كانت درجتها، لإيمانهم بأن كلّ قراءة سنّة متّبعة يلزم الاعتداد بها والمصير إليها، وحرصوا على الانتفاع من جميع المصادر اللغوية مهما كانت منزلتها، وآثروا الاعتماد على النقل، فقدموه على العقل بسبب تأثّرهم بمنهج القراء، إذ كانت الكوفة آنذاك مهبط المشتغلين بالقراءات القرآنية واللّغة، مما جعلهم أكثر حرصا على تفسير الظواهر الإعرابية تفسيرا أدنى إلى طبيعة اللغة نفسها، وأكثر عزوفا عن التأويلات وخاصة البعيدة منها الذي يخالف الظاهر وكانوا أشد حرصا من البصريين على التقدير والحذف ونحوهما عن إتّباع التوجيهات الغريبة المصطنعة، "ولعلّنا بذلك نستطيع أن نفهم السر في أن نحو المدرسة البصرية هو الذي ظلّ مسيطرا على المدارس التالية وعلى جميع الأجيال العربية التي جاءت من بعدهم، لأن قواعدهم هي القواعد المطردة مع الفصحى"[3] والسبب في ذلك أن البصريين استنبطوا القاعدة من كلام العرب الفصحاء، ولم يقيسوا على الشواذ النادرة في العربية، وطلبوا في قواعدهم الاطراد، والعموم، والشمول، وكان ذلك من عباقرة المدرسة البصرية أمثال (الخليل) و(سيبويه).

3/3- المـدرسة البغـدادية: تختلف هذه عن سابقتيها كثيرا، من ذلك أن التأسيس لعلم النحو العربي قد تفردت به المدرستان، البصرية والكوفية، اللتان عرفتا لدى اللغويين باسم (المدرستان

[1]- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص159.

[2]- صالح بلعيد، في أصول النحو، ص150.

[3]- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص162.

التأسيسيتان) في حين جاءت الثالثة لتنتقي بين هذه وتلك، حتى عرفت باسم (المدرسة الانتخابية) وتأخّر تمصير بغداد سبب تأخّر دورها في الدراسات النحوية، لكن لابد للعاصمة من استقطاب النخبة المثقفة بحيث أخذ الخلفاء يشجعون العلماء، ويدعونهم إلى تضييق فجوة الخلاف، والقضاء على أساس العداوة، وذلك من أسباب انتقال الدرس النحوي إلى بغداد، حيث "التقت كلّ ألوان الفن والعلم فاحتكّت وتمازجت"[1] وبعد أن التقت المدرستان البصرية والكوفية في عاصمة الخلافة في بغداد في القرن الثالث للهجرة، انقطعتا عن الوجود، وامتزجت إحداهما بالأخرى رويدا رويدا، وسميت المدرسة الجديدة التي قامت على أنقاض المدرستين القديمتين، المدرسة البغدادية، إذ كان عملها منحصرا في التوفيق بين المذهبين، فتارة يغلب المذهب الكوفي، وأحيانا يحدث العكس، حيث يطغى المذهب البصري، لكن في معظم الحالات نجد البصرة تبسط أجنحتها في هذه المدرسة[2] فالمدرسة البغدادية ليست قائمة في نظر بعض الدارسين القدامى، لأنّها لا تملك نهجا خاصا، ولم تقدم جديدا في دراساتها النحوية، فهي "لم تضف جديدا إلى الدرس النحوي لكنّها كسرت جليد الخلاف بين المدرسين الأوليين وانتهجت موقفا توفيقيا يجمع بين الرأيين، ويقرب ما بين المنهجين، وتركت للدارسين حرية الاختيار واصطفاء الأفضل، ولكن هذا الاصطفاء يقتضي إعمال العقل في البحث والتقويم والغربلة"[3] وبهذا تأسست المدرسة البغدادية بمنهج خاص يقوم على انتخاب أفضل الآراء، وخرجت من الخلافات والتعقيدات والمسائل النحوية الشائكة.

4- مسائل الخلاف بين مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة: لم يكن الخلاف بين علماء المدرسيتين في أسس النّحو وأصوله ومبادئه التي مازلنا نأخذ بها إلى اليوم، وإنّما هو خلاف في بعض الفروع التي تتّصل بالتقديم والتأخير، والحذف والزيادة، وتعدد صيغ الجمع والمفرد، ووجوه الإعراب التي تجوز في بعض الكلمات ولهجات العرب، وفي استعمال بعض الحروف العاملة مثل: (لعلّ) وتصنيفها لبعض الكلمات، أهي أسماء أم أفعال مثل: (أفعل) في التعجب وغير ذلك من القضايا التي لا تؤثّر في بنيان النحو الذي أقامه علماء المدرستين، وهذه المسائل التي اختلفوا فيها، بعضها صرفي وبعضها الآخر نحوي، وسنورد بعض النماذج[4] من باب التمثيل فحسب.

---

[1]- سعيد الأفغاني، من تاريخ النحو، دط. بيروت: دت، دار الفكر، ص93.

[2]- صالح بلعيد، في أصول النحو، ص154.

[3]- شوقي ضيف، المدارس النحوية، ص170.

[4]- أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، قدمه: حسن حمد، ط2. بيروت: 2007، دار الكتب العلمية، ج1، ص18.

1/4- المسائل الصرفية:

- اختلافهم حول الأصل في اشتقاق الاسم، وقد ذهب الكوفيون إلى أن الاسم مشتق من الوسم وذهب البصريون إلى أنّه مشتق من السمو.
- ومن المسائل المتّصلة بالصرف، القول في أصل الاشتقاق: هو فعل أو مصدر إذ ذهب الكوفيون إلى أن المصدر مشتق من الفعل وفرع منه، وذهب البصريون إلى أن الفعل مشتق من المصدر وفرع منه، بالإضافة إلى مسائل خلافية تتعلق بوزن الكلمات.

2/4- المسائل النحوية: سأورد منها بعض نماذج مما أورده صاحب الإنصاف[1]وهي كما يلي:

- الاختلاف في رافع المبتدأ ورافع الخبر، فقد ذهب البصريون إلى أن العامل في المبدأ المرفوع هو الابتداء، أما الخبر فذهب جمهورهم إلى أنّه مرفوع بالمبتدأ، وقال قوم منهم مرفوع بالابتداء مثله في ذلك المبتدأ، وذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ أي هما مترافعان.
- مسألة (نعم وبئس) ذهب البصريون إلى أنّهما فعلان ماضيان لا يتصرفان، وذهب الكوفيون إلى أنّهما اسمان.
- تقديم خبر(مازال) وأخواتها عليها، فقد أجازه الكوفيون ومنعه البصريون.
- تقديم خبر (ليس) عليها، منعه الكوفيون وأجازه البصريون.

وغيرها من تلك المسائل التي اختلف حولها البصريون مع الكوفيين من مسائل النحو والصرف، والتي أحصاها (أبو البركات ابن الأنباري) بإحدى وعشرين ومائة مسألة، وافق في بعضها نحاة البصرة وخالفهم في بعضها الآخر ليذهب فيها مذهب الكوفيين.

واختلفت الآراء حول المدارس النّحوية التي تستحقّ تسمية مدرسة، فهناك من قال بأنّه لا توجد مدرسة بأتم معنى الكلمة، بعد المدرسة البصرية، وإلى ذلك انحازالأستاذ (حلمي خليل) في كتابه (من تاريخ النحو العربي) معتمدا في ذلك أن "الشرط الأساسي في وجود مدرسة علمية مختلفة هو وجود نظرية علمية أخرى مختلفة تؤمن بها، وتدافع عنها جماعة أخرى من العلماء والباحثين"[2] بحيث إن اتّخاذ المعيار الجغرافي أساساً لتقسيم العلوم إلى مدارس فكرية مختلفة غير صحيح، لأن وجود مجموعة من الدارسين أو العلماء في مكان واحد، لا يكفي لتشكيل مدرسة علمية، فمصطلح مدرسة

---

[1]- أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ج1، ص18.

[2]- حلمي خليل، من تاريخ النحو العربي: دراسة ونصوص، دط. الإسكندرية: 1995، دار المعرفة الجامعية، ص136.

يقول الأستاذ (حلمي خليل) لا ينطبق إلاّ على مدرسة واحدة وهي مدرسة البصرة"[1] ليذكر بعد ذلك الكاتب في الموضع نفسه بعض الأسباب التي اعتمد عليها، ومنها:

- البصرة هي صاحبة نظرية العامل التي يدور عليها النحو العربي.
- البصرة هي صاحبة الأصول الأولى للنظرية النحوية، ممثلة في مصطلحات السماع، والقياس والتعليل.
- نحاة الكوفة قد تلقوا أصول النحو ونظريته على نحاة البصرة.
- هناك خلاف في المصطلحات بين البصرة والكوفة، لكنّها ذات مدلول واحد، وعليه، فإن للعرب مدرسة واحدة تستحقّ هذا الاسم (**مدرسة**) ألا وهي مدرسة البصرة، ولاسيما إن كان معيار امتلاك (**النظرية**) مضبوطا وشرطا متّفقا عليه.

وهناك من ينكر وجود مدارس أخرى غير البصرة والكوفة، كون المدارس الأخرى لم تضف شيئا إلى النحو، بل اكتفت بالدراسة وغربلة الآراء النّحوية لهاتين المدرستين، بحيث إن "النّحو قد تأسس على يد طبقات هاتين المدرستين، وبقية المدارس لم تخرج من برنوسهما، فهي مجرد إعادة وشروح لآراء المدرستين"[2] ونحن نكتفي في هذه الدراسة بالحديث على مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ومدرسة بغداد، لكون مدرسة البصرة هي المدرسة المؤسسة لنظرية النّحو العربي، ومدرسة الكوفة التي خرجت من رحمها، واختلفت عنها في بعض الفروع، وليس في الأصول، أما مدرسة بغداد يمكن أن نقول بأن المدرستين المتنافستين قد اندمجتا فيها، وذلك في نهاية القرن الثالث للهجرة، وهي المدرسة التي أخذ روادها بانتخاب مزايا كلّ من المدرسين السابقتين وتوحيدها في مذهب جديد يعتمد على انتخاب أفضل الآراء، والخروج من الخلافات والمسائل النّحوية الشائكة، لكن ما جاءت به المدارس النحوية التالية لسابقاتها، لا يقلّ أهمية عن سابقه، إذ جاءت خدمة للّغة العربية، وحاولت تيسير النحو، وإلغاء المسائل الخلافية بين النحويين، وإلى هذا تهدف المدرسة الأندلسية، إذ نجد (ابن مضاء القرطبي ت 592هـ) في كتابه (الرد على النحاة) قد دعا إلى إلغاء بعض المفاهيم في علم النحو المعمول بها لدى البصريين خاصة، كمفهوم (العامل) و(العلل الثواني) و(الثوالث) ودعا إلى إلغاء التقديرات والتأويلات، بحيث حاول وضع نموذج جديد لوصف اللّغة العربية، والتقعيد لها، وفق أصول

[1] - حلمي خليل، من تاريخ النحو العربي: دراسة ونصوص، ص136.

[2] - صالح بلعيد، في أصول النحو، ص154.

ومبادئ فكرية وفلسفية، تختلف اختلافا جذريا عن تلك التي وضعتها البصرة، وقد انصب نقده على **نظرية العامل** التي دفعت النّحاة إلى ما أفاضوا فيه من التعليل، والتأويل، والحذف والتقدير، إذ يقول "إنّي رأيت النحويين- رحمة ا عليهم- قد وضعوا صناعة النحو لحفظ كلام العرب من اللحن وصيانته عن التغيير، فبلغوا من ذلك الغاية، وانتهوا إلى المطلوب الذي اتّبعوا، إلاّ أنّهم التزموا ما لا يلزمهم وتجاوزوا فيها القدر الكافي فيما أرادوا منها، فتوعرت مسالكها، ووهنت مبانيها"[1] لكن نظرية (ابن مضاء) التي دعا إليها لم تجد صدى في كتابات العلماء والنّحويين من بعده، إذ وقفت عند حدود الدعوى لها دون أن يؤمن بها أحد، أو يدافع عنها أحد، كما لم يظهر أثرها في أي مؤلفات نحوية بعد ذلك إلى أن جاء العصر الحديث، وبالضبط سنة 1947، حيث قام الأستاذ (شوقي ضيف) بتحقيق كتاب (الرد على النحاة) فبعث نظرية ابن مضاء من جديد.

فبفضل جهود النّحاة القدامى المؤسسين، والتابعين لهم، باختلاف طبقاتهم، خرجت اللغة العربية الفصحى بقواعدها النحوية التي تعد حصنها المنيع من اللّحن، ووسيلة وقائية خاصة بعد أن صارت وعاء يحوي كلام ا ، وبذلك كتب لها البقاء يتوارثها جيل عن جيل.

وعلى الرغم مما شاب النّحو من شوائب، وما وجه له من نقد، لا يستطيع أحد أن ينكر قيمة النحو العربي، ومقدرة النحاة الفائقة التي تصل أحيانا إلى حد الإعجاز، كما عبر عن ذلك الأستاذ (عباس حسن) في إشارة إلى تلك العناية المعجزة التي بذلها الأولون في جميع أصول اللّغة، ولم شتاتها واستنباط أحكامها العامة والفرعية، وحياطتها بسياج من اليقظة الواعية والحيطة الوافية.

ولتدعيم هذه الفكرة، أسوق قول أحد المستشرقين: "إن علم النحو أثر من آثار العقل العربي، لما فيه من دقّة في الملاحظة ونشاط في جمع ما تفرق، وهو لهذا يحمل المتأمل فيه على تقديره، ويحق للعرب أن يفرحوا به" وكذلك قول (يوهان فك): "ولقد تكفلّت القواعد التي وضعها النّحاة العرب -في جهد لا يعرف الكلال وتضحية جديرة بالإعجاب- بعرض اللغة الفصحى وتصويرها في جميع مظاهرها حتّى بلغت كتب القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد" وقول (فيشر): "إذا استثنينا الصين، لا يوجد شعب آخر يحق له الافتخار بوفرة كتب علوم لغته، وشعوره المبكّر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها حسب أصول وقواعد غير العرب".

ومن خلال هذا العرض التاريخي ظهرت لنا جملة من النتائج التي من الضروري الإشارة إليها في ختام هذا الفصل، وهي على هذا النحو:

[1]- بكري عبد الكريم، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، دط. الجزائر: 1982، ديوان المطبوعات الجامعية ص175.

- أن الغاية التي نشأ النحو العربي من أجلها، ضبط اللغة العربية، وإيجاد الأداة التي تعصم المتكلّم بها من الوقوع في اللحن اثناء الكلام، وهذا يظهر من طبيعة هذا النحو ذاته، إذ يبدو نحوا تعليميا لا علميا، ومعياريا لا وصفيا، ولكن ليست هذه الغاية الوحيدة، إذ إن الاهتمام بالنص القرآني وتدبر معانيه من أهم هذه الغايات.
- لم يقم النحاة العرب القدامى بدراسة اللهجات لذاتها، بل كان ذلك باعتبارها تأديات مختلفة للسان العربي، والغرض من ذلك الوصول إلى استخراج نظام نحوي موحد، لكنّهم في ذلك لم يأخذو بعين الاعتبار مبدأ الفصل بين مختاف المراحل التي مرت بها الغة العربية، واقتصروا على مرحلة واحدة.
- أن وجود المدارس النحوية يعتبر مساحة واسعة لتطوير قواعد اللغة العربية، وجعلها تستوعب كلّ ظاهرة لغوية جاء بها القرآن الكريم، أو استعملها العرب الفصحاء، واختلفت هذه المدارس في الفروع، ولم تختلف في الأصول.

وليس الحديث عن النحو العربي ومدارسه إلاّ للوقوف عند محطّة من بين أهم المحطّات التي مرت بها اللغة العربية، ونحن بصدد الحديث عن هذه اللغة من حيث أصولها، ونشأتها، وبعض المراحل التي مرت بها في طريقها إلى نضجها واكتمالها حتّى صارت لغة مشتركة، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فلعلّ الحديث عن المستويات اللغوية يتطلّب الإشارة إلى القاعدة النحوية التي تمثّل المستوى المعياري، وبها تقاس درجة الفصاحة التي هي معلم هام من معالم هذه المستويات.

الفصل الثاني

واقع استعمال اللغة العربية في العصر الحديث

لما انتشرت اللغة العربية في مناطق متفرقة من الأرض، ولاسيما بعد الفتوحات الإسلامية امتزجت اللهجات العربية باللغات الأصلية للبلدان المفتوحة، فأخذت اللغة العربية في احتكاك متزايد باللغات الأخرى، منها ما ينتمي إلى الأسرة الآرية، كالفارسية، واليونانية، واللاتينية، ومنها ما ينتمي إلى الأسرة السامية، كالآرامية والعبرية، والنبطية، والحبشية، ومثال ذلك: احتكاك اللغة العربية بالآرامية في العراق والشام، وبالقبطية في مصر، وبالبربرية في شمال إفريقيا، ذلك ما أسهم في ظهور أشكال تعبيرية وصوتية متباينة "وانظمت إلى الفوارق الأصلية في لهجات العرب العناصر اللغوية التي دخلت إلى تلك اللهجات من اللغات الأصلية في ولايات الدولة الإسلامية، وبذلك أصبح للعربية ما اصطلح عليه بـ (لغة الخاصة) وهي لغة العرب و (لغة العامة) وهي لهجة المولّدين اللاحنة"[1]وكان من أثر هذا الاحتكاك إثراء اللغة العربية بالدخيل، بحيث اقترضت كثيرا من ألفاظ هذه اللغات في مجالات مختلفة، فالتأثير والتأثّر بين اللغات ظاهرة باقية ببقاء اللغات، بالإضافة إلى انتشارها وكثرة المتكلّمين بها ويتولّد من جراء ذلك ظهور مستويات تعبيرية مختلفة "فاللغة مهما كانت إذا انتشرت في مناطق واسعة، ويكثر المتكلّمون بها، من غير أبنائها، يستحيل عليها الاحتفاظ بوحدتها، فلابد لها أن تتغير قليلا أو كثيرا في بنيتها، وأصواتها، وتراكيبها"[2] لما يلحقها من ألفاظ وأساليب جديدة، وكلّ ذلك يسمح بظهور ما يسمى (العاميات) ويحضر قول الأستاذ (سمر روحي الفيصل) في كتابه (المشكلة اللغوية العربية) إذ ميز بين نوعين من (العاميات) فالنوع الأول تشكّل في عصر الفتوحات الإسلامية نتيجة التقاء اللهجات باللغات السائدة في الأمصار، مثل اللهجات الحجازية والنجدية، ويتميز هذا النوع بقربه من اللغة العربية الفصحى، أما النوع الثاني، فقد بدا يتشكّل بعد أن استقرت الفتوحات، وضعف الحكم العربي، وشرعت العناصر الأجنبية تتّسم مقاليد السلطة في المجتمع الإسلامي، ويتميز هذا النوع من العاميات ببعده النسبي عن اللغة الفصحى "وهذا النوع الذي استمر يتفاعل مع المؤثّرات الأجنبية حتى بداية القرن العشرين"[3] نظرا لما عرفته الدول العربية من حركة استعمارية لفترات متفاوتة بحيث إن الدول المستعمرة فرضت لغاتها باتّخاذها لغة للتعليم، وبذلك عرفت اللغة العربية الفصحى مزاحمة مزدوجة من العامية من جهة، ومن اللغات الأجنبية من جهة أخرى.

1- آمنة إبراهيمي، وضع اللغة العربية بالمغرب وصف ورصد وتخطيط، ط1. الرباط: 2007، زاوية للفن والثقافة ص 29.

2- علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، دط. القاهرة: دت، دار نهضة مصر، ص 172.

3- سمر روحي الفيصل، المشكلة اللغوية العربية، ط1. بيروت: 1992، جروس برس، ص 19.

أدت كلّ هذه الظروف إلى بروز ظواهر لغوية مختلفة في الوطن العربي، هي ما يعرف بـ: (الثنائية اللغوية) و(الازدواج اللغوي) و(التداخل اللغوي) لدى المتكلّمين، فاستعمال اللغة العربية الفصحى لم نعد نجده إلاّ في المكتوب، مع وضوح غيابها على مستوى التداول اليومي، وضيق حدود استعمالها الشفوي العفوي.

إن قرب العامية من الفصحى جعلها اللغة البديلة لدى مزدوجي اللغة، فالمتكلّم يحاول تفادي عوائق التصريف والإعراب، بالانتقال إلى المستوى العامي، مما أدى إلى تقلّص تدريجي لمساحة استعمال اللغة العربية الفصحى، ويمكن تفسير ذلك السلوك بكون العامية من لغات الأم بالنسبة للمتكلّمين، وهي التي تلازم الفرد في معظم سياقات القول، بما تحقّقه له من طلاقة اللسان وعفوية الأداء، ويسر في الاستعمال، ومن سمات الحوار التخاطبي، أن الفرد يلجأ إلى الاقتصاد في الكلام ويحاول إيصال أكبر عدد ممكن من المعلومات بأيسر ما يمكن من جهد تعبيري، ومشكلة العامية التي تعايش اللغة العربية الفصحى لم يخلقها الاستعمار، وإنّما حاول استغلالها لصالحه " وهناك مشكلة الغزو اللغوي الذي جعل للغتين الفرنسية والإنجليزية مدخلا إلى النفوذ إلى لغتنا العربية في المشرق والمغرب على سواء"[1] حتى صار الفرد العربي يتكلّم لغة هجينة، وفي ما يلي سنشير بإيجاز إلى هذه الظواهر اللغوية.

1-الظواهر اللغوية في الوطن العربي في العصر الحديث:

أ- الازدواج اللغوي: لم يتّفق الباحثون حول مفهوم محدد لمصطلح (الازدواج اللغوي) فبعضهم يطلقه على وجود مستويين لغويين في بيئة لغوية واحدة، لغة للحديث اليومي، وأخرى للعلم والأدب والثقافة وبعضهم الآخر يطلقه على وجود لغتين مختلفتين، قومية وأجنبية، عند فرد أو جماعة ما في آن واحد أي أنّه والمصطلح الثاني، أي الثنائية، يتبادلان الموقع عند بعض الباحثين.

ونطلق مصطلح الازدواج اللغوي على المفهوم الثاني، أي وجود لغتين مختلفتين لدى الفرد أو الجماعة "لأن كلمة زوج تدلّ على كل ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضادا، أما الثنائية، فإن تقال باعتبار العدد، أو باعتبار التكرير الموجود فيه، أو باعتبارهما معا، والذي يهم في الظاهرة ليس العدد إنّما الاقتران والتداخل، فالازدواجية اللغوية هي الوضعية اللغوية التي يحصل فيها الكلام عن موضوع

[1]- محمد علي مكي "تأملات حول بعض قضايا استعمال اللغة العربية في المغرب" الرباط: 1993، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ص 313.

ما حسب المقام والمكان، بتناوب بين لغتين مختلفتين"[1] وقد عرف الأستاذ (صالح بلعيد) الازدواجية اللغوية بقوله: "هي استعمال نظامين لغويين في آن واحد للتعبير أو للشرح، وهو نوع من الانتقال من لغة لأخرى"[2] ولعلّ الظاهرة تنتج بحتمية طبيعية، ذلك كلّما حدث احتكاك لغة بأخرى عبر فترات من الزمن، مما ينتج عنه قدرة الأفراد على استعمال النظامين كلاهما أثناء حديثهم اليومي، ويقابل مصطلح الازدواجية في اللغة الفرنسية اللفظ : bilinguisme.

ب- الثنائية اللغوية: على ضوء المصطلح السابق، يظهر أن الثنائية تطلق على استعمال الفرد لمستويين لغويين من نظام واحد، وهذا ناتج ربما عن التنافس القائم بين لغة أدبية مكتوبة، ولغة عامية شائعة في الاستعمال اللغوي الشفوي، نظرا لما بينهما من اختلاف، سواء على المستوى الصوتي، أو الصرفي أو التركيب، أو على كل هذه المستويات، و يقابل مصطلح الثنائية اللفظ الأجنبي:la diglossie

ج- التداخل اللغوي: هو تأثّر اللغات بعضها ببعض أي "هو نفوذ بعض الوحدات اللغوية من حروف وكلمات وتراكيب، ومعان وعبارات من لغة إلى أخرى، نتيجة تأثير الواحدة في الأخرى"[3] أو انتقال عناصر من لغة إلى أخرى، سواء أكان هذا الانتقال من اللغة الأم إلى اللغة الثانية أو العكس، أو انتقال بين مستويين مختلفين من لغة واحدة، مثل تأثّر اللغة العربية الفصحى بالعامية، ذلك ما يعرف أيضا بـ: (**التدخّل** اللغوي) وهذا يعني أنّه "لا يحدث بين لغة وأخرى فقط، بل يحدث بين مستوى وآخر ضمن اللغة الواحدة"[4] فكثيرا ما يقع المتكلّم في خطأ في مستوى لغوي معين بفعل تأثير مستوى آخر كالعربي الذي يتكلّم بالمستوى الفصيح في موقف ما، ثم يقع في أخطاء، أو تتغير لكنته نتيجة لتدخّل مستواه العامي أو المحلّي، هذا بالإضافة إلى جملة من الظواهر اللغوية الأخرى، كالتعدد اللغوي والاقتراض اللغوي والانتقال اللغوي...، وكلّها موجودة في الاستعمال اللغوي العربي.

إن الحديث عن واقع استعمال اللغة العربية في العصر الحديث مرتبط بجملة من المعطيـات لعلّ من الضروري أخذها في الحسبان، بدءا بمستعمل اللغة نفسه، فالأفراد من هذه الناحية غير

---

[1]- عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، دط. الجزائر: 2007، عالم الكتب الحديث، ص103.

[2]- صالح بلعيد "التهجين اللغوي: المخاطر والحلول" مجلّة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر: 2010، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 19.

[3]- كريمة أوشيش، التداخل اللغوي في اللغة العربية: تدخّل العامية في الأسرى لدى تلاميذ الطور الثالث من التعليم الأساسي، رسالة جامعية، الجزائر: 2002، ص 12.

[4]- نفسه، ص 70.

متجانسين باعتبار أصولهم، ولغاتهم الأولى، ولغة الأسرة، ثم لغة المحيط الخارجي، ثم لغة المدرسة أخذا مستوى المعلّم بعين الاعتبار، ونشاط التلميذ وما يحفّزه لتعلّم اللغة العربية، أو ما يعيقه عن ذلك إشارة إلى بعض العوامل النفسية خارج عن نطاق اللغة ذاتها.

فأما ما يتعلّق باللغة، فالإجماع حاصل حول أخذ اللغات عن بعضها، وتأثير بعضها في بعضها الآخر بسبب الاحتكاك، وهذا الأخير ظاهر بوضوح في واقعنا المعاصر، فاستعمال اللغة العربية في موطنها تتجلّى فيه كلّ الظواهر اللغوية التي توحي بخلاف الأصل الفصيح، نظرا لعدة عوامل نذكر منها:

- لغة الأسرة: إن أول ما يتلقّاه الطفل من اللغة يكون في محيطه الأول الذي هو الأسرة، وهي اللغة التي ينمو بها ويشب عليها، ولاسيما الرصيد اللغوي الذي يتلقّاه في المرحلة الأولى من أصل أربع مراحل، فهي اللغة الباقية، وهي التي ستؤثّر على اللغات التي سيكتسبها لاحقا، ولقد أورد الأستاذ (علي عبد الواحد وافي) هذه المراحل فقال: "إن مراحل اكتساب الطفل للغة هي:

- ***المرحلة الأولى:*** تبدأ من الولادة إلى الشهر الخامس، ففي هذه المرحلة يبدو لديه التعبير الطبيعي عن الأفعال في مظهري الصوت والحركة.
- ***المرحلة الثانية***: تبدأ من الشهر الخامس إلى أواخر السنة الأولى، ففي هذه المرحلة يختزن الطفل في ذاكرته كثيرا من الكلمات، والجمل التي ينطق بها المحيطون به، ويفهم مدلولها دون أن يستطيع محاكاتها.
- ***المرحلة الثالثة:*** هي مرحلة التقليد اللغوي، وتبدأ في أواخر السنة الأولى، وتنتهي في السنة السادسة ففي هذه المرحلة يبلغ الطفل ميله إلى محاكاة الكلمات، وقدرته على سرعة تقليدها أقصى ما يمكن أن يبلغه، وأنّه لذلك يستطيع أن يتعلّم بسهولة أي لغة أجنبية، إذا أتيح له الاختلاط بأهلها، دون أن يكلّفه ذلك مجهودا يذكر.
- ***المرحلة الرابعة:*** هي مرحلة الاستقرار اللغوي، تبدأ من السنة السادسة، ففي هذه المرحلة تستقر لغة الطفل، وتتمكّن من لسانه أساليبها الصوتية، وترسخ لديه طائفة كبيرة من العادات الكلامية، وفي هذه المرحلة يشعر الطفل بصعوبة كبيرة في تعلّم اللغات الأجنبية"[1] وبناء على هذا، يمكن القول: إن مرحلة اكتساب اللغة بسهولة يكون فيها الطفل مرتبطا بأسرته أكثر بحكم

[1]- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الطفل والإنسان، دط. القاهرة: 1971، مكتبة غريب، ص 157-158.

سنّه، فهناك لا مجال إلاّ للغة الأم، ولغة الأسرة بشكل عام، وفي القليل النادر لغة المربيات، أو لغة الروضة، أما المرحلة الأخيرة التي يصعب فيها تعلّم لغات أخرى، بعد تمكّن لغة الأم من أخذ موقعها جيدا لدى الطفل، بمفرداتها وتراكيبها، ينتقل الطفل إلى مرحلة يطّلع فيها على لغات أجنبية، وأحيانا تكون العربية هي الأجنبية، أو حين يشب على استعمال العامي، فحينئذ يكون الفصيح هو الأجنبي، وقد تسهم الأسرة، بصرف النظر عن لغتها الأصلية، في دعم تعلّم اللغة العربية، ولا يشترط أن تكون لغة هذه الأسرة اللغة العربية بالضرورة.

- **لغة المدرسة:** للمدرسة دور في اكتساب الطفل للغة، لكن هذا موقوف على أمرين على الأقل: أحدهما المعلّم، والآخر المقررات المدرسية الرسمية.

فالمعلّم قطب العملية التعليمية في مراحل التعليم الأولى بالمدرسة، حسب ما تنص عليه المناهج القديمة على الأقل، ولهذا يمكن تصنيف المعلّمين إلى موفّق وغير موفّق، ويرى الأستاذ (حسن جمعة) أنّه لا بد من تدعيم المعلّم وإعداده، فيقول: "تأهيل المعلّم ضرورة ملحة للقيام بواجبه ومسؤوليته نحو نفسه وطلبته"[1] فإذا اكتسب المعلّم رصيدا لغويا كافيا، وعرف كيف يحبب للتلميذ اللغة العربية، أحسن تفعيل التلاميذ في القسم بإعطاء الفرص للممارسة الشفوية، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ (أحمد مختار عمر):"أول مشكلة يعاني منها أستاذ اللغة العربية هي عدم إفساح المجال أمامه لتدريب التلاميذ وتعويدهم على استخدام اللغة الفصيحة، تعبيرا وقراءة، وتلخيصا بطريقة سليمة"[2] ولعلّ ذلك بسبب المناهج، وعدد المحاور المقررة، وضيق الوقت، أو بسبب طريقة التدريس، فالطرائق التي ينتهجها المعلّمون، كما يراها الأستاذ (محمد عبد الواحد حجازي) عقيمة ويعبر عن ذلك قائلا: "ولذلك كلّه نتيجة واحدة، هي أن المدرس في عمله ينتهج طرقا عقيمة الأفق، فاسدة تربويا، مما ينفّر التلميذ من الإقبال على اللغة"[3] فهو يحمل المعلّم مسؤولية الضعف اللغوي لأسباب ذكر منها اتّباع المعلّمين طريقة التحفيظ والتلقين، على حساب الممارسة الفعلية التي تكون تطبيقا حقيقيا للقاعدة اللغوية، وتمكينا من اكتساب الملكة والعادة على ممارسة اللغة بطلاقة، بصرف النظر عن توظيف المعلّمين للعاميات والألفاظ الأجنبية في قاعة الدرس، فلذلك أثر سلبي على عملية التعلّم، خاصة إذا كان المعلّم لا يعرف العلاقة بين الفصحى والعامية، لأن معرفة المعلّم لهذه العلاقة "تساعده كثيرا، كما تساعد المتعلّم أيضا

---

[1]- حسن جمعة، اللغة العربية: إرث وارتقاء حياة، دط. دمشق: 2008، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، ص 96.

[2]- أحمد مختار عمر، العربية الصحيحة، ط2. القاهرة: 1998، عالم الكتب، ص 36.

[3]- محمد عبد الواحد حجازي، الثقافة العربية ومستقبل الحضارة، ط1. الإسكندرية: دت، دار الوفاء، ص 43.

وتساعد سير عملية التعليم سيرا حسنا، وذلك مشروط بمدى استيعاب، وفقه المعلّم للعامية وخصائصها والفصحى وحقيقتها، وقدرته على التمييز بين الفصيح وغير الفصيح منها"[1] إذ يجب على المعلّم أن يكون كثيرا الاطّلاع والاستيعاب لمثل هذه الظواهر اللغوية (العامية وأصلها الفصيح) بالإضافة إلى ذلك جهل المعلّم أن للغة العربية مستويين في الأداء (المأنوس والمنقبض) "فالمعلم الذي يمنع كل تخفيف قد نطقت به العرب، وقرئ به القرآن جهلا منه، يساهم في إقصاء الفصحى من هذه الحالات الخطابية، والمدرسة لا تعلّم الأداء المنطوق المسترسل، بل ولا يعلّمه المعلّمون، لأنّهم أيقنوا أن للعربية نوعا واحدا من الأداء وهو الذي يعلّمونه لتلاميذهم"[2] وصار كلّ تخفيف خطأ عند المعلّمين وذلك يترك نظرة للتلميذ تتمثّل في صعوبة العربية وتعقّد قواعدها، وتولد نفورا من تعلّمها.

وأما من جهة المقررات الرسمية، فهي لا تثير انتباه التلميذ ولا تربي فيه الإحساس بثراء لغته العربية الفصحى، حتى يقبل على تعلّمها، بل تنفّره منها، وهذه الفكرة جلية في كلام الأستاذ(أحمد محمد المعتوق) حين قال: "إن مناهج تعليم اللغة العربية ومقرراتها في المجتمع العربي بنحو عام، لا تشد الناشئة إلى ما ينمي ملكاتهم اللغوية بالقدرالكافي، ولا تربي فيهم الإحساس بثراء لغتهم الفصحى وجمالها، أو تشجعهم على الانجذاب الطوعي لما يمكن أن يرقّي سليقتهم وحسهم اللغوي"[3] فمناهج تعليم اللغة العربية لا تسهم إسهاما فعالا في تنمية السلائق اللغوية للناشئة، بل تشجع على تعلّم اللغات الأجنبية والتعلّق بها، بحكم ما تحتلّه هذه الأخيرة من موقع.

أما النشاطات اللغوية المدرسية التي تتمثّل في المسرح، والمكتبات، والصحافة والإذاعة المدرسيتين، فهي وسائل متكاملة، تعمل على أن يمارس التلميذ اللغة تفكيرا وكتابة ونطقا بطريقة سليمة لكن ما يلاحظ على المدارس، أنّها تكاد تخلو من هذه النشاطات، وإن وجدت فذلك في المدن الكبرى فقط، هذا من جهة، ومن جهة أخرى حجم النقائص التي تتميز بها في حال وجودها، فمثال ذلك المسرح المدرسي، فهو يتميز بالضعف في بنائه الدرامي، إذ إن كتّاب المسرحيات لا يأخذون مستوى التلميذ وما يحتاج إليه بعين الاعتبار، فنجدها تقوم على الخطابة ورفع الأصوات، أما من حيث اللغة فالمسرح المدرسي طغت عليه العامية، فالمسرحيات أو البرامج التمثيلية للأطفال التي تبثّ في

[1]- عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، ص 113.

[2]- عبد الرحمن الحاج صالح "إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي" منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر: 2009، المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص، ص 67.

[3]- أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة :دراسة في قضية اللغة العربية الفصحى، ص178.

التلفزيون تستخدم أحيانا اللغة العربية الفصحى بما يفوق مستوى التلميذ، وأحيانا أخرى تنزل بمستوى اللغة إلى درجة العامية، فهو في حالته الراهنة لا يمكنه أن يرتقي بلغة التلميذ.

أما المكتبات المدرسية، فقد أصبحت مخازن للكتب فحسب، وتزيين الشكل الظاهري للمدرسة والكثير من المدارس تفتقر إلى المكتبات، وهي في حقيقة الأمر المجال المعرفي الحر الذي يتيح للتلميذ أسباب القراءة والاطّلاع، فالتلميذ لا يتردد عليها، مما يجعله محصورا لغويا وتعبيريا في نطاق الحصيلة اللفظية الضيقة التي يجنيها من الكتب المدرسية المقررة فقط، ويعود ذلك ربما إلى عدم وجود حصة خاصة للمطالعة، وإن وجدت حصة المكتبة، فهي تعوض في كثير من الأحيان بحصة أخرى استدراكية والتلميذ الذي يتردد على المكتبة ينمي رصيده اللفظي والعلمي وبالتالي تتحسن لغته.

وكذلك الصحافة المدرسية، فهي ميدان يتدرب فيه التلميذ على التعبير عن خياله وطموحه وأفكاره، لكن هذا المجال غائب عن معظم المدارس، حتى وإن كان مبرمجا، إلاّ أن المدرسين لا يولون له أي اهتمام، فالصحافة المدرسية تعطي التلميذ فرصة التدريب على الكتابة، والقدرة على التعبير الشفوي، الذي يمثّل الممارسة الفعلية للّغة، فهو عمل مثمر لأنّه يحرر التلميذ من الانغلاق داخل المقررات المدرسية.

والشيء نفسه بالنسبة للإذاعة المدرسية، فهي المنبر الذي يكسب التلميذ الشجاعة على مواجهة الجمهور، وذلك يقتضي تنمية ذخيرته اللفظية والأسلوبية، ولكن أهميتها لا نجدها على أرض الواقع وذلك لغياب كلّ هذه المجالات، حيث يجد التلميذ نفسه محررا من قيود المواد المقررة، وتتيح له فرصة التعبير والترويح عن النفس، بحيث "يشعر التلميذ بحيوية اللغة، ويدرك فعاليتها، وتبين له وظائفها الحقيقية، إذ يتجه إلى تعلّمها بجد وحرص، ويسعى سعيا متواصلا لتطوير مهاراته فيها وإغناء حصيلته من مفردات وصيغتها"[1] تلك صورة مجملة للممارسة الفعلية للغة العربية في المدارس، التي لا تكاد أن تكون نفسها في الوطن العربي للأسباب المذكورة، وأخرى تعود إلى أسباب نفسية يعاني منها الناطقون بلغة الضاد، سواء المعلّم أو المتعلّم، إذ يشعرون بقصر هذه اللغة، ولا يمكن أن يعبر بها في مختلف المجالات، والإحساس بالعجز عن استخدامها بمرونة، ومهارة كافية، وذلك ما يؤدي بهم إلى اللجوء إلى اللغات الأجنبية والعاميات لسهولة استعمالها.

[1]- أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة :دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، ص180.

- لغة الإعلام: تطورت صناعة الإعلام في العالم العربي تطورا متسارع الخطى بتأثير التطور العلمي للإعلام، ودخلت وسائل الإعلام من صحيفة، وإذاعة، وتلفاز كلّ منزل، وخاطبت كلّ أفراد المجتمع بمختلف فئاتهم، وكلّ هؤلاء يجدون في وسائل الإعلام المختلفة ما يلائم تفكيرهم، ويلبي متطلّباتهم، ومن ثم صار الإعلام منبع المعرفة، وأداة التوجيه والتأثير في الأمة، وتنبع أهمية الوسيلة الإعلامية من كونها تخاطب كل شرائح المجتمع وفئاته، إذ "تقدم المعرفة والخبرة للمجتمع بلا فرق بين صغير وكبير، ومثقّف وغير مثقّف، وبقطع النظر عن انتماءاتهم الاجتماعية والمهنية والحرفية"[1] فالصحيفة تقرأ في بلاد المغرب والمشرق معا، ومشاهد التلفاز في أقصى الشرق يستطيع أن يرى ما يحصل في أقصى الغرب، ويعتمد الإعلام على اللغة أساسا في مخاطبة الجمهور، وتضاف الصورة إلى اللغة في بعض الوسائل الإعلامية كالتلفاز، لكن اللغة هي أداة التواصل الأولى، لذا فإن اللغة تتأثّر أيما تأثّر بالعملية الإعلامية، فقد تزداد رقيا وحضارة، وقد تنحدر إلى لغة السوق والأميين، وهي في الحالتين سوف تنشر وتتكرس في أوساط المجتمع، وكلّما ارتفعت لغة الإعلام ارتفعت لغة المجتمع وبانحطاطها تنحطّ لغة الأمة، ومن هنا يظهر دور الإعلامي وتأثيره الذي لا يستهان به على اللغة التي يكتب بها مقالا، أو يقدم بها برنامجا، ومن بين الوسائل الإعلامية التي سنتطرق إلى ذكرها:

أ- الصحافة: كانت الصحافة من أول وسائل الإعلام ظهورا في العالم العربي، وهي تؤدي دورا مهما في نشر الوعي الاجتماعي والعلمي والسياسي بين أفراد المجتمع، فضلا عن التواصل بين الشعوب والأمم المختلفة، ومن أهم خصائص الصحافة: "الاستمرارية المنتظمة، والسرعة في نقل الحدث، حيث اعتنت بالوظيفة الإخبارية أكثر مما اعتنت باللغة المستعملة... وهذا من خلال ما يسمع أو ما يقرأ في وسائل الإعلام من لغة ركيكة منحرفة عن أصولها"[2] وربما اعتبرت هذه النزعة من مميزات الصحافة، حيث استطاعت بفضلها أن تنشئ لغة تجمع بين فصاحة العبارة وسهولتها، لكن تلك السهولة والبساطة قد جنحت في كثير من الأحيان إلى جملة من الظواهر اللغوية التي خالفت بها الأصل، وأهمها:

- غزو الألفاظ العامية لأسطر الصحف والمجلات، وقلّما تسلم صحيفة، أو مجلّة من ذلك، وهذا من أعظم ما جنته الصحافة على اللغة العربية الفصحى، لأن شيوع الألفاظ والأساليب العامية في

[1] - كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دط، القاهرة، دار غريب: 1999، ص111.

[2] - صالح بلعيد، منافحات في اللغة العربية، دط. الجزائر: 2006، دار الأمل، ص91.

الصحافة تكريس لها في أوساط المجتمع من جهة، وقبر للّفظ الفصيح من جهة أخرى، وحجة المحررين في استخدام العامية أنّهم يطلبون الأسهل والأقرب لفهم القراء، وهناك من الصحف ما نجد فيها صفحات كاملة يومية لنشر القصائد العامية، وتمجيد شعراء العامية، حتى صار الأدب الشعبي بالعامية أقرب طريق للوصول إلى الشهرة، وأصبحت هذه الصحف تهتم بالأدب الشعبي وترحب بكلّ قصيدة عامية وقليلة هي تلك الصحف التي تهتم بأدب الفصحى وشعرائها، كما تمتلئ صفحات الجرائد والمجلات بالإعلانات الإشهارية المصاغة بلهجة عامية، وكذلك النشرات الإرشادية، وأغلب مجالات الأطفال يصاغ محتواها بالعامية، ومن المفروض أن تكون هذه المجلاّت من وسائل ترسيخ اللغة العربية الفصحى لدى الناشئة، وأن تقربهم منها وتشجعهم على استعمالها.

- شيوع اللحن والأساليب اللغوية الركيكة، ويرجع ذلك إلى عدم إلمام المحررين بقواعد اللغة العربية ثم السرعة، وعدم الاعتناء بالأساليب اللغوية السليمة، والبحث عن أقرب الطرق إلى أذهان القراء وهم -كما قال الجاحظ- "يجعلون الفصاحة واللّكنة والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانة والملحون والمعرب كلّه سواء وكلّه بيان"[1] مادام القارئ يفهم المراد ويستوعب المقال، "فهم أخطأوا حين ظنّوا أن لغة الإعلام لها أن تتحرر من القواعد النحوية والصرفية، ومن هنا فإن بعض التسامح يفتح الباب أمام التخلّي عن القواعد وتصديق مقولة: المهم الفهم"[2] وذلك ما لا يسمح به في اللغات الأخرى، فالخطأ يبقى خطأ وخروجا عن القاعدة مهما كانت الغاية من ذلك.

- في اللغة الإعلامية عامة، واللغة الصحفية على وجه الخصوص، هناك ما يمكن تسميته بالقوالب الجاهزة التي تصب فيها المادة الإعلامية، حيث إن صياغة الخبر تكاد تكون متماثلة من حيث المفردات المستخدمة، والأساليب التعبيرية في أغلب الصحف، إن معجم اللغة العربية غني بالكلمات والأساليب التي لا حصر لها، والاكتفاء ببعض الألفاظ، وإهمال الباقي أفقد اللغة العربية أهم خصائصها ومميزاتها.

- استخدام الألفاظ والمفردات الأجنبية مع وجود لفظ عربي مقابل لها، ونشر الإعلانات باللّغة الإنجليزية أو الفرنسية، ونجد ذلك خاصة في الصفحات الإشهارية، والهدف من ذلك ربما الربح السريع، ولا تهم اللغة المستعملة، ومثال ذلك:

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص148.

[2]- صالح بلعيد، منافحات في اللغة العربية، ص105.

1- السعر prix choc فرصة ثانية للمتأخرين[1].

2- السعر بكل رسوم محسوبة ابتداء من ... profitez des offres exceptionnelles[2]

3- avec mazda la fiabilité et la solidité sont assurées[3]

ب- الإذاعة والتلفاز: سبقت الإذاعة التلفاز في دخولها العالم العربي، لكن التلفاز كان أكثر تأثيرا وجذبا للمشاهد لكونه يخاطب المتلقّي بالصوت والصورة، هذا الجهاز "أضحى ربيب الإنسان إذ يعيش مع الطفل أكثر مما يعيش معه أبوه وإخوته، يناغيه أكثر مما تناغيه أمه، فهو يتعلّم الكلام وهو يرمق جهاز مرئيا صار له الأم، والأب، والأخ، والصديق"[4] خاصة في الوقت الحاضر، حيث الأم تعمل والأب يعمل، فالطفل يجد التلفاز مؤنسا له، فالتلفاز إذا آلة فاعلة في تعليم الطفل اللغة وتكوين أفكاره فلا يمكن إغفال الدور الذي تقوم به بعض الإذاعات والفضائيات في نشر اللغة العربية الفصحى، وهي تعتمد اللغة السليمة في مخاطبة المتلقّي، فضلا عن العديد من البرامج التعليمية والأدبية لغرض تعليم اللغة، وذلك مقصور على برامج قليلة، أما بقية البرامج، وما أكثرها، فنصيبها من العربية الصحيحة قليل، أو غير ذي حضور ويرسل الخطاب في هذه البرامج بكلام مخلوط، تضرب بعض مفرداته إلى أصول فصيحة، " ولكن نسيجها أو بناؤها يستمد قوامه، وهيئته من شتات العاميات بلهجتها ورطاناتها النافرة الناشزة"[5] بحيث إن هناك من الإذاعات والفضائيات ما يتنافس على حيازة السبق في نشر عاميتها بين أكبر عدد من المستمعين والمشاهدين، وكانت بداية هذا التلوث اللغوي، بظهور المسلسلات والأفلام بالعامية وكانت الحجة في ذلك محاكاة الواقع "وهذه كلمة حق يراد بها الباطل إن كثيرا من العرب لا يوظّفون العربية في حياتهم العادية وبيئاتهم الضيقة، ولكن يفهمون ويستوعبون الخطاب الفصيح"[6] كما هو الحال في خطب المنابر والدعاة وبعض السياسيين.

وبالإضافة إلى ذلك أن اللغة الإعلامية لا تكاد تخلو من نوع آخر من الأخطاء التي انتشرت فيها حتّى أخذت طابع الشهرة والشيوع، وتعود الناس على قراءتها في الصحف والمجلاّت، وسماعها

---

[1]- جريدة الشروق اليومي، يوم الخميس 10 مارس 2011، العدد: 3227.

[2]- جريدة الخبر، يوم الأحد 6مارس، 2011، العدد: 6286.

[3]- جريدة الشروق اليومي، يوم الأحد 13 فيفري 2011، العدد: 3202.

[4]- أحمد كشك، اللغة والكلام، أبحاث في التداخل والتقريب، دط. القاهرة: 1995 دار غريب، ص33.

[5]- كمال بشير، اللّغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، ص113.

[6]- نفسه، ص114.

في الإذاعة والتلفاز، وصارت متداولة كأنّها سليمة، تعرف لدى الباحثين بـ (الأخطاء الشائعة) ومن الأمثلة على ذلك نذكر:

- نطق كلمة: (المهني) بفتح الهاء، والصواب: (المهني) بتسكينها، لأنّه من: (المهنة).
- نطق كلمة: (الأسري) بفتح السين، والصواب: (الأسري) بتسكينها، لأنّه من: (الأسرة).
- نطق كلمة: (الصحافة) بفتح الصاد، والصواب: (الصحافة) بكسرها، على وزن: فعالـة كالتجارة والنجارة، والحلاقة...إلخ.
- نطق كلمة (خدمات) بفتح الخاء والدال، والصواب: (خدمات) بكسر الخاء وتسكين الدال، لأنّه جمع لـ (خدمة).

ج- الحاسوب : إن استخدام الإنترنيت وسيلةً إعلامية يعد مجالا جديدا في البلاد العربية، لكن يمكن أن نقول بأنّه استطاع مجارات الوسائل السابقة، وجذب الجمهـور، إن لم نقل سبقها وتفوق عليها، فصفحات الشبكة من منتديات ومواقع، تعد مثالا حيا لما وصل إليه الانحطاط اللغوي الذي اجتاح هذه الوسيلة الإعلامية والتعليمية، نظرا للأخطاء اللغوية التي تُحرر بها المقالات فضلا عن العامية التي تتحرر من كل قيد قواعدي وإملائي، فالفئة التي ترتاد هذه المواقع في أغلب الأحيان هم تلاميذ في الابتدائي أو الإكمالي، نظرا لما يجدونه فيها من المتعة والتشويق، وكذلك من بحوث جاهزة، فذلك خطر على لغتهم من جهة، وعلى معلوماتهم ومستواهم من جهة أخرى، إذ غالبا ما نجد فيها معلومات خاطئة، وأفكار مظلّلة.

فوسائل الإعلام بأنواعها، كما تستطيع البناء تستطيع الهدم، وكما تستطيع ترقية اللغة، يمكنها أن تطبق عليها، ولكن يمكن الاستفادة منها شرط إذا أُحسن استغلالها "حيث يجب ألاّ يغيب عن الأذهان ما تميز به كثير من الإعلاميين الغيورين على لغتهم من مقدرة على إدخال مئات الألفاظ في معجمنا اللغوي بالابتكار والترجمة والاستعمال المجازي"[1] ونحن لا يحقّ لنا أن ننكر فضلها، والدور الذي تؤديه باعتبارها السلطة الرابعة من حيث تأثيرها في المتلقي بمختلف فئاتهم، وأعمارهم، ومكانتهم في المجتمع ولاسيما على الصعيد اللغوي.

[1] - عبد الكريم بكري "الهجين اللغوي" مجلّة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر: 2010، المجلس الأعلى للغة العربية، ص 138.

2- دور المجامع اللّغوية في التقريب بين الفصحى والعامية: إن العمل في إطار مؤسس ومنظّم، في مجال خدمة اللغة، والاهتمام بشؤونها لم يكن شيئا جديدا على العرب بحيث "إن أقدم هذه المؤسسات تتمثّل في لجنة الترجمة التي أنشأها الأمير الأموي (خالد بن زيد بن معاوية بن أبي سفيان ت 85هـ) في دمشق، وذلك لترجمة الكتب الكيماوية ونحوها من اليونانية إلى العربية، وقد اعتبره بعض الباحثين أول مجمع علمي عربي"[1] وإذا تجاوزنا العهد الأموي إلى العهد العباسي، فإنّنا نجد أن هناك حركات مختلفة الأهداف، إذ هناك حركة ترجمة المعارف اليونانية، والفارسية، والهندية في مختلف العلوم كالطب، والفلسفة، والمنطق، والفلك، وغيرها من العلوم الفقهية، واللّغوية، ونشأت دار الحكمة أو (خزانة بيت الحكمة) ما يشبه معهدا علميا كبيرا ونجد الأستاذ (شوقي ضيف) حين يتكلّم عن هذا البيت في كتابه (تاريخ الأدب العربي) يطلّق عليه اسم (المؤسسة الكبيرة) فهي بمثابة المجمع اللّغوي بالتسمية الحديثة.

وظهرت حركة لغوية كبيرة إثر شيوع اللّحن على ألسنة الموالي والمستعربين، وعلى ألسنة العرب أنفسهم بسبب اختلاطهم بالعناصر الأجنبية، وما حدث في ضعف سلائقهم بسبب تحضرهم، لهذه الأسباب "تحرك علماء البصرة والكوفة يجمعون ألفاظ اللّغة العربية الفصيحة النّقية، حتّى لا تضمحلّ في لّغات الشعوب المستعربة، فوضعوا لها قواعد، وظهرت مدارس نحوية تعني باللّغة العربية وتقنينها"[2] وبفضل هذه الجهود، وصلت اللّغة العربية إلى ما وصلت إليه اللّغات الحية في العصر الحديث، ففكرة الحفاظ على اللّغة العربية، وإنشاء مؤسسات علمية لهذا الغرض فكرة متجذّرة عند العرب، ولهم الأسبقية في ذلك، ولم يقفوا عند نقل العلوم والمعارف فحسب، بل تجاوزوه إلى مرحلة الإبداع والابتكار، إذ كافؤوا المبدعين والمترجمين على ترجماتهم وإبداعاتهم مقابل وزنها ذهبا، وكلّ هذا تشجيع للعلم والمعرفة، وسرعان ما تشتّتت الحضارة العربية الإسلامية، وعرفت الركود والانحطاط في مختلف الميادين، خاصة العلمية منها، وظهرت النهضة الأوروبية التي أحدثت تدفّقا علميا كبيرا، وأمام ذلك الزخم العلمي، وكثيرة المصطلحات، أخذت اللّغة العربية تتراجع، وانحصرت بعد ذلك في حلقات المساجد، وتركت الميدان العلمي لغيرها من اللغات.

---

[1]- عبد الكريم خليفة، اللّغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ط3. عمان: 1986، دار الفرقان، ص46.

[2]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي: العصر العباسي الأول، ط12. القاهرة: 1966، دار المعارف، ص118.

ولما تجددت النهضة العربية، باحتكاكها مع الدول المتقدمة، بدأت تظهر مؤسسات مجمعية تأخذ على عاتقها مهمات صعبة في جعل اللّغة العربية تواكب مستجدات العصر، وتستوعب من جديد حصيلة الفكر الإنساني، ولكي تصبح لغة العلم والبحث العلمي والتقنيات الحديثة.

ويمكن حصر الأهداف التي أنشئت من أجلها المجامع اللّغوية العربية فيما يلي[1]:

- إثراء اللّغة العربية بمصطلحات علمية، وجعلها تواكب متطلّبات العصر.
- توحيد المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة.
- تشجيع الترجمة والتعريب لزيادة ثروة اللّغة العربية، وتنمية طاقتها التعبيرية.
- وضع المعاجم التي تلبي حاجات مستعملي اللّغة العربية.
- تيسير قواعد تعليم اللّغة العربية، سواء من ناحية النحو أو الصرف.
- إحياء التراث وتحقيق أمات الكتب العربية القديمة في شتّى المجالات.
- العناية بسلامة اللّغة العربية، والعمل على جعلها وافية بمطالب العلوم، والفنون، وشؤون الحياة المعاصرة.

وسنعرض نبذة سريعة ومختصرة عن مجامع اللّغة العربية الموجودة في الوطن العربي حسب تاريخ نشأتها، ثم نذكر دور كلّ مجمع في التقريب بين الفصحى والعامية.

1/2- المجمع العلمي العربي السوري:

تاريخ نشأته: يعد هذا المجمع أول مجمع علمي يقوم في الدول العربية، حيث تأسس عام(1919) وقد مهد تأسيسه الطريق لإنشاء مجامع علمية في الدول العربية الأخرى، وجاء تأسيس هذا المجمع كضرورة فرضتها مسيرة التعريب في الوطن العربي، إذ أخذ المجمع على عاتقه النظر في اللّغة العربية وأوضاعها العصرية، ونشر آدابها، وإحياء مخطوطاتها، وتعريب ما ينقصها من كتب العلوم والصناعات عن اللّغات الأجنبية[2] ويصدر مجلّة تعني بنشر ما يصلها من علماء اللّغة العربية من الأبحاث والمقالات.

[1]- صالح بلعيد، مقالات لغوية، دط. الجزائر:2004، دار هومه، ص80.

[2]- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ط3. عمان: 1992، دار الفرقان، ص50.

دوره في التقريب بين الفصحى والعامية: لا توجد كتابات حول اللّهجات العربية، أو مقالات تدافع عن العامية، بل "هناك سكوت تام عن الحديث عن العامية، على اعتبارها فتنة لا يجب أن توقظ"[1] بل عمل على إحياء التراث وجمع الكتب القديمة والمخطوطات، وانصبت اهتماماته على التعريب، وإبعاد اللّغة التركية عن الإدارة.

2/2- مجمع اللغة العربية المصري:

تاريخ نشأته: أنشئ المجمع اللّغوي المصري بالقاهرة في عام (1892) ولكن تعطّلت أعماله وتعثّرت مسيرته بعد عدة سنوات، وظلّ الحال كذلك إلى غاية سنة (1932) حينما أنشئ مجمع اللّغة العربية الملكي، وتغير اسمه إلى (مجمع فؤاد الأول للغة العربية) في عام (1938) ثم تغير مرة أخرى إلى (مجمع اللّغة العربية) وهو الاسم المعروف به الآن، وتتنوع نواحي نشاط هذا المجمع لتشتمل القرارات العلمية التي تنصب على مختلف ظواهر اللّغة، كالقياس، والنحت، والتوليد، والتعريب والترجمة، إذ اهتم بالمصطلح العلمي وبألفاظ الحياة اليومية، ويصدر مجلّة تقوم بنشر هذه الأعمال وتضم البحوث، والقرارات، والمصطلحات الجديدة، وكان صدورها سنويا، إلى أن صارت تصدر مرتين كلّ عام، ومن أغراضه:

- المحافظة على سلامة اللغة العربية، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها.
- أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية، وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ الكلمات وتغير مدلولاتها.
- أن ينضم دراسة علمية للّهجات العربية الحديثة بمصر وغيرها من البلاد العربية.

دوره في التقريب بين الفصحى والعامية: أما دور هذا المجمع في التقريب بين الفصحى والعامية فمن بين الأهداف التي من أجلها تأسس المجمع المصري هو دراسة اللهجات العامية الحديثة في مصر وغيرها من الأقطار العربية، "وهو المجمع الوحيد الذي اعترف بدور العامية في إثراء الفصحى ومساهمتها في تحقيق التنمية اللغوية"[2] ومن القرارات التي صدرت عن المجمع:

- أن يحصر بحث اللهجات في أول الأمر في اللّهجات المصرية.

---

[1]- صالح بلعيد، في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى...، دط. الجزائر:2008، دار هومه، ص126.

[2]- نفسه، ص126.

- أن تبحث اللغة العامية المصرية من النواحي التالية[1]:
  - استخراج ما فيها من الكلمات العربية الفصيحة.
  - دراسة ما طرأ على أصوات اللهجات العامية من تغيير، وتحريف، وأسباب ذلك.
  - البحث في نحو العامية، وصرفها وبلاغتها، ووضع قواعد لها.
  - جمع المؤلفات العربية وغير العربية التي بحثت في موضوع اللهجات.
  - أن تمكّن اللجنة من تسجيل اللهجات من الناحية الصوتية، وطرق الأداء في مسجلات صوتية من أقراص وأشرطة، بآلاتها الخاصة، وتحفظ في المجمع.

1/2/2- منهجية المجمع في التقريب بين الفصحى والعامية:

أ- تفصيح العامية: العامية نتيجة لتحول اللغات عبر الزمن أيا كانت، بتغير نظامها النحوي والصرفي في الأساس، وتغير شيء في اللغة يعتبر خطأ بالنسبة لمعيارها، وهو ذلك النظام اللّغوي المتواضع عليه من قبل أهلها، غالبا ما نجد أن ألفاظ العامية من أصول فصيحة بحيث إنّها انحرفت سواء من حيث الأصوات أو التركيب، فالمجمع قرر "أن تدرس كلّ كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس، على أن يراعى في هذه الدراسة: أن تكون الكلمة مستساغة، ولم يعرف لها مرادف عربي سابق صالح للاستعمال"[2] فالمسافة بين الفصحى والعامية ليست بالغة، ولهذا اتّخذت تدابير للتقريب بين الفصحى والعامية، ومن بينها: تعميم الفصحى بتفصيح العامية " ويكون ذلك بأخذ العامية كما هي، وأن تحول إلى مقابلها الفصيح، بتحقيق أصواتها، وتعديل أبنية الكلم، وتصحيح تركيب الجملة"[3] ولقد أكّد الباحثون أن نسبة كبيرة من الألفاظ العامية، هي من أصل فصيح، لكنّها أصابها تحريف شكلي، أو تغيير صوتي، ولهذا قامت لجنة اللهجات بالبحث في جذور الكلمات العامية وردها إلى أصلها الفصيح.

ب- وضع المعاجم: اهتم مجمع القاهرة بوضع المعاجم إذ أصدر (المعجم الوسيط) في جزئيين و(معجم ألفاظ القرآن الكريم) الذي يضم كلّ ألفاظ القرآن الكريم ودلالتها، وخمسة أجزاء من (المعجم الكبير) الذي يعد أكبر معاجم اللغة العربية، و(المعجم الوجيز) المختصر، والذي يفي بحاجات الطلاّب

---

[1] - شوقي ضيف، اللّهجات العربية بحوث ودراسات، دط. القاهرة: 2004، ص89.

[2] - نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى، دط. عمان: دت، دار الفكر، ص190.

[3] - نفسه، ص191.

بالمدارس والجامعات[1] وللتقريب بين الفصحى والعامية دعا مجمع القاهرة أعضاءه إلى ضرورة وضع معجم عامي فصيح، فسعى العديد من الباحثين لتجسيد هذا المطلب، ووضع معاجم عامية فصيحة أمثال: (محمود تيمور) في معجم (تيمور الكبير) و(عبد المنعم سيد عبد العال) في معجم (الألفاظ العامية ذات الحقيقة والأصول العربية) حيث إن هذه المعاجم تدرس الألفاظ العامية وتعود بها إلى أصولها الفصيحة، فمعجم (محمود تيمور) يشتمل على كثير من ألفاظ العوام وأساليب كلامهم وذكر شيئا من عوائدهم وأمثالهم، ويفسر الألفاظ المحرفة والتراكيب الفاسدة بمعناها إن لم يكن هناك أصل يرجع إليه أو يفسرها بألفاظ وتراكيب ترد المحرف والفاسد منها إلى أصله[2] وبجهود هؤلاء الباحثين أصبح جليا أن الألفاظ العامية وبنسبة كبيرة من أصول فصيحة، وبذلك كان مجمع القاهرة الوحيد الذي اهتم بتقريب بين المستوى الفصيح والمستوى العامي.

3/2- المجمع العلمي العراقي:

تاريخ نشأته: ظهر هذا المجمع، الذي يقع في بغداد إلى الوجود أواخر عام (1947) ويسعى هذا المجمع للنهوض بالدراسات والبحوث العلمية في العراق، لمواكبة التقدم العلمي والأدبي والمحافظة على سلامة اللّغة العربية، والعمل على تنميتها ووفائها بمطالب العلوم والفنون، وكذا تشجيع الترجمة والتأليف في العلوم والآداب، ومن مهامه[3]:

- وضع آلاف المصطلحات العلمية.
- عكف على وضع المعجم الكبير في اللّغة العربية.
- أصدر المعجم الوسيط.
- الاعتناء باللّغة العربية من حيث المصطلحات العلمية، والعمل على إحياء التراث العربي القديم.

ولا نجد ضمن مهام المجمع حديثا عن العامية، إذ ينظر إليها "كأثر من آثار التخلّف والجهل، وسمة من سمات الأمية، وعامل من عوامل الفرقة والتجزئة، ومعوق من معوقات انتشار التعليم، فلا

---

[1]- عبد المنعم الدسوقي الجمعي، مجمع اللغة العربية: دراسة تاريخية، دط. القاهرة: 1983، الهيئة المصرية للكتاب ص48.

[2]- صالح بلعيد، في المواطنة اللغوية وأشياء أخرى ...، ص192.

[3]- نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى، ص101.

تستعمل العامية ولا تعطى لها أهمية"[1] فالمجمع العراقي يهتم باللغة العربية بإيجاد المصطلح العلمي، وذلك بالترجمة والتأليف، وبالنسبة له العامية عاميات ولا حاجة للبحث فيها.

4/2- مجمع اللغة العربية الأردني:

نشأته: أنشئت في وزارة التربية والتعليم بعمان اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر في عام (1961) وصدرت عن هذه اللجنة فكرة تأسيس المجمع، الذي أخذ هذا الشكل الرسمي بصدور قانون تأسيسه في عام (1976)[2] وحرص المجمع منذ نشأته على أن يكون نافذة مفتوحة على الأوساط المثقّفة، والمؤسسات العلمية، واللغوية، والثقافية داخل الوطن وخارجه.

دوره في التقريب بين الفصحى والعامية: شكّل المجمع لجانا علمية للأصول والتعريب والمصطلحات، والترجمة، والتراث، وأصدر كثيرا من القرارات لحصر المفردات المستخدمة في المرحلة الابتدائية من التعليم، وترجمة الكتب العلمية الجامعية، ومن مهامه[3]:

- تحرير المعنى اللغوي القديم للكلمة العربية، وتضمنيها المعنى العلمي الجديد.
- اشتقاق كلمات جديدة من أصول عربية أو معربة للدلالة على معنى جديد.
- ترجمة كلمات أعجمية بمعانيها.
- تعريب كلمات أعجمية وعدها صحيحة.

إن نظرته إلى العامية لا تختلف عن نظرة المجمع العلمي العراقي إليها، بحيث يعتبرها عامل الجهل والتخلّف والتفرقة، ومن الأفضل أن يغلق باب البحث فيها، وللحفاظ على اللّغة العربية، وجعلها تواكب مستجدات العصر، لابد من الرجوع إلى الثروة اللفظية لهذه اللغة، التي تعتبر رصيدا ضخما لها، فإن "اللّغة العربية تشتمل في طبيعة تكوينها على عناصر نموها وحيويتها فهناك القياس والاشتقاق والقلب، والإبدال، والنحت، والارتجال، والتعريب"[4] وهذه هي نظرة رئيس المجمع الأردني السيد (عبد الكريم خليفة) وذلك ما يعكس نظرة المجمع إلى العامية وصلتها بالفصحى.

[1]- صالح بلعيد، دور المؤسسات الثقافية العربية في تنمية اللغة العربية، ص8.

[2]- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ص51.

[3]- نفسه، ص 52.

[4]- عبد الكريم خليفة، اللغة العربية والتعريب في العصر الحديث ، ص222.

وما لاحظناه من خلال هذا العرض الوجيز لمهام المجامع اللغوية، نجدها قد انصبت اهتمامها على إيجاد المصطلح العلمي منذ نشوئها، وصرفت نظرها عن العامية كرافد من روافد اللّغة العربية ورغم ذلك كانت بطيئة في إنتاج المصطلح، والإنتاج العلمي والتكنولوجي متسارع الخطى، فكلّما بحثت في إيجاد مصطلحات علمية، في ميدان ما، وجدت عددا كبيرا من المصطلحات تنتظر مقابلها باللّغة العربية، فمهما بذلت هذه المؤسسات المجمعية من جهود، تبقى اللّغة العربية تشكو من قلّة المصطلح العلمي "لأنّنا استبعدنا البحث العلمي في هذا المجال كأنّه حكر على اللغات الأوروبيـة وبذلك استبعدنا العربية عن المؤسسات الإنتاجية والشركات الصناعية، وعدم الاقتناع بها كوسيلة عمل في البحوث المخبرية، وحتّى في المعاملات الدولية"[1] بالإضافة إلى مشكلة التنسيق الناتجة عن التشتّت في الجهود وتعدد اللغات التي تستقي منها العربية مصطلحاتها العلمية، وتعدد الجهات التي تتوالى عملية وضع المصطلح العلمي والتقني العربي.

وعليه، ومن خلال نشاطات المجامع اللغوية العربية، وعلى الرغم من قراراتها المختلفة بخصوص العامية، يظهر أن ثمة مساهمة، في ترميم اللغة العربية، وإنتاج اللفظ الذي ستعبر به عن مستحدثات العلم والحضارة، ومحاولة جعلها تأخذ مكانها من التوظيف في مجالات الحياة اليومية والناحية العلمية كما أسهمت بشكل مباشر أو غير مباشر، في تضييق الفجوة الموجودة بين الفصحى والعاميات المختلفة، وفي مايلي نسرد جملة من النتائج التي ظهرت لنا في ختام هذا الفصل، وهي:

- يكسب الطفل العامية لغة الأم، والفصحى لغة ثانية يتعلّمها في المدرسة، الأولى سليقة، والثانية بالاكتساب.

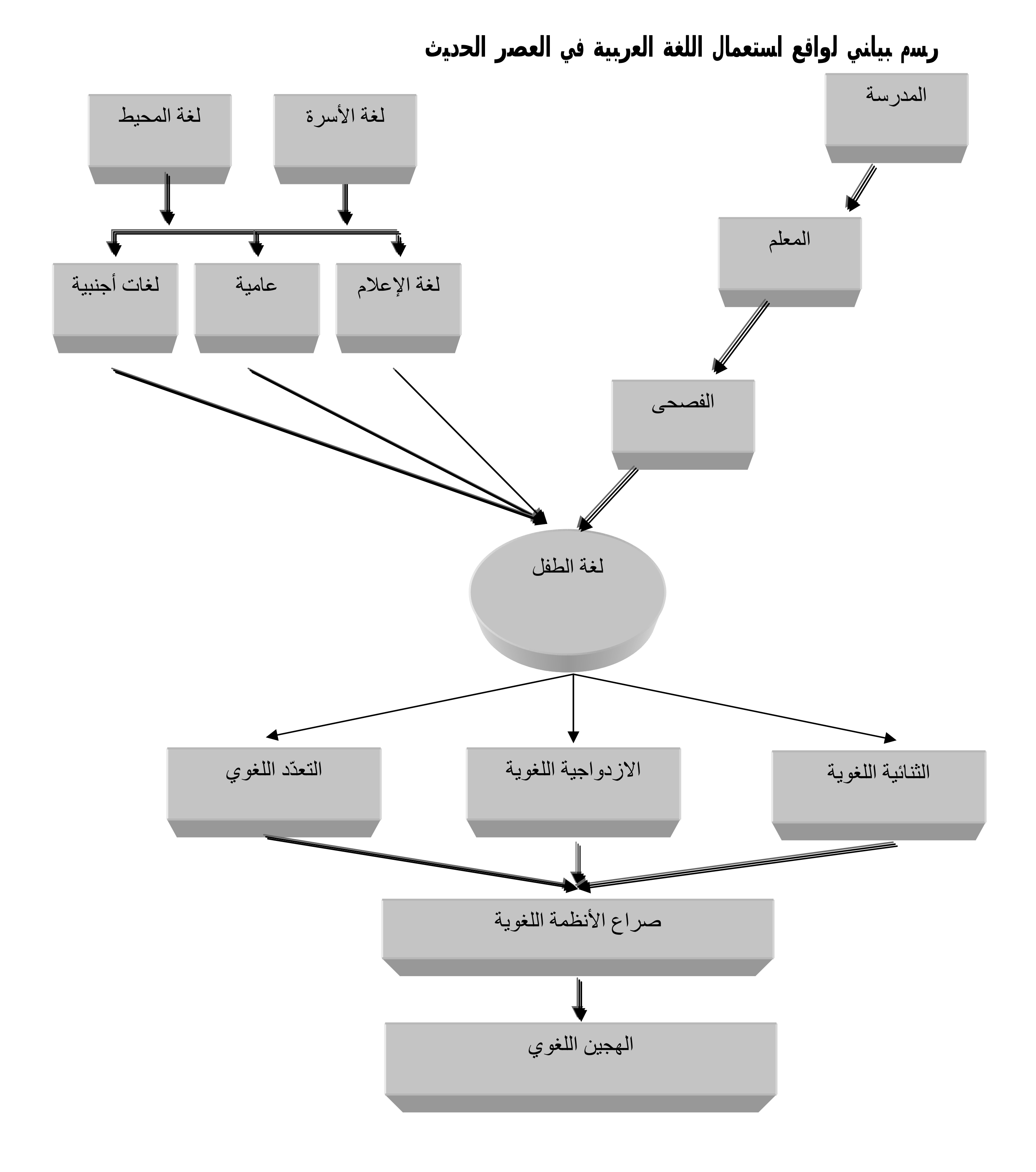
- طريقة تعليم اللغة العربية لم ترق إلى المستوى المنشود، بحيث إن المعلّم لا يعطي فرصة للتلميذ لأن يتمرن على الاستعمال اللغوي السليم، بل يكتفي بتعليم القاعدة النحوية فحسب.

- تتأثّر لغة الطفل أيما تأثّر بمختلف أنماط التأديات اللغوية، العامية في الأسرة والمحيط، والفصحى في المدرسة، وأشكال أخرى تختلف باختلاف مصادرها، كلغة الإعلام، ولغة البرامج التلفزيونية المختلفة... إلخ.

[1]- صالح بلعيد، المؤسسات العلمية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية، دط. الجزائر:1995، ديوان المطبوعات الجامعية، ص23-24.

- يمكن لوسائل الإعلام أن تلعب دورا مهما في تعليم الطفل اللغة السليمة، لكنّها في واقع الأمر تأثيرها سلبي على لغة الناشئة كما يبدو.

رسم بياني لواقع استعمال اللغة العربية في العصر الحديث



الفصل الثالث

المستويات اللغوية

إن كلّ لغات العالم خاضعة لسنن التطور والتغير، وأنّها تتغير وتصير درجات أو مستويات أسلوبية وتعبيرية مختلفة، وبذلك تصاحب مستجدات الزمان والمكان، فالزمان لا يستقر على حال، بما يصاحبه من ظروف وأحوال يصنعها الإنسان، وفقا لمقتضيات حياته، وما يحيط به من ظروف طبيعية وغير طبيعية تدفعه إلى تغيير مساره، أو تكييفه على وجه يضمن له البقاء، ويحفظ له مسايرة أحداث ومستجدات زمانه التي لا يمكن لها أن تستعصي على التغير والانتقال من حال إلى أخرى. أما المكان وإن كان في زمن معين، فهو لا يخلو من اختلاف في الطبقات والفئات التي تعيش فيه، فهناك الأغنياء والفقراء، وهناك المثقّفون وغير المثقّفين، وهناك طوائف مختلفة من أهل الحرف والمهن المتعـددة لكلّ هؤلاء أنماط من السلوك واتجاهات فكرية مختلفة، ولهم رؤى حياتية ذات صلة بأوضاعهم ومواقعهم في المجتمع ودرجات معارفهم وثقافتهم، فالتغير في حياة الناس زمانا، واختلافهم في الأوضاع الاجتماعية مكانا، له انعكاسات مباشرة، وتأثير حتمي على لغتهم التي تعكس خواص كلّ قبيل، وتنبئ عن أنماط سلوكهم وتعاملهم مع الحياة، وكانت نتيجة هذه المعطيات، وجود مستويات تعبيرية في اللغة الواحدة، فاللغة العربية واحدة من هذه اللغات التي لا تخلو من اختلافات في بعض ظواهرها خاصة في ناحية الاستعمال، إذ ظهرت مستويات تعبيرية مختلفة من حيث الفصاحة منذ العصر الجاهلي "فالعربي أيا كانت قبيلته، فإنّه يستعمل مستويين تعبيريين، فأولهما يتمثّل في اللغة العربية المشتركة الفصيحة التي يتحفّظ عند الكلام بها، وذلك إذا امتد خارج قبيلته، أو أثناء إنشاده الشعر، ويتمثّل المستوى الثاني في لهجته الخاصة التي يتكلّمها في نطاق بيئته وشؤونه اليومية، بما تحمله من سمات تميزها عن غيرها من اللهجات"[1] وبمرور الزمن أخذت هذه الملامح الخاصة بلهجة دون أخرى تختفي شيئا فشيئا حتى بلغت اللغة العربية أعلى درجة من الفصاحة، وصارت لغة مثالية تنطقها العرب، ولا يعسر فهمها عليهم، لأنّه لا يوجد اختلاف كبير بين لغة الكتابة ولغة المشافهة، لكن ذلك لم يدم طويلا، فسرعان ما اختلط العرب بغيرهم أثناء الفتوحات الإسلامية واحتكّت اللغة العربية بلغاتهم، وأخذ اللحن يشيع على الألسنة، وتسربت إليها ألفاظ من اللغات الأخرى وظهر ما يسمى بالعاميات، وبذلك صار للغة العربية مستويات تعبيرية مختلفة، والاختلاف في بدايته كان ضيقا، لكن بمرور الوقت، أخذت الفجوة بينها تتّسع خاصة بعد ظهور وسائل الإعلام في العصر الحديث إذ صار

---

[1]-نهاد الموسى، ثنائيات في قضايا اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، ط1. عمان: 2003، دار الشروق، ص128.

الفرد العربي لا يستطيع أن يتواصل مع أخيه في بلد عربي آخر، حتى يلجأ إلى التكلّف والتصنّع في كلامه.

1- المستوى اللغوي بين القواعد والاستعمال:

1/1- مفـهوم المستوى اللغوي: ونقصد به الاختلاف في استعمال اللغة، سواء من حيث الضبط في الكلمات، أو من حيث تقديم حروف الكلمة بعضها عن بعض، أو استبدال حرف بحرف في كلمة واحدة أو استبدال كلمة بكلمة عربية أو أجنبية، وهذا الاختلاف يظهر لنا عند النطق والكتابة في لغة واحدة ولا نقصد بالمستوى اللغوي مستويات اللغة الأربعة (الصوتي، والصرفي، والدلالي، والتركيبي) بل نعني بذلك ما يرتبط بالناحية الوظيفية للغة، ومختلف أداءات اللغة الواحدة لدى الأفراد الناطقين بها مما يتوقّف على جملة من المعطيات، كالمقام، وطبيعة المتكلّم، واللغة المستعملة، بحيث يظهر الاختلاف في هذا الاستعمال، والذي يكون فيه التركيب، والصوت، والصرف معالم تبرزه، وتحيل إلى أن ثمة أسبابا وكذا تدفع إلى جملة من المفاهيم التي أراها ذات العلاقة بالحديث عن المستوى اللغوي، وهي: الفصاحة، والعامية، آخذا في الحسبان مقامات استعمال اللغة، إذ قد يظهر الاختلاف حتى في المستوى الواحد، فللفصاحة مستويات، ومن ثمة الإشارة إلى ما اصطلح عليه الباحثون المعاصرون **بالفصحى المعاصرة**، وللإشارة فإن الحديث عن المستوى اللغوي لم يكن جديدا، فقد ظهر في ما ألّفه (الجاحظ) من قبل، ففي كتابه (البيان والتبيين) مثلا نجد قوله: "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما، ولكلّ حالة من ذلك مقاما"[1] إشارة إلى أن الاستعمال اللغوي يخضع لمقامات معينة، وتتحكّم فيه عوامل بشرية، كطبيعة المتكلّم أو السامع، مما يحتّم على مستعمل اللغة تلك أن ينحو بها منحى معينا.

2/1- المستوى المعياري: ويقصد بالمعيار القاعدة، والمستوى المعياري في اللغة هو ما روعيت فيه القواعد من إعراب، واشتقاق، وتصريف، وغير ذلك مما نجده في المكتوب عادة، إلاّ أنّه ينبغي العلم بأن هذه القواعد تراعى كذلك في مقامات من الخطاب الشفوي، بما يستجيب لما يسمى (مقام الانقباض) أو (حرمة المقام) ففيه تظهر عناية المتكلّم الشديدة بما ينطق من ألفاظ، وإعطاء كلّ حرف حقّه في النطق بتأديتها من غير اختصار، أو حذف صفة من صفاتها، ويعتمد الناطقون هذا المستوى من التعبير في المواقف الرسمية، كخطاب الرئيس، أو خطبة الإمام في المسجد يوم الجمعة، أو في مناسبات دينية

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 77.

أخرى نظرا لما يتطلّبه الموقف من لغة سليمة، ويعرفه الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) بأنّه: "ذلك الأداء الذي يتمسك به في الخطب والمحاضرات في المحافل، وكلّ مقام ذي حرمة، وغالبا ما نجده على المكتوب، وبه يجمع ويحفظ التراث من الاندثار، وهو أبطأ تغيرا عبر الزمن من الأداء العفوي لأن لغة التخاطب اليومي هي أكثر عرضة للتحول والخطأ"[1] إلاّ أنّه من الممكن أن نميز في الخطاب الشفوي مستويين، أحدهما خاضع للمعيار، ولعلّ ذلك بفعل ما يصاحبه من عملية التدوين للخطاب سواء حين يتعلّق الأمر بالرئيس، أو صاحب خطبة الجمعة، في حين يكون هذا الخطاب العفوي الذي تظهر فيه التغيرات والمخالفات للقاعدة بشكل أسرع، لا يحظى بدعم كتابي، ولا إعداد مسبق.

إن احترام القاعدة اللغوية من شروط اللغويين قديما للحكم على فصاحة القول، أما مخالفتها فهو إخلال وانتقاص من تلك الفصاحة، ولهذا يجدر الحديث عن مفهوم الفصاحة وشروطها، سواء على مستوى اللغة نفسها، أم على مستوى مستعملها.

- **مفـهوم الفصاحة:** إن للفصاحة في الاصطلاح العربي معنيين: الفصاحة البيانية، وهي قدرة المتكلّم على إنشاء كلام مؤثّر في السامع، والفصاحة اللّغوية، هي موضوع النحاة واللغويين، وهي في نظرهم تعني أداء الكلام وفق المعايير النحوية بشكل عام، بعدم الوقوع في اللّحن، ولما بحث هؤلاء اللغويون والنحاة عن هذه الفصاحة لم يجدوها إلا عند الأعراب الأقحاح، ولهذا قاموا بتحديد رقعتها زمانا ومكانا، فزمانا إذ استمرت الفصاحة في العرب منذ اكتشاف أول نص في العربية - في العصر الجاهلي- إلى أواخر القرن الرابع الهجري، أما مكانا حيث استبعد الرواة القبائل الحضارية، وكذا القبائل المختلط سكانها بالأعاجم، ولم يأخذوا اللغة إلاّ من الأعراب القاطنين في بوادي نجد والحجاز.

أ- الفصاحة لغة: اعتاد الدارسون -وخاصة العرب- أن يحددوا المعنى اللغوي للمصطلحات قبل المعنى الاصطلاحي، وهذا للصلة الوثيقة الموجودة عادة بين المعاني اللغوية والمعاني الاصطلاحية للكلمات، فالرجوع إلى المعاجم، والكتب العربية للوقوف على مدلول مادة (فصح) نجد أن الفصيح، خلوص الشّيء مما يشوبه، وأصله في اللبن إذ يقال أفصح وفصح اللبن إذا تعرى، وذهبت منه الرغوة وانجلت منه[2] ويتجلى ذلك في قول نضلة السلمي:

---

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح "إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي" مجلّة المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر: 2009،المجلس الأعلى للغة العربية، عدد خاص، ص66.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصح).

ولَم يخْشَوا مصالتَه علَيهم وتَحتَ الرغْوة اللبن الفَصيح

ويقال فصح الأعجمي (بالضم الصاد) فصاحة، أي تكلّم بالعربية وفهم منه، وقيل جادت لغته حتّى لم يلحن.

ويقال: "أفصح الصبي في منطقه إفصاحا، إذا فهمت ما يقول في أول ما تكلّم، ويفصح الأغتم إذا فهمت كلامه بعد غتمه"[1] و"أفصح الشّيء، إذا بدا ووضح"[2] فالمعنى اللّغوي للفصاحة من خلال هذه الأمثلة ،هو البيان والوضوح[3] فكلّ ما كان بينا، وواضحا، فهو فصيح سواء أكان كلاما، أم غيره والفصيح في اللغة المنطلق اللسان في القول، الذي يعرف الكلام الجيد من رديئه، ومن معاني اللفظ كذلك النقاء والخلوص.

ب- الفصاحة اصطلاحا: اضطّرب مفهوم الفصاحة كثيرا لدى المهتّمين بالدراسات اللغوية العربية وهذا الاضطّراب ناتج عن عدم التفريق بين الفصاحة بمعناها اللغوي والمعنى البياني فالفصاحة اللّغوية عند النحاة واللغويين العرب القدماء، كانت تعني السليقة، أي الطبيعة والسجية، نقول: فلان يتكلّم بالسليقة أي بطبيعته، أو بطبعه الذي نشأ عليه، وهذا المفهوم يمكن أن نستنتجه من كلام (الجاحظ) بواسطة المقابلة التي قام بها بين عدة مفاهيم متقاربة، إذ يقول: "فمن يزعم أن البلاغة أن يكون السامع يفهم معنى القائل، جعل الفصاحة واللكنة، والخطأ والصواب، والإغلاق والإبانـة والملحون والمعرب كلّه سواء وكله بيانا"[4] فإذا قابلنا بين هذه المفاهيم على النحو الآتي: (الفصاحة اللكنة) (صواب، خطأ) (إبانة، إغلاق) (معرب، ملحون) نلاحظ أن الفصاحة تقابل اللحن والخطأ ومقابلتها للّحن يفهم منه الخروج عن أوضاع العرب في كلامهم، كما لا يطلق على عدم الفصاحة البيانية اللّحن، ومن هنا ندرك أن الكلام في هذا المضمار مستويان، مستوى السلامة اللغوية، وهو خلوه من اللحن، ومستوى السلامة البيانية، وهو اختيار الكلام الجيد المؤثّر في السامع، فلكي يكون كلام الشخص فصيحا، يجب أن يكون موافقا لنظام العربية وسننها من حيث تأدية أصواته وأبنيته، ومن

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (فصح).

2- نفسه.

3- ينظر: عبد الرحمان الحاج صالح، السماع العلمي اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص 29- 41.

4- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص148.

حيث إعرابه وصوابه واختيار كلماته الفصيحة، إذ نبين ما هي الكلمة الفصيحة، والكلام الفصيح والمتكلّم الفصيح:

ويشترط في فصاحة الكلمة المفردة خلوصها من الأمور الآتية:

- تنافر الحروف، أي لا تكون الكلمة ثقيلة على السمع، صعبة على اللسان مثل: (الهعخع) نبات ترعاه الإبل، إذ سئل أعرابي عن ناقته فقال: تركتها ترعى الهعخع، وقول امرئ القيس: "غدائره مستشزرات إلى العلى"[1].
- غرابة الاستعمال، وذلك كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب حتى لا يفهم المراد منها، ويتجلّى ذلك مثلا في قول (عيسى بن عمروا النحوي) حين وقع من حماره واجتمعت عليه الناس[2]:

ما لَكُم تَكَأْكَأْتُم علَي كتَكَأْكُئِكُم   علَى ذي جِنة افْرنْقعوا عني

- مخالفة القياس: ذلك أن تكون الكلمة شاذّة عن القانون الصرفي مثل: الأجلل.
- ويشترط في فصاحة الكلام المركّب خلوصه من الأمور التالية:
- عدم فصاحة بعض كلماته، فإذا اشتمل على كلمة غير فصيحة، سقط الكلام عن الفصاحة.
- تنافر الكلمات المجتمعة، بأن يكون بين كلماته تنافر، فتثقل على السمع، وتعسر على النطق كمثل هذا البيت:

وقَبر حربٍ بِمكَانٍ قَفْرِ   ولَيس قُرب قَبرِ حربٍ قَبر[3]

- ضعف التأليف، أي يكون الكلام جاريا على خلاف قوانين النحو.

هذا في ما يخص اللغة، وأما ما له علاقة بمستعمل اللغة، ففصاحته أن يكون ذا ملكة يقدر بها على التعبير عن المقصود بكلام فصيح، ويوظّف في كلامه شروط فصاحة الكلمة والكلام، ويرى القدامى أنّه لا يخرج عن تلك الرقعة التي حددت لحصر مفهوم الفصاحة، كما سيأتي ذكره.

---

[1] - عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص185.

[2] - نفسه، ج1، ص185.

[3] - الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص74.

ونلاحظ مما سبق أنّه قد وردت مصطلحات منها: الفصاحة، والسليقة، والملكة، وهي مصطلحات استعملها نحاة العربية، وتطلق عندهم على معنى واحد في ميدان الدراسات اللّغوية، وهو تعلّم اللّغة من المحيط في الصغر دون معلّم، وهي مقابلة للّحن الذي فشا على ألسنة المولّدين، و"لم تزل العرب في جاهليتها وصدر من إسلامها تبرع في نطقها بالسجية، وتتكلّم على السليقة، حتى فتحت المدائن ومصرت الأمصار ودونت الدواوين، فاختلط العربي بالنبطي، والتقى الحجازي بالفارسي ودخل الدين أخلاط الأمم وسواقط البلدان، فوقع الخلل في الكلام، وبدأ اللحن في ألسنة العوام"[1] ومن ثم ظهرت هذه المصطلحات لتكون مفاتيح للدرس اللغوي أثناء تناوله لهذه القضايا المستجدة بالدراسة وفي هذا القول يشير (السيوطي) إلى أسباب هذه الظواهر.

ج- تحـديد رقعة الفصاحة: إن مما اشتهرت به الدراسات اللّغوية العربية قديما، تحديد رقعة الفصاحة زمانا ومكانا، فمن الناحية المكانية اعتمد اللغويون على القبائل البدوية، وخاصة: قيـس وتميم، وأسد وطيء، وهذيل، وكنانة، إذ قال (أبو نصر الفارابي) في أول كتابه المسمى: (الألفاظ والحروف) "كانت قريش أجود العرب انتقادا (انتقاء) للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق وأحسنها مسموعا وأبينها إبانة عما في النفس، والذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدي وعنهم أخذ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه وعليه أتّكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم"[2] وأبعدوا ما سواها من القبائل المتاخمة للأعاجم، أو القبائل الحضرية فإنّهم لم يأخذوا من حاضرة الحجاز، لأن الذّين نقلوا اللّغة وجدوا بأنّهم خالطوا غيرهم من الأمم، أما من الناحية الزمنية، فإن رقعة الفصاحة بدأت تضيق شيئا فشيئا، وهجم اللحن تدريجيا على ألسنة سكان البادية، فحين كانت الفصاحة شاملة لكلّ بلاد العرب، حضرها وبدوها في الجاهلية، وفي صدر الإسلام، وجدنا هذه الرقعة تضيق في بداية التحريات الميدانية، ولم توجد لغة نقية إلاّ في مناطق نائية في بوادي نجد، والحجاز، وشمال اليمن، واستمرت تضيق حتى أصبحت الفصاحة لم يعد لها وجود، تقريبا، في أواخر القرن الرابع الهجري، وأصبحت اللغة العربية الفصيحة لغة الكتابة والثقافة فقط، وحلّ محلّها في التخاطب اليومي ما اصطلح عليه بالعاميات.

---

[1]- أبو بكر محمد حسن بن مذحج الزبيدي، مراتب النحويين، ص4.

[2]- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، ج1، ص211.

وقد قامت انتقادات كثيرة من طرف الدارسين العرب المحدثين لهذا التحديد الزمني والمكانـي إذ هناك من اعتقد أن هذا التحديد كان ابتداء من العصر الجاهلي وصدر الإسلام، ويظهر ذلك في انتقادهم لتحديد القبائل التي أخذت منها اللغة، واعتبروا ذلك غير صحيح، بدليل وجود لغات كثيرة موجودة، أو ذكرت في القرآن الكريم، ومن ناحية أخرى، اعتبروا أن اللغويين كانوا متناقضين حين عدوا لغة قريش أفصح اللغات، ثم رفضوا الأخذ عنها، بحجة أنّها متواجدة في حاضرة الحجاز، ومن جهتنا، نقول بأنّه لا يبدو أن ثمة تناقضا في المسألة، بحيث إن الإقصاء الذي مارسه اللغويون على بعض قبائل العرب من رقعة الفصاحة، يبدأ من زمن بدء التحريات الميدانية وجمع المادة اللغوية، في الزمن الذي بدأ فيه اللغويون يخرجون إلى البادية، ويشافهون فصحاء الأعراب، ويأخذون عنهم اللغة مباشرة، وهذا الزمن يبدأ من سنة تسعين للهجرة، كما تورده المصادر، أما النصوص المأثورة قبل ذلك، فكلّها كانت فصيحة، إذن فاللغات التي جاء بها القرآن الكريم، والشعر الجاهلي، وشعر صدر الإسلام، كلّها فصيحة، لأن القرآن أُنزِل في زمن كانت فيه هذه القبائل فصيحة، واللحن لم يشع إلاّ بعد ظهور الإسلام واختلاط العرب عامة بغيرهم من الأمم التي كانت تتكلم لغات أخرى.

أما فيما يخص لغة قريش، كونها أفصح اللغات ثم رغم ذلك تم إبعادها من مدونة الاحتجاج فهو ليس تناقضا كما قيل، إنّما إقصاؤها راجع إلى السبب نفسه، فلغة قريش كانت أفصح اللغات في الجاهلية وزمن نزول القرآن، أما في زمن التحريات، وجمع المادة اللغوية، فقد تسرب إليها اللحن وفسدت لظروف سبق وأن تحدثنا عنها، وبالتالي ليس هناك تناقض، وأقدم نص في هذا المجال، يعود إلى (أبي نصرالفارابي ت329هـ) يشيد فيه بنقل معظم لسان العرب عن هذه القبائل والذي نقله (السيوطي) و"ما يستنتج من هذين الشاهدين:

- مسألة القبائل الفصيحة، أو التي يحتج بها لم يقلّ فيها الأصوليون.
- صعوبة تأكيد الاحتجاج بهذه القبائل، إذ لم يعثر على أي نص عن (الخليل بن أحمد) يشير إلى أنّه اعتمد لهجات بعينها لتقعيد القواعد النحوية، فكيف إذا علمنا أن (الفارابي) المتوفى سنة 329هـ تقريبا و(السيوطي) المتوفى سنة 911هـ و(الخليل بن أحمد الفراهدي) واضع علم النحو، توفي سنة 170هـ تقريبا"[1] ويرى بعض الدارسين أن تحديد القدماء لرقعة الفصاحة

---

[1]- صالح بليعد "الاحتجاج اللغوي" مجلة مجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر: 2005، المجمع الجزائري للغة العربية العدد1، ص52-53.

عمل غير علمي، لأنّه ليس من مهام العالم أن يقف في وجه تطور اللغة، واللحن ظاهرة تطورية طبيعية للّغة العربية، وكان الأجدر بالنّحاة القدماء تسجيلها ودراستها، وليس الوقوف في وجهها، وذلك أن اللغة في تطور مستمر، لكن النحاة القدماء في عملهم هذا كانوا يهدفون إلى:

- وضع قواعد تعرف بها اللغة العربية الأصلية التي لم تتأثر بغيرها من اللغات، ولهذا تحرجوا كلّ التحرج من الاختلاط، فكلّ مجتمع يحرص على تنشئة أبنائه وفق نظام لغوي معين، فاللّغة هي الوسيلة التي تصبغ الفرد الصبغة الاجتماعية وإذا اعتبرنا أن اللحن هو تطور طبيعي للغة فإنّنا نعتبر اللهجات العامية اليوم هي الفصحى، فهي جديرة أن تدرس على انفراد.
- أن هؤلاء لم يكن هدفهم تسجيل تطور اللغة العربية، وإنّما كانت دراستهم دراسة وصفية آنية والهدف منها تحليل اللّسان العربي في مرحلة واحدة منه، كما قال (دي سوسور) ولو لم يفعلوا ذلك لوجدوا أنفسهم يدرسون تطور اللغة، وذلك منهج آخر لم يقصدوا إليه.
- أضف إلى ذلك أن عمل هؤلاء لم يكن محصورا في التصدي لما يعرف بـ (اللحن) بل كان فهم النص القرآني من أولويات البحث في اللغة العربية لاستنباط قواعدها، لذلك تحروا أنقى لغة من جملة ما كان مستعملا، ثم فصلوا في هذه القواعد تفصيلا دقيقا، وهل سيكون ذلك لو كان لمجرد اللحن؟

من المعروف أن انتشار الإسلام في القرن الأول من الهجرة، كان سببا في امتزاج العرب بغيرهم من الأجناس الأخرى التي دخلت في الدين الجديد، إذ تعايشوا وتبادلوا المنافع في حواضر الإسلام التي بناها المسلمون، كالكوفة والبصرة، وحصل ذلك حتى في مدن شبه الجزيرة العربية كمكّة والمدينة وبعض القرى القديمة، فهذا الاختلاط أثّر أيما تأثير في اللغة المستعملة، التي صارت في أفواه الأجيال الحضرية الجديدة على غير ما كانت عليه قبل هذا العصر.

وذكر الأستاذ(محمد خير الحلواني) في كتابه (من تاريخ النحو العربي قبل سيبويه) أن اللغة العربية في صدر الإسلام كانت على مستويات ثلاثة نذكر منها[1]:

[1]- محمد خير الحلواني، من تاريخ النحو العربي قبل سيبويه، ص19- 20.

- **المستوى الأول:** يمثّل اللغة المثالية (الفصحى) وهي تلك اللغة التي تستعمل في الشعر والخطب وتتقيد بالإعراب وضوابطه، وهي تخلوا من الظواهر اللهجية كالعجعجـة والكشكشة، وهي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.
- **المستوى الثاني:** ويتمثّل في اللغة البدوية، وهي اللغة التي كانت تستعمل في بوادي نجد وتهامة والحجاز، وما جاورهـا، وهي أيضا تعني بضوابط الإعراب، وذلك ظاهر في ما نقله اللغويون من كلام الذين سموهم الفصحاء أثناء جمع المادة اللغوية، بحيث إن اللغة البدوية هي اللغة المثالية نفسها لكن تختلف عنها في استعمال اللهجات المحلية التي تختلف من منطقة إلى أخرى.
- **المستوى الثالث:** ويتمثّل في لغة الحواضر، وهي اللغة المستعملة في المدن كمكّة، والمدينة وأطراف الشام، ووصفت باللحن، أي بالخروج عن سنن كلام العرب في بعض صفاتها بالإضافة إلى أن معجمها اللغوي تأثّر بلغات الجاليات التي كانت تستوطن مكّة، كالحبشية والرومية، والفارسية.

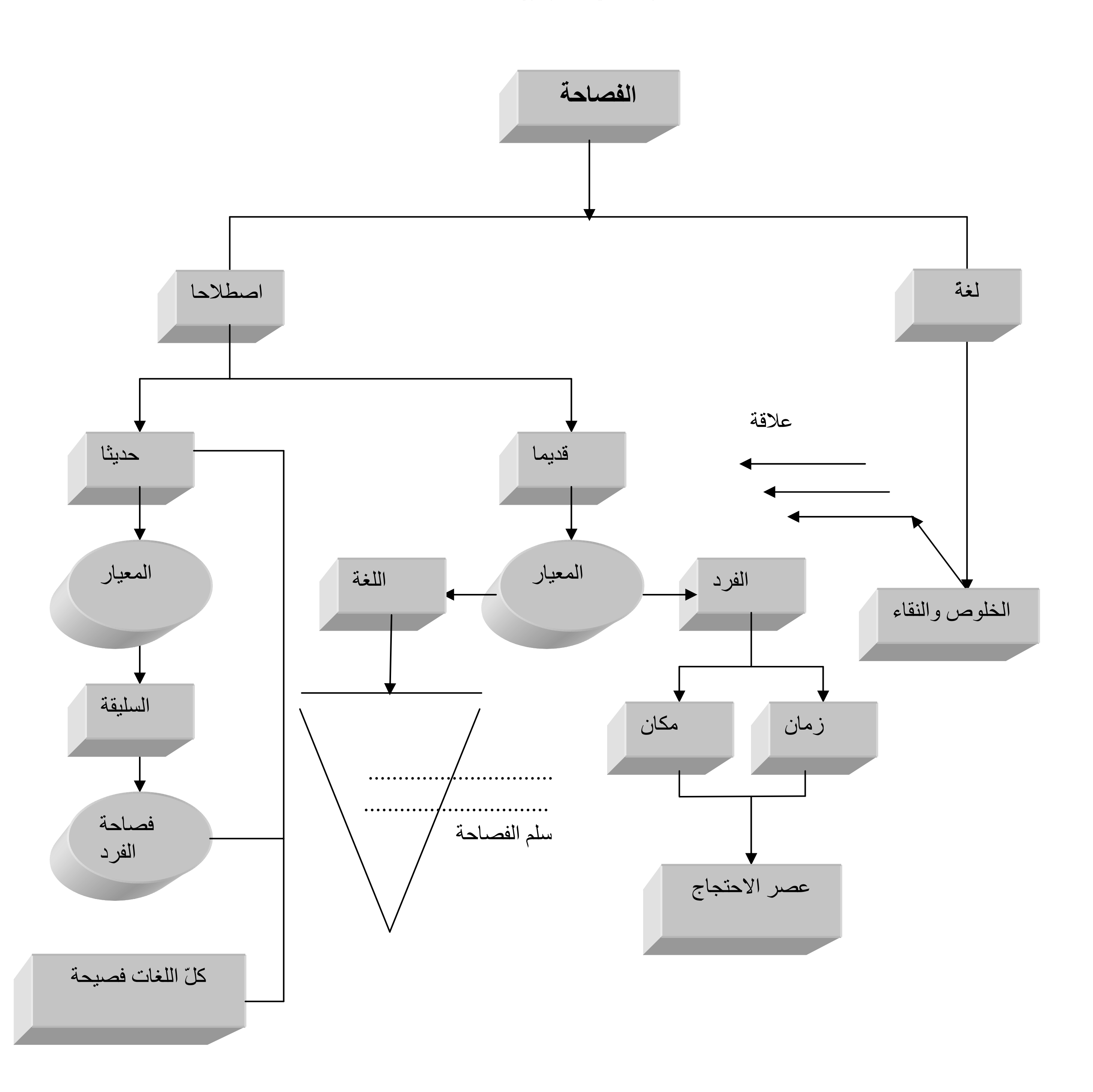
لم يدم الوضع اللّغوي على هذه الحال، إذ سرعان ما انتشر الإسلام خارج الجزيرة العربية واختلاط العرب أكثر بغيرهم من العجم والموالي، وأخذت اللغة المستعملة تتغير شيئا فشيئا، بحيث انفصلت اللغة العربية الفصحى عن المجتمع العربي، وفُقدت السليقة، وصارت اللغة تكتسب بالتلقين وكلّ ذلك أدى إلى ظهور اللحن على الألسنة، وكانت نتيجة ذلك ظهور ما يسمى بـ(العامية) التي يأنس إليها العامة خاصة الأعاجم، فبمرور الزمن، أخذت الفجوة تتّسع بين الفصحى والعامية أكثر فأكثر، وصارت اللغة الفصيحة لغة أدب وثقافة بعد أن كانت لغة كلّ أنواع التبليغ والممارسـة وصارت تكتسب بالتلقين واللغة التي تكتسب بالتلقين، لن تكون في منأى عن الخطأ واللحن، وعزوف أهلها عنها، وذلك ما يؤكّده الأستاذ (عبد الرحمان الحاج صالح) في مقاله أن "...اللغة إذا صارت تكتسب الملكة فيها بالتلقين، وإذا اقتصر هذا التلقين على صحة التعبير وجماله فقط، واستهان بما يتطلّبه الخطاب اليومي من خفّة واقتصاد في التعبير، وابتذال واسع للألفاظ، تقلّصت رقعة استعمالها

وصارت لغة أدبية محضة"[1] بالفعل ذلك ما حدث للغة العربية، إذ أخذ الأمراء يبعثون أولادهم إلى البادية لتعلّم اللغة الفصيحة، لكن مهما يكن ذلك التلقين، إلاّ أنّه يقع في أخطاء لغوية مختلفة.

للغة العربية -كباقي اللغات- أداءات مختلفة من حيث الاستعمال، وذلك حسب المتكلّمين، لأن الناس طبقات - كما قال الجاحظ- فيهم المثقّف والأمي، وفيهم الغنّي والفقير، ومن بين هذه المستويات أو الأداءات، نجد المستوى الفصيح بشقّيه: الترتيلي والاسترسالي، كما اصطلح عليه الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) ومستوى لغة المثقّفين، والمستوى العامي، وما بين الفصيح والعامي، لغة وسائل الإعلام، اصطلح عليه بـ (الفصحى المعاصرة) مستوى يضاف إلى هذه المستويات الأخرى.

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح "اللغة العربية بين المشافهة والتحرير" مجلة مجمع اللغة العربية المصري، القاهرة: 1990، مجمع اللغة العربية المصري، العدد66، ص118.

شكل توضيحي لمفهوم الفصاحة:



3/1- المستوى اللغوي في الاستعمال: سنتحدث هنا عن اللغة الوظيفية في أوسع نطاق الاستعمال في الخطاب الشفوي اليومي، للإشارة أنّه حتّى في هذا المجال، يمكن إيجاد مستوى فصيح للّغة، مع مراعاة جملة من المعايير، لعلّ أهمها **المقام** الذي يؤدى فيه الكلام، فمن المعلوم أنّه يختلف ما يستعمله الابن والأهل، والجار، والصديق، والزميل في العمل، عما يستعمله المعلّم في المدرسة في عصرنا الحاضر كما نجد خلافا بين مرافعة أعرابي أمام قاض، أو جداله في أمر لغوي، أو أدبي، أو تاريخي، وبين خطاب عربي مع صديق له في مجالس سمر ليلا، في عصور الفصاحة قديما، وكلّ ذلك فصيح لكنّه لا يرقى إلى المستوى المعياري، لما يتّصف به من مخالفات للقاعدة، ولقد اصطلح على هذا المستوى الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) بـ (**مستوى الأنس**)[1] ويتميز عن السابق (المعياري) بخصائص معينة ، وقبل الحديث عن هذه الخصائص، سنقف على مفهوم هذا المستوى.

1/3/1- مستوى الأنس (الاسترسالي): وهو ذلك المستوى الذي يستجيب لمقام الأنس، إذ يستعمل في التخاطب اليومي العادي، وفيه يسترسل صاحبه عند مخاطبته لشخص مأنوس، كخطاب الأبناء والزوجة في المنزل وبين الأصدقاء، ويمتاز عن الأول بكثرة التخفيف كاختزال الحركات والحذف للحروف والكلم والإدغام بين أواخر حروف الكلمة والكلمة التالية وغير ذلك من أنواع التخفيف[2] وهذا الأداء اللّغوي استعمله العرب عندما كانت السليقة والفصاحة اللغوية فطرة فيهم، ولم تكتسب بالتلقين ولهذا نجدهم يميلون إلى استعماله لما فيه من التقليل من الجهد العضلي، وكسب الوقت أثناء الكلام لأن الإنسان بطبعه يميل إلى الاقتصاد في كلّ سلوكا ته، وذلك في مقام الأنس "فكلّما كان المقام مقام أنس كان المتكلّم إلى الحذف ما هو غني عنه لإبلاغ مراده أميل وأكثر ارتياحا، وهذا هو بالذات ما يمنح للّغة حيويتها، وقد كانت الفصحى التي دونها اللغويون العرب الأولون تتصف بهذه الصفة"[3] فاللغة مهما كانت، إذا وجدت فيها هذه الميزة -الاستخفاف- وجدت إقبالا على استعمالها في الحياة اليومية لأنّه إذا قارنّا بين حالة الفرد العادية، وحالة أنس نجدها أكثر بكثير من المواقف التي

---

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح "إعادة الاعتبار للغة العربية في المجتمع العربي" مجلّة المجلس الأعلى للغة العربية،الجزائر:2009، المجلس الأعلى للغة العربية،عدد خاص، ص 67.

[2]- كريمة أوشيش، التداخل اللّغوي في اللغة العربية "تدخل العامية في الفصحى لدى تلاميذ الطور الثالث من التعلم الأساسي" دط. الجزائر: 2002، ص43.

[3]- عبد الرحمن الحاج صالح، اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، مجلة مجمع اللغة العربية المصري، القاهرة:1990 مجمع اللغة العربية، العدد66، ص118.

يكون فيها في حالة انقباض، فبالتالي يكون استعمال المستوى (الاسترسالي) أكثر من استعماله للمستوى (الترتيلي) إذا اللغة المنطوقة أو الشفهية أكثر تداولا على الألسنة ، فالمستوى الاسترسالي المستخف هو اللغة في حد ذاته.

➢ **خصائصه:**

أ- اختلاس المصوتات: ويراد به الإسراع بالحركة، أي أن الناطق يسرع في نطقها ويختطفها فلا يحقّق ذلك النطق كاملا، ومن بين الاختلاسات التي نجدها في المستوى الاسترسالي:

- **الحركات الإعرابية**: إن ما هو معروف عند العرب أنّهم لا يبتدئون كلامهم بساكن، ولا يقفون على متحرك، وأدنى سكتة تقتضي سقوط الحركة والتنوين، كما نجدهم أيضا يختلسون الحركات ليس في أواخر الكلم فحسب، وإنّما قد يخفّفون عن ألسنتهم بإخفاء بعض الحركات في أماكن كثيرة من الكلام ولم يحقّقوا، وذلك ما نجده في القراءات القرآنية، وهو دليل على أن الفصحى كانت لغة التخاطب اليومي بما تمتاز به من الظواهر اللّغوية الخاصة بالمستوى المستخف، ومن أمثلة ذلك قول (أبي العيناء): "ما رأيت مثل الأصمعي قطّ، أنشد بيتا من الشعر فاختلس الإعراب، ثم قال حدثني (عيسى بن عمر) أن (ابن إسحاق) قال: "العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيهق فيه"[1] ونلاحظ أن العرب يختلسون عند توالي الحركات استخفافا من ثقل تتابع الحركات، ونص على ذلك سيبويه قائلا: "وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا، وذلك في قولهم (يضربها) و(مأْمنْك) ... ومن ثم قراءة أبي عمر بن العلاء في قول تعالى: **وإذْ قَالَ موسى لقَومه يا قَومِ إنّكُم ظَلَمتم أنفُسكُم باتخاذكُم العجلَ فَتوبوا إلى بارئْكُم فَاقْتلُوا أنفُسكُم ذَلكُم خير لَكُم عند بارئْكُم فَتاب عليكُم إنه هو التواب الرحيم** (البقرة 54)

وذلك ما ذكره أيضا (ابن جنّي) حين حديثه حول اختلاس الحركات، إذ يقول: "ألا ترى إلى قراءة (أبي عمرو): **مالَك لا تأمنا على يوسف** (يوسف 11) مختلسا لا محقّقا، وكذلك في قوله عز وجل **أليس ذَلك بِقَادرٍ على أنْ يحيِ ا َوتى** مخفي لا مستوفى، وكذلك في قوله تعالى **: توبوا إلى بارئْكُم** مختلسا غير ممكّنٍ وذلك في كسر الهمزة"[2] وهذا دليل على أن العرب كانت تميل إلى التخفيف ولاسيما عند التخاطب العفوي، وذلك ما يعطي للّغة حيويتها وتجلت هذه الظواهر، كالاختلاس في القراءات القرآنية التي تعتبر "المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائدا في شبه الجزيرة العربية قبل

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ج1، ص 73.

[2]- سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دط. دت، الهيئة المصرية العامة، ج4، ص202.

الإسلام وتعتبر القراءات في طريقة نقلها تختلف عن كلّ الطرق التي انتقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر، بل يختلف عن طرق نقل الحديث"[1] بحيث إنّها تصف اللغة الحقيقية المستعملة في تلك الفترة والشيء الملاحظ في كلام العرب أنّهم يفضلون حركات دون أخرى، إذ هم يميلون إلى الفتح أكثر من ميلهم إلى الضم والكسرة، إذ لا نجد في الثنائي-على قلّة حروفه- ما أوله مضموم إلاّ قليلا وإنّما عامته الفتح نحو: هل، بل، قـد، أن، ويعلّل سيبويه ذلك بقوله: "إنّما حملهم على هذا لأنّهم كرهوا أن يرفعوا ألسنتهم على المفتوح إلى المكسور والمفتوح أخفّ عليهم، فكرهوا أن ينتقلوا من الأخفّ إلى الأثقل"[2] وإذا تتابعت الضمتان، فإن هؤلاء يخفّفون أيضا، كما يكرهون توالـي الـواوين مثل: الرسل← الرسل، العنُق←العنْق، وكذلك بالنسبة للكسرتين واليائين، وذلك قولهم:إبِل←إبل، أما إن توالت الفتحتان فإنّهم لا يسكنون منه لأن الفتح أخفّ عليهم من الضم والكسر، كما أن الألف أخفّ من الواو والياء وذلك حتى في أكثر من ثلاثة أحرف مثل: (أراك منْتَفْخًا) وتسكن الفاء وهي في الأصل (منْتَفخًا) وكذلك في (نعم) و(بِئْس) إذ هناك من العرب من يقول (نَعم الرجل)[3] بفتح النون، ومن خلال هذه الأمثلة الواردة في مؤلفات القدماء، نستنتج أن اختلاس الحركات حدث في كلام العرب العفـوي أي في حال الأنس فاختلاسها أخفّ من تحقيقها، وذلك ليس من الخطأ في اللغة بل هي اللغة العفوية الفصيحة التي يتواصل بها العرب في زمان الفصاحة عن سليقة دون تكلّف أو تصنّع "وقد بنوا كلامهم على متحرك وساكن، ومتحركين وساكن، ولم يجمعوا بين ساكنين في حشو كلمة، ولا بين أربعة أحرف متحركة"[4] لأن في اجتماع الساكنين يبطئون، وفي كثرة الحروف المتحركة يستعجلون ففضلوا الحركة عن الإسكان.

- **اختلاس الحروف:** إن العرب كما أنّها تختلس الحركات، تختلس وتختزل الحروف، وذلك بغية الخفّة في كلامها، ومن أمثلة ذلك قولهم: (أريد ألاّ تفعل كذا) فزعم الخليل أن: "(ألاّ) متكونة من (لا) النافية زائد (أن) قال: حذفها العرب لكثرتها في كلامهم، كما في قولهم: (ويلمه) ويريدون: (ويل لأمه) وجعلت حرفا واحدا قصد التخفيف، كما جعلوا (هلاّ) بمنزلة حرف واحد، فإنّما هي (هل) و(لا)

[1]- عبده الراجحي، اللهجات العربية في القراءات القرآنية، دط. الإسكندرية: 1965، دار المعرفة الجامعية، ص93.

[2]- سيبويه، الكتاب، ج4، ص114.

[3]- نفسه، ج4، ص 114، 116.

[4]- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو، تحقيق: مازن مبارك، دط. القاهرة: 1909، مكتبة دار العروبة ص70-71.

ونجدهم يحذفون أيضا في أواخر الكلمة مثل قولهم: (لم يك) اختلسوا الحرف الآخر، وأصله (لم يكن)[1] ومن كلام العرب أيضا أن تحذف (لا) النافية، ويقصد معناها مثل قولهم: (وا أفعل ذاك أبدا) وتريد (وا لا أفعل ذلك أبدا) وكما في قولهم: (بئسما له) ويريدون (بئس الشيء ماله) ومن العرب من يقول: (جنَدلٌ) و(ذَلّذلٌ) حذفت الألف في (جنادل) و(ذلاذل) وعوضت بالتنوين، ونجد أن سيبويه يقول: "زعم من يوثق به سمع العرب من يقول: (ثَلاثَه ربعه) طرح الهمزة من (أربعة) ففتحها ولم يحولها تاء لأنّه جعلها ساكنة، والساكن لا يتغير في الإدراج"[2] فالحذف ظاهرة شائعة على ألسنة الفصحاء من العرب وليس ذلك خروجا عن سنن الفصحى، فالعرب يتكلّمون كلاما سهلا لا يلحنون فيه، وهم إلى التخفيف والسهولة أميل.

ب- **الإدغام:** جاء في لسان العرب "دغم الغيث الأرض، إذا غشيها وقهرها، والإدغام إدخال اللجام في أفواه الدواب، ونقول أدغم الفرس اللجام: أدخله في فمه، وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا وهو تقريب الصوت من الصوت"[3] ومن شروط الإدغام التي حددها القراء ثلاثة وهي: سبب شرط، ومانع[4] ويعنون بالسبب العامل الذي ينشأ عنه إدغام حرفين معينين وهو متحصل في:

- التماثل: وهو أن يتّفقا مخرجا وصفة كالباء، والتاء، والثاء.
- التجانس: أن يتّفقا مخرجا، ويختلفا في الصفة، كالذال والتاء، والثاء والظاء.
- التقارب: أن يقتربا مخرجا أو صفة، أو مخرجا وصفة.

ويعنون بالشرط ألاّ يفصل بين المد غمين ما يجعل النطق بهما من موضع واحد متعذرا مثل: (أنا نذير) فهناك فاصل بين النونين، ذلك أن الالتقاء الصوتي هو الأساس.

ويقصدون بالمانع ما يمنع حدوث الإدغام وذلك في:

- كون الحرف الأول ضميرا للمتكلم أو المخاطب نحو قوله تعالى: **كُنت ترابا** (النبأ 40).
- كون الحرف الأول مشددا، مثل: **رب يما ، ذوقوا مس سقَر** (القمر 48).

---

[1] - سيبويه، الكتاب، ج3، ص28-29.
[2] - نفسه، ج3، ص265.
[3] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (دغم).
[4] - عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في النحو العربي، ط1. القاهرة: 1987، مكتبة الخانجي، ص131-1321.

- يكون الحرف الأول منونا نحو: **وسارب بالنهار** (الرعد 10) و **في ظُلُمات ثَلاث** (الزمر 6)

وهذا باختصار حول الإدغام وشروطه، أما أنواعه، فقد قسمه (ابن جنّي) إلى نوعين[1]: (إدغام أصغر وإدغام أكبر) فالإدغام الأكبر يقصد به الإدغام الناتج عن المتماثلين، ويكون الأول ساكنا والثاني متحركا، كما في (شد) و(قطّع).

أما الإدغام الأصغر، فهو تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام، وذلك أن تقع (فاء) (افتعل) (صادا) أو (ضادا) أو (طاء) فتقلب (تاؤه) (طاء) نحو: (اصطَبر، اضطَرب، إطرد اظْطَـم) والغرض من الإدغام هو التخفيف في النطق، واليسر والسهولة، ولهذا نجد العرب يلجؤون إليه أثناء كلامهم، وأثناء إنشادهم الشعر، ومن الشواهد الشعرية التي ورد فيها الإدغام[2] نذكر:

قال عدي بن يد العبادي:

وتَذَكَّر رب الخَورنَق إذْ أشْـ رفَ يوما وللْهدى تَفْكير

وقال أيضا:

من رأيتَ المنُون عزين أم من ذَا علَيه من أن يضام خَفير

بإدغام نون (من) في راء (رأيت).

قال طريف بن تميم العنبري:

تَقُولُ إذَا استَهلَكْتُ مالاً للَذّة فُكَيهةٌ هشَيء يكفيك لائِقُ

يريد: هل شيء.

ويقول مزاحم بن الحارث العقيلي:

فَدع ذَا ولَكن هتَعين متّيما على ضوء برق آخر اللّيل نَاصب

ويريد: هل تعين.

وقول آخر:

عافَت الشُرب في الشتَاء فَقُلْنَا بردِيه تُصادفيه سخينا

---

[1]- ابن جني، الخصائص، ج2، ص141.

[2]- عبد الصبور شاهين أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص71-73.

ويريد: بل رديه.

وقال سيبويه:"سمعنا من يوثق بعربيته قال: ثار فَضجضجةً ركائِبه" ويريد: (فَضجتْ ضجةً) فأدغم (التاء) في (الضاء)[1] وقول أبي هريرة (ﷺ)عن النبي (ﷺ) قال: "أيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته" (صحيح مسلم، ص125) أدغمت الدال في التاء، ولفظه: (جلتّه) والإدغام في أصله "ظاهرة لهجية اختصت بها قبائل وسط الجزيرة العربية وشرقيها وهم: تميم وما جاورها، ولكنّها ظاهرة راقية تهدف إلى التخفيف من بعض القيود النطقية بتحقيق الانسجام بين الأصوات المتقاربة"[2] وإن ترتّب على ذلك الانسجام بعض الإخلال بقواعد الضبط في أواخر الكلمات.

جـ - الإبـدال:

- **الإبدال لغة:** وهو جعل الشيء مكان الشيء الآخر[3] كقوله تعالى: **ثُم بدلْنا مكَانَ السيئَة ا َسنةَ** (الأعراف 95) وفي قوله أيضا **ألم تر إلى الذين بدلُوا نِعمةَ ا ِ كُفْراً وأحلوا قَومهم دار البوار** (إبراهيم 28).

- **الإبدال اصطلاحا:** هو جعل حرف مكان حرف آخر في الكلمة لضرورة لفظية، لتسهيل النطق بها تخفيفا واسترسالا مع إبقاء سائر أحرف الكلمة مثل[4]:

مدح ← مده   استأديت ← استعديت   إياك ← هياك

والإبدال نوعان:

- **الإبدال الصرفي:** ويقصد به الإعلال، وهو تغيير حرف العلة اجتنابا للثقل أو التعذر (الواو الياء والألف) مثل:

سماو ← سماء   قاول ← قائل

بايع ← بائع   صوم ← صام

---

[1] - سيبويه، الكتاب، ج2، ص420.

[2] - عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص72.

[3] - ابن منظور، لسان العرب، مادة (بدل).

[4] - عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الصوت والنّحو العربي، ص282، 291.

- **الإبدال اللّغوي:** وهو جعل حرف مكان آخر مثل:

لثام ← لفام		جمخ ← شمخ	
ثوم ← فوم		متع ← متح	

شمخ بأنفه، إذا تكبر، ومتع النهار إذا ارتفع.

فكلّ إعلال يقال له إبدال، وليس كلّ إبدال إعلالا[1] ولا تعتبر العيوب اللهجية إبدالا مثل نطق بني تميم الهمزة (عينا) في قولهم: (أشهد عنّك رسول ا) ويريدون: (أنّك) وهذيل التي نطق (الحاء) (عينا) مثل قولهم: (اللعم الأعمر أعسن من اللعم الأبيض) ويريدون: (اللحم الأحمر أحسن من اللحم الأبيض)[2] والمراد تبيينه هنا هو أن العرب في كلامهم يميلون إلى كلّ ما هو أخفّ وأسلس للنطق به، ففي كلّ الحالات يلجأون إلى الإدغام، أو الإبدال، أو تخفيف للهمزة، قصد الكلام بلغة تمتاز بالعفوية والسهولة والاسترسال، بحيث إن هناك حروفا لا تتكلّم بها العرب إلاّ لضرورة، وإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلّم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها، وضمن تلك الحروف: الحرف الذي بين الباء والفاء، مثل: (بور) إذا اضطروا قالوا: (فو) وكذلك الحرف بين الشين والجيم والياء مثل: (غلامج) وفي المؤنث (غلامش) [3] ولاشك في أن يكون ذلك فصيحا كلّه، فهم أهل اللغة، ومن عصر الاحتجاج، ولكن ذلك لضرورة أن يلجأ المتكلّم إلى اليسر والخفّة في التعبير، وهي طبيعة فيه، كما أسلفنا.

د- تخفيف الهمزة: والتخفيف لغة، خفّفت الشيء تخفيفا، جعلته خفيفا سهلا، واستخفّه طلب خفّته والتهذيب[4] كقول تعالى: **خالدين فيها لا يخفف عنهم العذَاب ولا هم ينظَرونَ** (آل عمران 88).

---

[1]- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ضبطه وشرحه أحمد قاسم، دط. بيروت: 2004، المكتبة العصرية ص160.

[2]- إبراهيم السمرائي، في اللهجات العربية القديمة، ط1. بيروت: 1994، دار الحداثة، ص98.

[3]- أبو الحسن أحمد بن فارس، الصاحبي فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص54.

[4]- عبد الحميد مصطفى السيد، الأفعال في القرآن الكريم: دراسة استقرائية في القرآن الكريم في جميع قراءاته، ط1. عمان: 2007، دار الحامد، مجلد2، ص436.

وتخفيف الهمزة ظاهرة لغوية قديمة في اللغة العربية، بحيث إن هناك لهجات تختلف عن غيرها فيما يخص هذه الظاهرة، أي في تحقيق وتخفيف الهمزة، ومن القبائل التي تحقق الهمزة مثلا: تميم ومن القبائل التي تميل إلى تخفيف وتسهيل الهمزة: قريش، وتسهيل أو تخفيف الهمزة ليس باللحن أو الخطأ وليس من العاميات، فـ "تخفيف الهمزة والتسهيل أو الإمالة، ليس من العامية في شيء، إنّما هما مستوى من الفصاحة معروف ومقرر لدى القدماء الفصحاء"[1] وقد وردت في كتاب سيبويه مواضع كثيرة تعكس ظاهرة تخفيف الهمزة في اللغة العربية وقواعدها، فمن ذلك قول(سيـبويه): "سمعنا العرب الذين يخفّفون يقولون: اتّبعوا مره، لأن هذه الواو ليس بحرف مد زائد في حرف الهمزة منه فصارت بمنزلة واو يدعو وتقول: اتّبعي مره صارت كياء يرمي"[2] والهمزتان إذا التقتا، وكانت كلّ واحدة منهما من كلمة، فإن أهل التحقيق يخفّفون إحداهما، ويستثقلون تحقيقها، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة، فليس من كلام العرب أن تلتقي همزتان فتحقّق، ومن كلام العرب تخفيف الأولى وتحقيق الآخرة، وهو قول (أبي عمرو) وذلك في قراءة قوله تعالى: **هلْ ينظُرونَ إلا الساعةَ أنْ تأتيهم بغتةً فَقَد جاءَ أشراطُها فَأنى لَهم إذَا جاءَتهم ذكْراهم** (محمد 18) وقرأها أبو عمرو **(فقد جا أشراطها)** وفي قوله تعالى: **يا زكَرياءُ إنا نبشرك بِغلامٍ اسمه يحي لَم نجعلْ لَه من قَبلُ سميا** (مريم 8) وقرأها أبو عمرو **(يا زكريا إنا)** بحذف الهمزة من زكرياء[3] ومنهم من يحقّق الأولى ويخفف الآخرة، وذلك في قول الشاعر:

كُل غَراء اذَا ما برزتْ   تُرهب العين علَيها والْحسد

وقال سيبويه: "سمعنا من يوثق به من العرب ينشده هكذا"[4] وأهل الحجاز يخفّفون الهمزتيـن لأنّهم لو لم تكن إلاّ واحدة لخفّفت، وذلك في قولهم: (أقرى باك السلام) والأصل: أقرئ أباك السلام فخفّفت الهمزتان فإذا خفّفت الأولى، صارت الجملة كما يلي: (أقر أباك السلام) وإن خفّفت الثانية صارت (أقرئ باك السلام)"[5] وقد لخّص الأستاذ (عبد الصبور شاهين) في كتابه (القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث) أحوال الهمزة المخفّفة بالتفصيل:

---

[1]- عبده الراجحي، اللّهجات العربية في القراءات القرآنية، ص8.

[2]- سيبويه، الكتاب، ج3، ص549.

[3]- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، ص 291.

[4]- سيبويه، الكتاب، ج3، ص549.

[5]- نفسه، ص550.

- **الهمزة الساكنة:** إذا سكّنت الهمزة وأريد تخفيفها، ننظر إلى الحركة ما قبلها، فإن كانت فتحة صارت ألفا، وإن كانت ضمة صارت واوا، وإن كانت كسرة صارت ياء مثل:

رأْس	← راس	جؤْنَة	← جونَة	ذئْب	← ذيب

- **الهمزة المتحركة:** وإن كانت الهمزة متحركة، وقبلها حرف ساكن صحيح نحو: (يسـأل المسألة المرأة، المرآة) فالطريقة في تخفيفها أن تلقى حركتها على ما قبلها، وتحذفها فيقال: (يسل المسلة المرة، المراة)

- **همزة متحركة وقبلها ساكن معتلّ (ألف):** وحين يكون حرف المد واللين ألفا، فلا يخلو الحال أن تكون حركتها فتحة، أو كسرة، أو ضمة، ففي هذه الحال تجعل الهمزة بين بين:

- فإن كانت مفتوحة جعلتها بين الهمزة والألف مثل (ساءل).
- وإن كانت مضمومة جعلتها بين الهمزة والواو مثل (تساؤل).
- وإن كانت مكسورة جعلتها بين الهمزة والياء مثل (سائل).
- فهنا لا تنطق الهمزة بشكل كلّي، ولا تهمل بشكل كلّي.

- **همزة متحركة وقبلها ساكن معتلّ:** فإذا كان حرف المد واوا أو ياء، ففي تخفيفها وجهان:

- أن تقلب الهمزة من جنس الواو أو الياء، ويدغم فيما قبلها (جيئ - جي).
- أن تلقى حركتها على ما قبلها وتحذف، وقد اشترط للقلب أن تكون الواو والياء ساكنتين وقبلها حركة من جنسهما مثل:

خَطيئَة	← خَطية	النبيء	← النَبى	مقْروء	← مقْروو

- **همزة متحركة وقبلها متحرك:**

- إذا كانت مفتوحة وقبلها فتحة، تُجعل بين بين، أي بين الهمزة والألف مثل:

سأَلَ	← سالَ	قَرأَ	← قَرا

- وإذا كانت مكسورة وقبلها كسرة، تخفف بين وبين مثل: (عبدا إبراهيم).

- وإذا كانت مضمومة وقبلها فتحة أو كسرة أو ضمة، تجعل بين بين مثل[1]:

لؤُوم ← لُووم	رؤُو ← روو

هـ - الإضمار: ومن سنن العرب في كلامهم، على حد قول (ابن فارس) في كتابه (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها) أنّهم لا يختلسون الحروف أو يخفّفون الهمزة فحسب، وإنّما يحذفون كلمات بأكملها بل جملا قصد الإيجاز والاختصار في كلامهم، "فمن سنن العرب في كلامهم: الإضمار ويكون على ثلاثة أضرب[2]:

- إضمارهم للأسماء، وذلك في مثل قول الشاعر:

أَلاَ اِسلَمي يا دار مي على البلَى ولاَ زالَ منْهلاً بجرعائِك القَطْر

ففي هذا المثال إضمار لتاء التأنيث في قول الشاعر: (مي) وأصله: (مية).

- إضمار الحروف، وذلك في مثل قول الشاعر:

أَلاَ أَيهذاَ الزاجِري أَشْهد الوغَى وأَن أَشْهد اللّذَات هلْ أَنْتَ مخَلدي

بمعنى: (أن أشهد) فأضمرت أداة النصب (أن).

وفي قوله تعالى في سورة الروم: **غُلبت الروم** (الروم 2) معناها (لقد غلبت الروم).

- إضمار الفعل، وذلك في مثل قول (شنفرى):

فَلاَ تَدفنُوني إِن دفْني محرم علَيكُم، ولَكن خَامرِي أُم عامر

ومعناه (أتركوني للتي يقال لها خامري).

وفي قوله تعالى في سورة آل عمران: **يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فَأما الذين اسودت وجوههم أَكَفَرتم بعد إ انِكُم فَذُوقُوا العذَاب بِما كُنتم تكْفُرونَ** (آل عمران 106) ففي الآية الكريمة إضمار لأكثر من كلمة، فحين التفت ا جلّ ثناؤه في قوله: **أكفر** ترك سامع هذا الكلام يقدر كلاما لم يقَل في الآية، وهو على سبيل المثال: (فيقال لهم يوم القيامة) لأن قبل قوله: **أكفر** كان قد

---

[1]- عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، ص98، 100.

[2]- أبو الحسن أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص231، 234.

قال: **فَأما الذين اسودت وجوههم** بصيغة الغائب، ثم تحول مباشرة إلى صيغة المخاطب، وهذا إضمار.

وذكر (ابن جني) في (الخصائص) باب (في شجاعة اللغة العربية) تحذف الجملة، وذلك في قولهم (تا لقد فعلت) بمعنى: (أقسم با) فحذف الفاعل والفعل، وفي قولهم: (زايدا) إذا أردت: (إضرب زيدا) وقولهم: (إياك) بمعنى إحفظ نفسك.

كما يحذفون الاسم، بحيث يحذف المبتدأ مثل: (هل لك في كذا) بمعنى (هل لك فيه حاجة) ويحذف الخبر في قولهم: (من عندك؟) وجوابه: (زيد) بمعنى (زيد عندي) كما أن العرب تذكر اسما مفردا وتقصد الجمع، وذلك في قوله تعالى: **يخرجكُم طفْلاً** (غافر 68) وفي قوله تعالى: **لاَ نفَرق بين أحد منهم ونحن لَه مسلمونَ** (البقرة 136) ففي الآية الأولى قوله تعالى (طفلا) التي يقصد بها جمعه، وفي الثانية، في قوله: (أحد) المقصود منه الجمع كذاك.

فهذه معظم خصائص المستوى الاسترسالي (الأنس) الذي كانت تستعمله العرب في حياتها اليومية بحيث لا ينطقون بالحروف كلّها، بل يدغمون، ويبدلون حرفا مكان حرف، ويختلسون الحركات وكذلك يحذفون في الكلم تارة الفعل، وتارة أخرى الاسم، وتارة الحرف، وذلك من أجل الإيجاز والاختصار، ويكون الكلام بليغا فصيحا رغم ذاك، ولا يجدون صعوبة ولا حرجا عند الحديث بهذا المستوى الفصيح المستخف.

2/3/1- مستوى لغة المثقّفين: هو مستوى لغوي نجده عند فئة المثقّفين، سواء عند المسؤولين السياسيين، أو الكتّاب، أو المعلّمين والأساتذة، فاستعمال اللغة العربية عند هؤلاء تتّخذ نمطا متميزا عن لغة العامة، فلغة المثقّفين كثيرا ما تمزج الألفاظ العلمية، وأخرى عامية، وألفاظ أجنبية، وتفتقر إلى الإعراب وتخلو من الضبط بشكل شبه كلّي، يصفها الأستاذ (نهاد الموسى) بقوله: "العربية الوسطى المنطوقة، وهي عربية المتعلّمين والمثقّفين، والمتخصصين في المجالات المعرفية المختلفة (في مواقف الحوار والمشافهة)"[1] مع الإشارة إلى عدم تجانس لغة هؤلاء، نظرا للاختلاف الموجود في نوع الثقافة

[1]- نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث : قيم الثبوت وقوى التحول، ط1. الأردن: 2007، دار الشروق ص104.

التي يمتاز بها كلّ فرد عن الآخر، ناهيك عن المستوى الاجتماعي، فلغة الطبقة الراقية المثقّفة ليست كلغة الطبقة المثقّفة التي لم تبلغ من الناحية الاجتماعية مستوى الأولى.

ونجد هذا المستوى في المدارس والجامعات، فالأستاذ في الجامعة، عند إلقاء محاضرته، يستعمل لغة أقلّ فصاحة من لغة الكتابة، وأرفع من مستوى اللغة التي يخاطب بها أفراد أسرته في البيت، كما نجد هذا المستوى اللغوي عند المسؤولين السياسيين في خطاباتهم، وعند المثقّفين من الكتّاب، ولاسيما عند استضافتهم في حصة تلفزيونية على المباشر، ويمكن القول: إن هذا المستوى حديث الظهور، فقد أوجده انتشار التعليم والإعلام، فعدد المستعملين لهذا المستوى في تزايد مستمرّ بسبب انتشار التعليم واستعمال اللغة العربية في كلّ المجالات الثقافية والصناعية، والعلمية، والاتّصال الذي فرضه التقدم العلمي والتكنولوجي.

ينتقل مستعملو هذا المستوى اللغوي بين المستوى الفصيح، والمستوى العامي لا شعوريا، إذ يستعملون أسلوبا فصيحا، ولكن تتخلّله كلمات عامية، وأخرى أجنبية، وهناك ضوابط نفسية تحافظ على بقاء المتكلّم على هذا المستوى، فالشخص الذي يقابل مجموعة من المثقّفين، ويتحدث معهم، يحاول قدر الإمكان أن لا يستعمل مفردات من لهجته الخاصة، أو ما يستعمله بينه وبين أهل بيته، فمحافظة المتكلّم على مركزه الاجتماعي والثقافي تدفعه إلى الرفع من مستوى لغته، وهذا دافع نفسي لإشعار الآخرين بأن المتكلّم على قدر كبير من الثقافة والعلم.

- **خصائصه:** يتّفق هذا المستوى اللغوي في بعض خصائصه مع المستوى الفصيح المستخف (الأنس) والمستوى العامي، ويختلف عنهما في بعضها، ولكنّه يختلف كثيرا عن المستوى العامي لأن مستوى لغة المثقّفين هو ذو أسلوب فصيح، لكن تتخلّله ألفاظ عامية، وأخرى أجنبية في الغالب، ومن خصائصه:

أ- غلبة الجملة الاسمية فيه، إذ نجد في هذا المستوى أن الجمل المستعملة تبتدئ بالاسم، وذلك ما يظهر في الأمثلة التالية:

- الدولة تْدعم المواد الاستهلاكية الأساسية.
- مجلس الوزراء، اجتمع وادرس كلّ الملفات المتعلّقة بالقطاع.
- المشروع انطلق بتكلفة الإنجاز تقدر:...

- المواطن اليوم عندو الحرية في تقديم الشكاوي نتاعو أكثر من أي وقت مضى.

نلاحظ أن هذه الجمل تبتدئ بالاسم، وهذا الاستعمال نجده غالبا عند المسؤولين والساسة في حواراتهم وخطاباتهم.

ب- استعمال ألفاظ عامية، فلا تخلو لغة المثقّفين من هذه الألفاظ، إذ يحدث في كلامهم ما يسمى بـ (التدخّل اللغوي) بين مستويين مختلفين، عامي وفصيح، بحيث نجد المتكلّم يستعمل في حديثه ألفاظا عامية بصفة عفوية، دون أن يتفطّن لذلك، ومن الأمثلة على ذلك:

- ما دام دراهم **كاينين**، **وعلاش** **مانهتموش** بالفلاحة.
- **بكري** **كي** كنّا **عارفين** فالدم،واحد **ماسقسا** علينا.
- الدولة **تدير** ما بوسعها لتلبية كل المطالب.
- الدولة **تخلّص** الضرائب **نتاع** التجار **الغير** شرعيين.

في هذه الجمل كلمات عامية كـ: (كاين، وعلاش، كي، نتاع) وأخرى محرفة مثل:(مادام مانهتموش دراهم).

ت- استعمال ألفاظ أجنبية: نظرا للواقع اللغوي الذي عرفته الدول العربية، في المشرق والمغرب، من ظروف تاريخية، فإن لغة المثقّفين قد تأثّرت أيما تأثّر بلغة المستعمر، فهي لا تخلو من الألفاظ الأجنبية وأحيانا يكون ذلك بسبب عدم وجود مقابل عربي، وذلك حسب المجال الذي يتحدث فيه، وأمثلة ذلك كثيرة منها:

- حنا نركزو sur tout على التشغيل والقضاء على البطالة.
- الثقافة مهمة جدا mais الدولة لا تقدم للقطاع من الميزانية ما يقضي الحاجة.
- البترول ثروة زائلة donc لازم على الدولة أن تهتم بالزراعة.
- اعطينا الـ cota الأولى أو مازال les cotas واحد خرين.
- الدولة نحات les taxes للتجار.

إضافة إلى أحرف الجواب، والعطف، والنفي، ...إلخ، مثل: oui, non, c’est vrais justement, même chose, jamais وغيرها من التعابير المختصرة الأخرى.

ث- حذف المصوتات، وهذا يتجسد في ما يلي:

1- الحركات الإعرابية: فلغة المثقّفين غير مشكولة، والحركة الإعرابية الغالبة فيها هي السكون ومن أمثلة ذلك:

- لما **تكون** المحاسبة، **كلْ واحد يحطْ واش كْسب**.
- لازم على **الشباب ينظْمو** رواحهم في **لجان الأحياء** لكي **تصلْ** شكاويهم.
- يقول الأستاذ أثناء الدرس: **لاحظو** المثالْ الأول**... راجعو دروسكم**،... **تفضلو بدخول**.

2- حذف الهمزة لثقلها على النطق، وهي ظاهرة لغوية يلجأ إليها العرب قديما في الاستعمال اللغوي العفوي، مثلما نجدها أيضا في لغة المثقّفين، وأمثلة ذلك:

- يقول المعلّم للتلميذ: **اقرا** على السبورة.
- الدولة وفرت كل **شي.**
- يقول رجل الأمن: التحقيق **ياخذ** وقت كبير.
- تم تزويد نسبة كبيرة من السكان **بالما** الصالح للشرب.

ومن أوجه التعامل مع الهمز عند هؤلاء، نجد الاستغناء عن همزة القطع، وإحلال همزة الوصل محلّها في كل موضع توجد فيه الهمزة، وأمثلة ذلك:

- نصبت الوزارة المعنية خلية **للاعلام**.
- هناك مشاريع كثيرة في طور **الانجاز**.
- بلغت نسبة **الانتاج** الوطني نسبة عالية.

3/3/1- المستوى العامي: لقد بدأ الحديث عن اللحن في زمان مبكّر جدا، فقد ألّف في هذه الظاهرة (الزبيدي) و(ابن السكّيت) وكثرت المؤلّفات التي تحمل لفظ (العامة) في عناوينها وفي العصر الحديث كثر كذلك الحديث عن اللحن، ولاسيما في لغة الإعلام، لكن بالمقابل، هناك اعتراف بنمط من الاستعمال اللغوي، قد يكون لحنا في منظور القدامى، غير أنّه اصطلح عليه حديثا: **المستوى اللغوي**

العامي بل ومن الباحثين من يرى أن يصبغه بصبغة الفصاحة، إذ المعيار في هذه الأخيرة هو السليقة فكلّ فرد فصيح في لغته ولو كانت عامية، شرط ألاّ يكون قد اكتسبها لغة ثانية.

ولقد وردت تعريفات كثيرة ومختلفة للمستوى العامي عند الباحثين، ولكنها تصب في اتجاه واحد بحيث تكاد تتّفق على تعريف واحد، فنجد العامية عند اللساني الأستاذ (عبد الرحمان الحاج صالح) بأنّها "هي اللغة المستعملة اليوم ومنذ زمان بعيد، في الحاجات اليومية، وفي داخل المنازل، وفي وقت الاسترخاء والعفوية"[1] كما ورد تعريفه في قاموس (رد العامي إلى الفصيح) لـ (أحمد رضا) أن اللغة العامية "هي ناك اللغة التي نتخاطب بها في كلّ يوم عما يعرض لنا من شؤون حياتنا مهما اختلفت أقدرانا ومنازلنا، فهي لسان المتعلمين وغير المتعلمين، على اختلاف فئاتهم وحرفهم"[2] وعرف (محمد أسعد النادري) العامية في كتابه (*فقه اللغة:* مناهله ومسائله) بأنّها "لغة الحديث اليومي التي يستخدمها العامة والخاصة على حد سواء، في شؤون حياتهم العادية، في البيت، والشارع، والسوق، والمقهى وحتى في حرم الجامعات"[3] وجاء تعريف العامية في كتاب (في المواطنة اللّغوية وأشياء أخرى...) (لصالح بلعيد) أن العامية "مستوى بسيط وظيفي آني محلّي يلتجأ إليها بغية استعمال لغة الأنس التي تستعمل الاختلاس، والتبسيط، والإشمام، فهي لسان يستعمله عامة الناس مشافهة في حياتهم اليومية لقضاء حاجتهم والتفاهم بينهم"[4] وربط (مصطفى صادق الرافعي) تعريف العامية بانتشار اللّحن واضطراب الألسنة "فهي اللغة التي خلفت الفصحى في المنطق الفطري، وكان منشؤها من اضطراب الألسنة وانتقاض عادة الفصاحة ثم صارت بالتصرف إلى ما تصير إليه اللغات المستقلّة، بتكوينها وصفاتها المقومة لها، وعادت لغة في اللحن بعد أن كانت لحنا في اللغة"[5] ونفس ما ذهب إليه (الحبيب النصراوي) في كتابه (دراسة في المستويات اللغوية) إذ يرى أن (العامي) مستوى لغوي قديم في اللغة العربية[6] وانصب تعريف العامية لـ: (محمد عبد ا عطوات) في هذا الاتّجاه، حيث قال: "العامية هي اللسان الذي يستعمله عامة الناس - مشافهة - في حياتهم اليومية لقضاء حاجاتهم، والتفاهم فيما بينهم

---

[1]- عبد الرحمان الحاج صالح "اللغة العربية بين المشافهة والتقرير" مجلة مجمع اللغة العربية، العدد66، ص117.

[2]- أحمد رضا، رد العامي إلى الفصيح، ط2. بيروت: 1981، دار الرائد العربي، ص5.

[3]- محمد أسعد النادري، فقه اللغة: مناهله ومسائله، ط1. بيروت:2005، المكتبة العصرية، ص347.

[4]- صالح بلعيد، في المواطنة اللّغوية وأشياء أخرى...، دط. الجزائر:2008، دار هومه، ص121.

[5]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط1. بيروت: 2000، دار الكتب العلمية، ج1، ص185.

[6]- الحبيب النصراوي، دراسة في المستويات اللغوية، ص 55.

وهي تتأثر بالعوامل البيئية التي توجد فيها، وبعوامل الغزو الطارئة عليها، ومن ذلك اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب الأعجمية، ونتيجة لتحريف عامة الناس، وذلك بخروجهم على قوانين اللغة وأنظمتها، علما أنّها انسلخت عن اللغة العربية الأم، واستمدت معظم ألفاظها وتعابيرها منها"[1] ومن خلال هذه التعريفات، نتوصل إلى تعريف واحد مشترك، نقول: المستوى العامي أو اللغة العامية، لغة بسيطة آنية محلية، مستعملة عند عامة الناس، في حياتهم اليومية، باختلاف فئاتهم، في حالة الأنس والاسترخاء، وكانت نتيجة لانتشار اللغة العربية الفصحى في مناطق مختلفة، مما سمح بظهور اللحن واضطراب الألسنة.

أ- عوامل ظهور المستوى العامي: يعود ظهور هذا المستوى اللغوي بجانب اللّغة العربية الفصحى إلى عوامل كثيرة، ونتوقّف عند أربعة عوامل، هي العامل اللّغوي، والعامل الاجتماعي والعامل الطبيعي والعامل السياسي.

1- العامل اللّغوي: لما انتشرت اللغة العربية في مناطق مختلفة من العالم، خاصة أثناء الفتوحات الإسلامية، امتزجت اللّغة العربية باللّغات المحلية للبلدات المفتوحة، كالآرامية في العراق والشام والقبطية في مصر، والبربرية في شمال إفريقيا، فالاحتكاك الذي يحدث بين لغتين أو لهجتين يؤدي حتما إلى تأثّر كلّ منهما بالأخرى، رغم أن اللّغة العربية انتصرت على هذه اللّغات، إلاّ أنّها لم تخرج سالمة من التحريف في ألسنة المتكلّمين، لأن عاداتهم الصوتية والنطقية تؤثّر في نطقهم لهذه اللّغة، مما أدى إلى ظهور أشكال تعبيرية وصوتية متباينة، وظهر ما يسمى بالعاميات، فيقال: عامية العراق عامية مصر، وعامية المغرب، ...الخ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن أي لغة كانت عندما يزداد عدد المتكلّمين بها في مناطق متفرقة على الأرض، حتى ولو لم تحتك أو تقاوم أي لغة من اللّغات فمن المستحيل أن تحافظ على وحدتها وخصوصياتها أمدا طويلا، وذلك ما يؤكّده الأستاذ (علي عبد الواحد وافي) في كتابه (فقه اللّغة) لما قال: "تقتضي نواميس اللّغات أنّه متى انتشرت اللّغة في مناطق واسعة على الأرض، وتكلّم بها طوائف مختلفة من النّاس، استحال عليها الاحتفاظ بوحدتها الأولى أمدا طويلا بل لا تلبث أن تتشعب إلى لهجات"[2] أيضا هناك اختلاف بين من يتكلّم لغة عن سليقة، وبين من يتكلّمها عن طريق التعلّم، فذلك حتما يؤدي إلى تغير اللّغة على ألسنة المتعلّمين، وذلك من مجتمع إلى آخر أما

---

[1]- محمد عبد عطوات، اللغة الفصحى والعامية، دط. بيروت:2003، دار النهضة العربية، ص7-8.

[2]- علي عبد الواحد وافي، فقه اللّغة، ط2. القاهرة: 2000، دار نهضة مصر، ص104.

في المجتمع الواحد، فنجد فيه المثقّف والأمي، فلغة المثقّفين تختلف عن لغة الأميين، لأن قدرات الاكتساب والتعلّم ليست متكافئة بين الجميع، فالمجتمع الذي تبلغ فيه نسبة الأمية درجة عالية، تكون لغته أكثر سوقية وعامية من المجتمع الذي تقلّ فيه هذه النسبة.

2-العامل الاجتماعي: تتأثّر اللّغة أيما تأثّر بحضارة الأمة ونظامها، وعاداتها وتقاليدها، فكلّ تطور يحدث في ناحية من هذه النواحي، سينعكس على أداة التعبير، ولذلك "تعد اللّغة أصدق سجلّ لتاريخ الشعوب، فكلّما اتّسعت الحضارة وكثرت حجاتهم، ومرافق حياتهم، نهضت لغتها، وتعددت فيها فنون القول، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق الوضع، و الاشتقاق، والاقتباس، للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة"[1] فاللغة العربية عندما انتشرت جراء الفتوحات الإسلامية، واختلاط العرب الفاتحون بسكّان البلدان الأصليين، بعاداتهم وأعرافهم، ونظمهم الاجتماعية، احتكّت اللّغات فيما بينهـا إذ ظهرت مصطلحات جديدة تعبر عن الأوضاع السائدة في تلك المناطق، فالكلمات العربية الفصيحة المستعملة عند العرب لم يعد لها استعمال بين هذه الشعوب، مما أدى إلى انقراضها، فعوضت بمصطلحات تحمل مدلولات خاصة بنمط العيش لهذه الشعوب، وهناك مصطلحات وضعت عن طريق الترجمة أو الاقتباس، لأن "الظروف الاجتماعية ليست نفسها، وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع والقضاء والحياة اليومية يختلف عما هو سائد بين العرب الفاتحين"[2] كلّ ذلك أدى إلى ابتعاد لغاتهم عن اللّغة العربية الفصيحة، فظهرت لهجات تختلف كلّ واحدة عن الأخرى، فالمصطلحات المستعملة أقلّ فصاحة، أو بعيدة عن اللّغة الأصلية سواء في أوزانها أو في حروفها.

وإذا تكلّمنا عن التغير الذي تعرفه اللغة بصفة عامة، نجد أن اللّغة العربية في العصر الجاهلي ليست نفسها في العصر الإسلامي، أو في العصر العباسي مثلا، وهكذا، بحيث لو تكلّم أحد عن اللّغة العربية في هذه العصور سيقول بأنّها قد تهذّبت، هذا واقع ملموس، لكن يمكن أن نقول بتعبير آخر أنّها تغيرت وتحولت بسبب تغير الأوضاع الاجتماعية والبيئية من عصر إلى عصر، واختلافها من موطن إلى آخر، فقبل أن تتغير اللّغة أو تتهذّب، نجد أن متكلّمي هذه اللّغة قد تهذّبت نفوسهم، وتغير تفكيرهم وطباعهم، وقبل أن يحدث ذلك كلّه، نجد أن العادات، والتقاليد، والبيئة ليست نفسها، فكلّ هذه عوامل

---

[1]- علي عبد الواحد وافي، اللّغة والمجتمع، دط، القاهرة: 1981، دار نهضة مصر، ص9.

[2]- علي عبد الواحد وافي، المجتمع العربي، دط، القاهرة: دت، مكتبة نهضة مصر، ص49.

ساعدت على تغير اللّغة العربية، وتعددت مستويات استعمالها، وهذه هي سنة لهجات التخاطب في جميع أنحاء العالم.

3-العامل الطبيعي: إن التطور الطبيعي لأعضاء النطق عند الإنسان يظهر أثره على أصوات الكلمات فتنحرف عن نطقها السابق، فمن ذلك ما حدث في اللّغة العربية، مثل: الجيم، والثاء، والذال والظاء والقاف، فقد أصبحت هذه الأصوات ثقيلة على أعضاء النطق في كثير من البلدان العربية فنطقها على وجه صحيح يتطلّب بذل مجهود كبير، وإرادة ملحة للنطق بها "فصوت الجيم الذي كان ينطق به معطّشا بعض التعطيش في العربية الفصيحة، قد تحول في معظم المناطق المصرية إلى جاف (جيم غير معطش) والثاء تحولت إلى تاء فيقال: (تَوب، تلج) بدل من (ثَوب وثَلْج) والذال تحولت إلى دال فيقال: (دراع، داب، ديب) بـ دل من (ذراع، ذاب ذئب) والقاف قد تحولت إلى همزة في بعض اللّهجات المصرية والسورية، فيقال: (أط، ألت، نطأ) بدلا من (قط، قلت ونطق) إلى غير ذلك من الحرف التي يتعذر النطق بها نطقا صحيحا"[1] بالإضافة إلى العوامل الجغرافية للمناطق من حيث الجو والتضاريس، فهذه الفوارق تؤثّر على أعضاء النطق، فنطق بعض الأصوات بالنسبة لسكّان الشمال يختلف عن نطقه عند سكان الجنوب، وكذلك بالنسبة لسكّان الشرق والغرب، بحيث تؤثّر المناطق الجغرافية على نمط العيش لدى السكّان، مما يؤثّر بدوره على ألسنتهم سواء على مستوى النطق أم على مستوى الدلالة.

4-العامل السياسي: بعد ما اتسعت الدولة الإسلامية، وكثرت المناطق التابعة لها، واختلفت الشعوب الخاضعة لنفوذها، كلّ ذلك أدى إلى ضعف السلطان المركزي، فانقسمت إلى دويلات صغيرة وأصبح لهذه الدول حكم ذاتي مستقلّ بعضها عن بعض "وغني عن البيان أن انفصام الوحدة السياسية يؤدي إلى انفصام الوحدة الفكرية واللّغوية"[2] فقلّ الاهتمام باللّغة العربية الفصحى، إذ ظهرت رطانات لغوية وشاع اللّحن على الألسنة، ولهذا السبب "اقتصر التفاعل على العاميات، فدخلتها ألفاظ أعجمية تركية وفارسية وانكليزية، وفرنسية، وإيطالية، ولحقتها انحرافات صوتية"[3] واقتصر استعمال اللّغة العربية الفصحى في المقامات الرسمية في العبادات والخطابات فقط، وبمرور الوقت انفردت بعض الدول بالاحتفاظ باللّغة العربية لغةً رسميةً، كتابة (حرفا) ونطقا، مثل دول المغرب العربي ودول

---

[1]- علي عبد الواحد وافي، علم اللّغة، دط. القاهرة: دت، دار نهضة، مصر، ص291-292.

[2]- علي عبد الواحد وافي، اللّغة والمجتمع، ص132.

[3]- سمر روحي الفيصل، المشكلة اللّغوية العربية، ط1. لبنان: 1992، دار جروس برس، ص41.

الخليج، وهناك من يستعمل الحرف العربي في الكتابة فقط كإيران، وأفغانستان، إذ تنطق بالفارسية وتكتبها بالحرف العربي وهناك دول لم يعد فيها للّغة العربية استعمال، لا كتابة، ولا نطقا، مثلما هو الحال في تركيا.

ب- خصائص المستوى العامي: لقد ورد في التعريفات السابقة ما يفيد أن العامية هي لغة عامة النّاس، بسيطة وسهلة، وذلك ما يلخّص خصائص هذا المستوى، إذ نجد المتكلّمين به يميلون إلى كلّ ما هو سهل على النطق والاستعمال، ونذكر بعض ما توصلنا إليه من خصائصه، من حيث الألفاظ والقواعد، والأسلوب.

1- الألفاظ في العامية: لا شك في أن معظم الألفاظ في العامية إما عربية فصيحة، وإما محرفة تحريفا قليلا، أو ألفاظ من بقايا اللّهجات، أو اللّغات الأخرى التي تغلّبت عليها اللّغة العربية، وبذلك من اليسير تصحيحها، وردها إلى أصلها الفصيح، وما تتميز به الألفاظ في العامية:

1-1- تخفيف الهمز: هي ظاهرة لغوية قديمة في اللّغة العربية، بحيث هناك قبائل تنطق بالهمزة وأخرى تسهلها أو تحذفها، فهذه الظاهرة نجدها أيضا في العامية، فتنطق الهمزة مخفّفة كقولهم: (**مومن**) بدلا من (**مؤْمن**) و(**جِيتْ**) بدلا من (**جِئْتُ**) **و(ريتْ)** بدلا من (**رَأَيتُ**) وغالبا ما تقلب الهمزة وتصبح حرفا آخر مثل قلب الهمزة هاء كما في قولهم: (هن **أفْعلْ**) بدلا من أن (**أفْعلْ**) **و(لِهنك)** بدلا من (**لأنك**) وتحذف الهمزة في آخر الكلمة في مثل: (**السما**) بدلا من (**السماء**) و(**الما**) بدلا من (**الماء**).

1-2- النّحت: توجد كلمات مركّبة وصارت كلمة واحدة مثل: (أشْحالَك؟) أي (كيف حالُك؟) ومن النحت عند العامة أيضا قولهم(أشْحالَك؟) أي (كيف حالُك؟)) وتستعمل خاصة للدعوى إلى الطعام وكذلك قولهم: (سا الخير) بدلا من (مساء الخير) وقولهم عند السؤال عمن يطرق الباب: (منْهو) بدلا من (من هو)[1] وكذلك قولهم: (راني) بدلا من (أرى أنني).

1-3- القلب: وهي ظاهرة قديمة في اللّغة العربية تخص القلب المكاني للحروف، مثل قولهم: (**خَسيفْ**) بدلا من (**سخيفْ**) و(**جوزه**) بدلا من **(زوجه)** و(**معلقَة**) بدلا من **(ملْعقَة**) وكذلك قولهم: **(سمشْ)** بدلا من (**شَمس)**.

---

[1]- أحمد رضا، رد العامي إلى الفصيح، ط2. بيروت: 1981، دار الرائد العربي، ص 113-114.

1-4- الحذف: تحذف العامة من حروف الجر حرف النون، وذلك تخفيفا للكلام مثل قولهم: (التلميذ يخَافْ ما المعلم) بدلا من: (التّلْميذ يخَافُ من المعلمِ) وقولهم: (**طَاح مسما**) بدلا من (**سقَطَ من السماء**) كما تحذف حرفي: اللام والألف المقصورة من حرف الجر (على) في مثل قولهم: (**علْما**) بدلا من (**على الماء**) وكذلك في حديثهم عن الوقت فيقولون: (**خَرج عتَسعه**) بدلا من (**خَرج على التَاسعة**) والحذف أيضا في قولهم: (**والُو**) بدلا من قولهم (**ولُو هذَا**).

1-5- الإدغام: نجد أن المتكلّمين بالعامية لا يفكّون الإدغام، بل يبقون عليه مشبعينه بياء ساكنة مثل قولهم: (**شدّيتْ**) بدلا من (**شَددتُ**) و(**ردّيتْ**) بدل (**رددتُ**) و(**مديتْ**) بدلا من (**مددتُ**)[1] فيبدو الميل إلى الإدغام طريق العامي إلى اليسر في التعبير، والاختصار، إذ يمكّن مستعمل اللغة بهذا الشكل من تجنّب التكرار والتطويل في الكلام، مثلما يظهر في الأمثلة السالفة.

2- قواعد العامية: تسير العامية التي في حقيقتها ليست لغة مشتركة، وبالتالي فالحديث عن قواعد لغوية للعامية قد يكون سابقا لأوانه، إلاّ أن تكون إحدى العاميات العربية قد حظيت بالدراسة من هذا الجانب، لكن وعلى الرغم من ذلك، فلا نستبعد كون العاميات تسير وفق قواعد معينة، لأن الملاحظ أنّها تسير وفق نظام ما، إذ تظهر من خلالها جملة من الظواهر تكاد تكون مطّردة، ونذكر من خصائصها في ذلك:

2-1-الإعراب: وهو تغير حركات أواخر الأسماء والأفعال المعربة، وهو سمة من السمات الأساسية في العربية الفصحى، وأن العرب لا تبدأ بساكن، ولا تقف على متحرك، أما في العاميـة خلافا للقاعدة النحوية، فإنّنا نجد كلمات تبتدئ بساكن مثل قولهم: (ثْقيلْ، خْفيفْ، حبلْ، جملْ) بدل (ثَقيلْ وخَفيفْ وحبل، وجملْ) على التوالي، والحركات الإعرابية لا توظّف في العامية مثل قولهم: (يستَرها ربي) (جابك ربي) (طَار الطير اللي ربيتُ) فالإعراب هو الفرق الأساسي بين الفصحى والعاميـة بحيث إن "الفصحى نظام لغوي معرب، أما العامية فقد سقط منها الإعراب بصورة شبه كلية"[2] وهناك استعمال شائع للكسرة في الكلمة، سواء في أولها أم في وسطها، أم في آخرها، مثل:(حقيقَتْنَا نعملْ كل

---

[1]- عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، دط. الجزائر: 1981، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ص14.

[2]- نهاد الموسى، ثنائيات في قضايا اللّغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، ط1. عمان: 2003، دار الشروق، ص125.

يوم شي ونستَمر...) وكذلك كسر آخر الاسم المضاف إلى ضمير المؤّنث المخاطبة مثل قولهم: (أَنْتَ **مالِك)** بدلا من (أنت **مالك)** وكذلك ضم آخر الاسم المضاف إلى هاء الغائب دائما، مثل قولهم: (أعطيتْ أُو كْتَابو) (سيارتُو) (عائِلْتُو)...الخ، فتح آخر المضاف إلى المخاطب المفرد مثل: **(قْريتْ في كْتَابك)** بدلا من **(قرأتُ في كتابِك)** وإسكان آخر المضاف إلى الهاء الغائبة أو الجمع الغائب مثل: **(جابتْ كْتَابها)** بدلا من **(جئت بِكتابِها)**، **(رجعتُلهم كتَابهم)** بدلا من **(أرجعتُ لهم كتابهم)**[1] ونلاحظ عدم احترام الحركات الإعرابية، وذلك ما نجده شائعا بين العامة، إذ يسكّنون ما يجب أن ينصب، أو يرفع أو يحدثون العكس.

2-2-الأفعال في العامية: سبق وأن تحدثنا عن تحريف العامة للحركات الإعرابية في الأسماء فهي تفعل الشيء نفسه مع الأفعال، بالإضافة إلى ما يحدث لها (هذه الأفعال) من زيادة أو نقصان في بنيتها مثلا:

- نجد العامة تستعمل كلمة (**ماشي**) في محلّ (السين) الداخلة على الفعل المضارع مثلا: **(ما شي نْسافَر غُدوا)** بدلا من(**سأُسافر غَدا).**
- وتستعمل كلمة (**نَاشْ**) للأفعال المنفية، ويختمون بها الفعل مثل قولهم:(**ما شَارْكْنَاشْ)** بدلا من (لم **نُشَارك)** و كذلك تلتزم العامة حرف (**الكاف**) في الفعل المضارع الذي يدلّ على الحاضر مثل قولهم: **(فُلان كِياكُلْ يخْرج)** بدلا من(فُلاَن **يأْكُلُ ثُم يخْرج).**
- وفي صيغة المبني للمجهول، تستعمل حرفين (**الأف والتاء**) بتاء مشددة مثل قولهم: **(فُلان أَتَضرب)** بدلا من **(فُلان ضرب)** و**(الثَوب أَتْقَطَع)** بدلا من **(الثَوب قُطع)**.
- لا توجد نون النسوة في العامية، فواو الجماعة وحدها التي تستعمل للذكور وللإناث في الجمع فيقال: **(الرجالْ خَرجوا) و (النْسا خَرجوا)** وكذلك للمثنى مثل لقولهم: **(فَاطْمة أُوزينَب خَرجوا)**[2].
- ولا توجد الهمزة للمتكلّم وأن حرف النون وحده الذي يستعمل للجمع والمتكلّم المفرد مثل: **(أَنَا غَدوا نْسافَر) (وحنَا غَدوا نْسافْروا)** بدلا من: **(أَنَا غَدا أُسافر ونَحن غَدا نُسافر).**

---

[1]- محمد أبو حديد "موقف اللّغة العربية العامية من اللّغة العربية الفصحى" مجلة مجمع اللّغة العربية المصري القاهرة:1953، مجمع اللغة العربية، العدد7، ص209.

[2]- شوقي ضيف "بين الفصحى والعامية" مجلة مجمع اللّغة العربية المصري، القاهرة: 2000، مجمع اللغة العربية العدد89، ص61-62.

1- ***أسلوب العامية:*** ليس أسلوب العامية مثل أسلوب الفصحى وإن كان قريبا منه، فهناك فروق كثيرة نذكر بعضا منها:

- نقول في العربية عادة: (جاء **محمد) و(كتَب لِي أخي رسالةً)** وذلك بتقديم الفعل على الفاعل وإذا قدمنا الفاعل على الفعل، كان لنا في ذلك قصد، وأما في العامية فالمعتاد أن نقول: (**محمد جا) و(خُويا بعثْلي برية).**
- إذا أردنا النفي في العربية الفصحى قلنا: (**ما جاء فلان) (لم يحضر فلان)** وأما في العامية فنبدأ بالاسم فنقول: (**فْلان ما جاشْ) (فْلان ماحضرشْ)**.
- إذا أردنا الاستفهام في اللّغة العربية الفصحى نستعمل حروف الاستفهام مثل: (**هلْ جاء فلان**؟) وأما في العامية، فلا نستعمل الحروف، بل نستعين بنبرة الصوت فنقول: (**فْلان جا؟)**[1]
- تستعمل صيغ المبالغة ولا يقصدون معناها مثل قولهم: (**كذّاب)** ويقصدون بذلك (**كاذب)** سواء أكان كثير الكذب أم لا.
- يستعمل لفظ (خير) بدلا من اسم التفضيل مثل: (**عنْدي فُستَان خير نْتَع خُيا)** بدلا من قولهم: (**عنْدي فُستَان أجمل من فُستَانِ أخي)**.
- يستعمل لفظ (أنْتَاع) للدلالة على صاحب الشيء مثل قولهم: (**صباطْ نْتَاعي)** أي (**حذَائِي)**.

2- ***علامات التأنيث في العامية:*** تملك اللّغة العربية الفصحى ثلاث علامات للتأنيث وهي: التاء، والألف المقصورة، والألف الممدودة، ولا نجد في العامية إلاّ علامة واحدة، وهي التاء مثل: (**بيضة حمرة صفْرة)** بدلا من (**بيضاء وحمراء، صفْراء**) وفي (**فَوضى وشكْوى)** تؤنّث بالتاء فيقولون: **(فَوضة شكْوة)** "وزوال العلامتين وحلول التاء مكانهما هو ميل اللّغة إلى أن تسير في طريق السهولة"[2] لذلك تستعمل علامة واحدة للتأنيث بدلا من ثلاثة علامات، وهذا يدعو إلى الاعتقاد بسهولة رد الألفاظ العامية إلى الفصحى إذا راعينا شرطين:

- إجازة كلّ ما يمكن إجازته.
- رد اللّفظ إلى أقرب صورة في الفصحى.

---

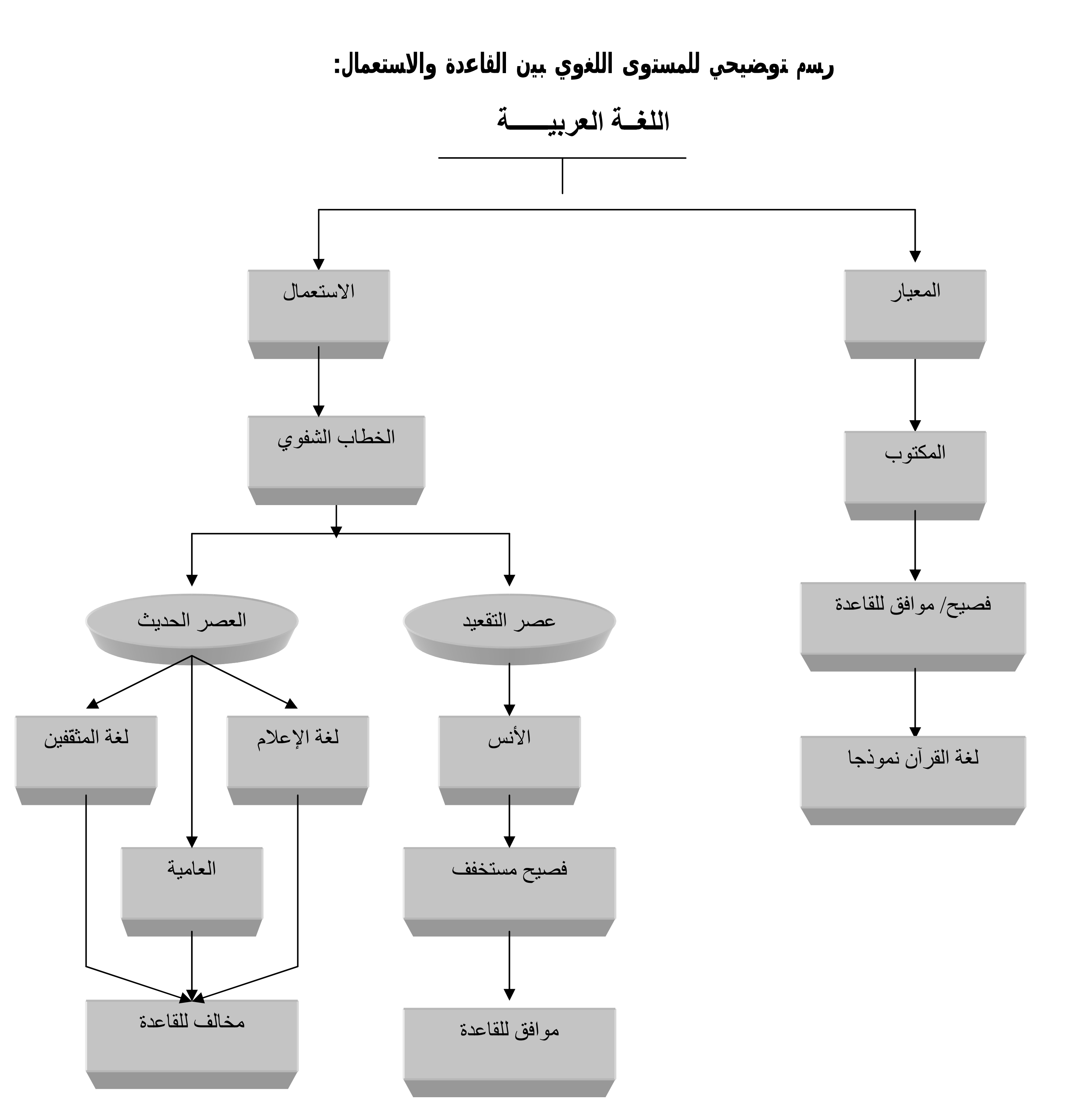
[1]- محمد فريد أبو حديد "موقف اللّغة العامية من اللّغة العربية الفصحى" مجلة مجمع اللغة العربية المصري ، ص211.

[2]- رمضان عبد التواب، لحن العامة والتطور اللّغوي، ط2. القاهرة: 2000، مكتبة زهراء الشرق، ص53.

وليس مثل هذا الاتجاه مأمون العاقبة إلاّ إذا أخذناه بالرفق والتدرج، وتوسلنا فيه بإقبال الأدباء عليه بغير تحرج منه[1] إن كان هذا الرد إلى الفصحى هو الحلّ، لأن الألفاظ سترد من جديد من الفصحى إلى العامية، وهذا ليس جهلا بالفصحى، بل فرارا من العسر إلى اليسر، ومن الثقل إلى الخفّة ومن الجهد وكثرة اللفظ إلى الاقتصاد والراحة.

[1]- محمد فريد أبو جديد "موقف اللغة العامية من اللغة العربية الفصحى" ص209.

رسم توضيحي للمستوى اللغوي بين القاعدة والاستعمال:



2- علاقة اللغة بالمقام: للغة العربية مستويان من التعبير، مستوى التعبير الأدبي البليغ (المستوى الترتيلي) ومستوى التخاطب العفوي اليومي المستخف (الأنس) فالمتكلّم يستعمل هذين المستويين حسب ما يتطلّبه المقام من لغة، كما عبر عن ذلك (الجاحظ) بقوله: "ينبغي للمتكلّم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاما ولكلّ حالة من ذلك مقاما، حتّى يقسم أقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[1] لأن المستمعين ليسوا على درجة واحدة من الثقافة، ومقامات الحديث أيضا ليست نفسها، وذلك أيضا ما يشير إليه (الجاحظ) حين قال: "وكلام الناس في طبقات، كما أن الناس أنفسهم في طبقات، فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح، والسميح والخفيف والثقيل، وكلّه عربي، وبكلّ قد تمادحوا وتعايبوا"[2] وقد أقر هذين المستويين من العربية الفصحى كثير من الباحثين العرب المحدثين والمعاصرين، نذكر منهم (أنيس فريحة) الذي يقول: "وتلك اللغة الأدبية التي خطب بها الخطباء، وشعر بها الشعراء، ونزل بها القرآن، لم تكن لغة تخاطب الناس في حياتهم العامة"[3] ولعلّه هنا يشير إلى المستوى اللغوي المعياري الفصيح، الذي يستعمله المتكلّمون بمراعاة خصائصه وقواعده، مستشعرين قوته وجماله، ويضيف قائلا: "أما لغة التخاطب فهي تلك التي يمكن أن يقال أن الناس كانوا يتكلّمونها بالسليقة، لا يعمدون إليها عن قصد، ولا يتخيرون ألفاظها، بل يكتفون منها بتأدية الأغراض العامة في الحياة العادية"[4] وفي هذا يقول (عبده الراجحي): "ونحن لا نستطيع أن نتصور أنّهم كانوا يتحدثون في بيعهم وشرائهم، وهزلهم باللغة ذاتها التي ينظمون بها شعرهم، أو يصفون بها خطبهم"[5] وكذلك (نهاد الموسى) حين قال: "ولكن العربية في واقع الاستعمال على مستوى العامة كانت تطور نمطا لغويا، أو مستوى لغويا مفارقا"[6]وهذا يؤكّد مسألة كون الاستعمال اللغوي مرهونا بالمجال الحيوي الذي يرتبط به حين يمارس الكلام، وهذا ليس بالشيء الجديد في الممارسة اللغوية العربية، بل قديم يعود إلى ما قبل الإسلام، وهذا ما يؤكّده الأستاذ (عبد الرحمن الحاج صالح) بقوله: "وجود أكثر من مستوى في استعمال اللغة، وهما نوعان على الأقل: التعبير الترتيلي، والإجلالي، والتعبير العفوي الاسترسالي، فالأول تقتضيه حرمة المقام

---

[1]- الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص 77.

[2]- نفسه، ص 80.

[3]- أنيس فريحة، في اللهجات العربية، ص 43.

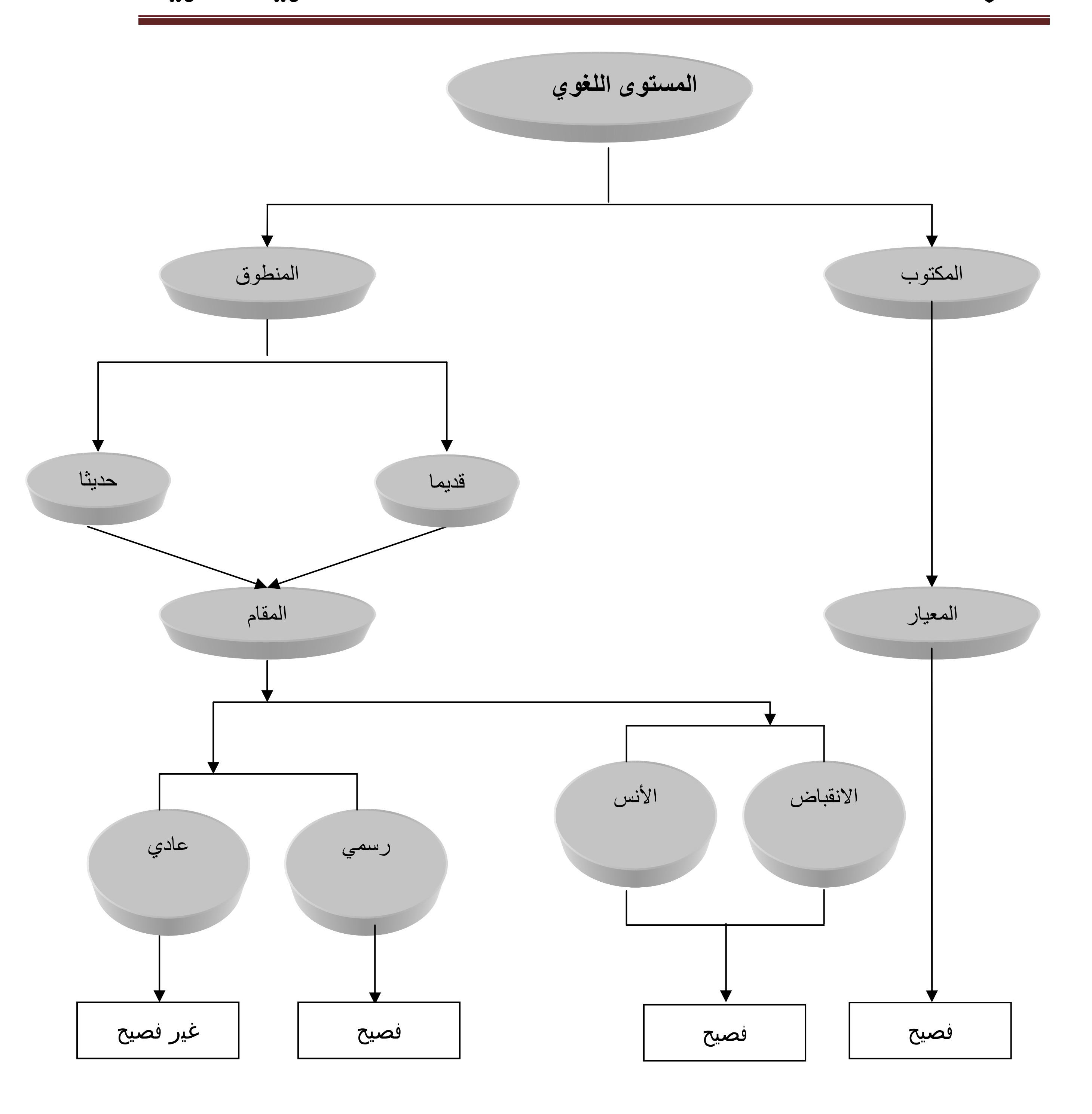
[4]- نفسه، ص 44.

[5]- عبده الراجحي، فقه اللغة في الكتب العربية، ص 120.

[6]- نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي، ص 69.

وفيه تظهر عناية المتكلّم الشديدة بما ينطق به من حروف، وما يختاره من ألفاظ وتراكيب، حتّى يبلّغ به، كإظهاره ومده لحركات الإعراب في مواضع الوقف، وكذلك لما يجب إدغامه، أما المستوى الاسترسالي الفصيح فهو الذي تقتضيه مواضع الأنس كخطاب الأبناء والزوجة في المنزل والأصدقاء أو أي شخص آخر في غير مقام ذي حرمة"[1] فالمقام هو الدافع إلى اعتماد مستوى لغوي أو آخر وللعوامل الخارجة عن نطاق اللغة دور كبير في نوع اللفظ، ونوع الأسلوب الذي يعتمده المتكلّم، وهذا رسم توضيحي لبيان علاقة استعمال اللغة بالمقام:

[1]- عبد الرحمن الحاج صالح "اللغة العربية بين المشافهة والتحرير" مجلة مجمع اللغة العربية، العدد66، ص118.


المستوى اللغوي
المكتوب
المنطوق
قديما
حديثا
المعيار
المقام
الانقباض
الأنس
رسمي
عادي
فصيح
فصيح
فصيح
غير فصيح

الفصل الرابع

الفصحى المعاصرة

من المعلوم أن في كل دولة من الدول لغة فصحية وبجانبها لهجات عامية محلية، يجرى الحديث بها إلى جوار اللّغة الفصيحة، وفي المجتمع العربي نجد خلافا بين اللغويين والإعلاميين والأدباء والأكاديميين، حول موقع كلّ من الفصحى والعامية في العصر الحاضر، في ظلّ العولمة وسيطرة القنوات الفضائية، واستخدم لهجات متنوعة، مما أدى إلى ظهور نوع جديد من اللغة، ليس بالعامية ولا بالفصحى، بل هي وسط بين هذه وتلك، وتساءل بعضهم: هل يمكن أن تكون الفصحى وحدها لغة التخاطب؟ ويرى فريق من المتخصصين ضرورة الرجوع إلى اللغة العربية الفصيحة وتدريب العاملين في الإعلام، وإعدادهم إعدادا جيدا لاستخدام الفصحى، وتدريب العاملين في الإعلام لأنّها اللّغة التي تفهمها كلّ الشعوب العربية من المحيط إلى الخليج.

وفي الواقع إن هذه الازدواجية اللّغوية أمر بالغ الخطر، بحيث إن الاهتمام بالعامية، ومحاولة الإكثار من استخدامها، له مخاطر على الفصحى، لسهولة العامية ومرونتها، وقدرتها على استيعاب كلّ لفظ أجنبي دون تمحيص أو تدقيق، فصارت لغة تتردد على الألسنة، لا هي عربية خالصة، ولا أجنبية، ولا شرقية، ولا غربية، أي لا هوية لها، لهذا فمن الخطورة أن يستخدمها بعض المثقّفين من خلال استخدام بعض المصطلحات الأجنبية في أحاديثهم وكتاباتهم، إذ يعتبرها بعض منهم من أشكال الاستعلاء على الناس، وإظهار أنّهم يتمتّعون بثقافات حرم منها غيرهم، ناسين أو متناسين لغتهم الأم التي تمثّل هويتهم وانتماءهم، ناهيك عمن يؤمن بأن اللّغة العربية هي السبب الرئيس في تأخّر الأمة العربية، وعدم مجاراتها الأمم الأخرى المتقدمة.

وأكّد بعض الباحثين أن العاميات العربية أثر من آثار التخلّف والجهل، وسمة من سمات الأمية وعامل من عوامل الفرقة والتجزئة، ومعوق من معوقات انتشار التعليم، ويقظة الوعي الوطني والقومي فهي متشعبة ومنقسمة إلى محلّيات متفاوتة، من حيث مكوناتها وعناصرها، ولكلّ منها معجمها المفرداتي المختلف عن المعجم الآخر، ولذلك لا يصلح أن تخاطب بها الأمة بكلّ فئاتها وطبقاتها، وفي كلّ مواطنها وأقطارها، وقد اهتم الغرب بدراسة العاميات منذ زمن قديم، وكان لذلك بواعث كثيرة لعلّ أبرزها ما يتعلّق بالتبشير والاستعمار.

ولكن معرفة الفصحى الراقية غير متيسرة للكثير من أبناء الأمة العربية، أو يصعب التمكّن منها نحوا، وصرفا، وإفردا، خاصة المثقّفين، فضلا عن عامتهم، والفصحى لا تنتقل من السلف إلى الخلق في سن الطفولة عن طريق التقليد، كما تنتقل العامية، وإنّما نتعلّمها في مراحل دراستنا، والفرق ظاهر

بين اللّغة التي نتحدث بها واكتسبناها عن طريق التعليم، واللغة التي نتحدث بها عن سليقة،وإذا كان وجود العامية إلى جانب الفصحى في الوطن العربي شيئا لا مفر منه، وأن الفصحى الراقية غير متيسرة للمتكلّمين، فمن الضروري البحث عن قاسم مشترك بين الفصحى والعامية والتقريب بين المستويين، وذلك بتهذيب الفصحى وتفصيح العامية، والسبيل الوحيد لمعالجة ذلك يتمثّل في نشر التعليم والقضاء على الأمية، فالتقارب بين الفصحى والعامية مرهون بارتفاع المستوى الثقافي ونسبة المتعلّمين، وفي ما يلي حديث عن مستوى لغوي ظهر بظهور وسائل الإعلام، ليس بالفصيح المتقعر ولا بالعامي المبتذل، يقع وسطا بين المستوى العامي والمستوى الفصيح، وهو ما اصطلح عليه: الفصحى المعاصرة، أو اللغة الوسطى.

1- مفهوم الفصحى المعاصرة ونظرة بعض الباحثين إلى هذا المستوى اللغوي: لهذا المستوى اللّغوي تسميات مختلفة، إذ نجد من اصطلح عليه (باللغة الثالثة) ويقصدون بالرتبة (الثالثة) الوساطة بين اللّغة الأولى، وهي اللغة العربية الفصحى، واللغة الثانية، وهي العامية أو الدارجة، وهناك من اصطلح عليه (بالفصحى المعاصرة) ويقصدون (بالمعاصرة) النسبة للعصر الحاضر، أي ظهرت ضمن ما أفرزته مستجدات العصر، وهناك من اصطلح عليه (باللغة الوسطى) لكونها تتوسط بين لغة عربية فصيحة ولغة عامية دارجة، فهذه هي التسميات التي أطلقت على هذا المستوى اللّغوي، أما تعريفه، نجد باحثين أعطوا تعريفات مختلفة نذكر منها على سبيل المثال:

- ورد تعريفه في كتاب (نظرية اللغة الثالثة: دراسة في قضية العربية الوسطى) لـ (أحمد محمد المعتوق) ما يلي:"هو ذلك المستوى اللّغوي المنطوق الذي يستمد عناصره ومكوناته الأساسية الأولى من فصحى العصر بمختلف درجاتها ونماذجها وروافدها الداخلية والخارجية، وتكيف فيه عناصر أخرى من العامية بمختلف أنماطها ودرجاتها التي لا تبتعد عن أصول الفصحـى ومقاييسها وقاعدتها الأساسية لتتكون أو تتطور من خلاله، ومن خلال توفيقه وجمعه بين هذه العناصر، لغة عربية محكية مشتركة وبسيطة عفوية أصيلة مبسطة ميسرة، قريبة مستأنسة من خاصة الجمهور وعامته"[1] ونختصر أفكاره في النقاط التالية:

[1]- أحمد محمد المعتوق، نظرية اللّغة الثالثة:دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، ط5. دار البيضاء: 2005 المركز الثقافي العربي، ص99.

- اللّغة الثالثة تعني في واقعها مستوى لغويا يقف وسطا بين الفصحى، لغة الأدب، وبين العامية ولهجاتها المحلية المختلفة، لغة المشافهة والحديث اليومي، وتكون بمثابة لغة مشتركة معفاة سليمة سائغة، يجيدها الخاصة ولا يعجز عنها أو يستصعبها العامة، لغة تتّسع الفرص بها للتعبير بالعربية الصحيحة في كلّ مجالات الإعلام والتعليم، والتوعية والتثاقف المحكي بنحو عام.
- إن هذه اللّغة (اللّغة الثالثة) المحكية يمكن أن تكون الحلّ الأمثل للأزمة التي تواجهها اللغة العربية أو بالأحرى يواجهها العرب مع لغتهم في العصر الحاضر، أو تكون الوسيلة التي يمكن بها التخفيف من حدة الصراع والتنازع القائم بين فصحى العربية وعامياتها، حيث تصبح هذه اللّغة الوسيط أو الجسر الواصل بينهما، والقاسم المشترك الذي يمكن أن يتوحد عليه، وأن يلتقي عنده أفراد المجتمع العربي في مجالات التعليم والإعلام، وعمليات التثقيف بنحو عام.

وتفرض قضية اللّغة الثالثة نفسها، باعتبارها قضية لغوية وفكرية واجتماعية بالغة الأهمية ويمكن أن يجد التفكير فيها والسعي لبلورتها من ذلك الخطر المتوقّع.

- إن صراع اللّغة العربية لم يعد مقصورا في حاضرها الراهن على التنازع الداخلي بين الفصحى منها والعامية الدارجة، وإنّما أصبحت هذه اللغة في ظلّ التحولات والتغيرات، والاضطرابات الحضارية تواجه صراعا أكثر حدة وخطورة، وذلك هو الصراع مع اللغات الأجنبية الدخيلة بسبب الاستعمار، أو التجاور، أو اختلاط الأصول وتصاهرها...إلخ.

ونجد الكاتب يطرح سؤالا مؤداه: "هل يمكن أن نجد اللّغة العربية الثالثة، التي تقوم كوسيط يقرب العامية العربية من اللغة الفصحى، أو الهوة أو الفجوة الفاصلة بينهما، ويرقي بالعامية من حدودها المحلّية القاصرة الضيقة، إلى الفصحى القريبة الرحبة الجامعة الموحدة بين قطاعات الجمهور العربي على اختلاف مستوياته وطبقاته؟"[1] وفي موضع آخر نجده يجيب ليعطي حلاّ مؤداه: "إذن الحلّ الأمثل هو أن تسترفد العربية الفصحى من عناصر العاميات العربية بمجملها ما يزيد من سعتها وغناها، فذلك يضاعف من قوتها، ومن مرونتها، واتساع نفوذها وهيمنتها، ويكسبها المزيد من القدرة على اختراق العاميات والارتقاء بها، إذا ما اتّخذ أساسا على المستوى النظري، وعمل بجد على

[1]- أحمد محمد المعتوق، نظرية اللّغة الثالثة:دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، ص23.

تطبيقه..."[1] وهذا لا يعني بأية حال من الأحوال إلغاء العامية والاستغناء عنها، فكلّ عامية محلّية وظائفها الحيوية ودورها الفاعل في مجالاته وميادينه، وربما لسنا بحاجة في الأصل إلى لغة ثالثة لو أحسنّا الظن بلغتنا الفصحى لغة الدين والأدب والتراث، وسعينا جادين للدفاع عنها ودفع الظنون والشبهات التي تدور أو تفتعل ضدها.

أما فيما يخص مصطلح (اللّغة) الذي أطلقه على هذا المستوى الوسيط، إنّما هو من باب المجاز وليس الحقيقة، أو من باب إطلاق الكلّ على الجزء.

أما تعريفها عند (عباس سوسوة) في كتابه (العربية المعاصرة وأصولها التراثية) فهو كالآتي: "العربية المعاصرة هي فصحى العصر الذي نعيشه، فهي السجلّ المكتوب لثقافة العصر، وصلة العربية المعاصرة بالفصحى المثالية كصلة الابن بأبيه، يحمل الابن صفات وراثية وثقافية عن الأب ويختلف عنه في أنّه يعيش في زمن غير زمن أبيه، واختلاف الزمن يحمل في طياته اختلافا في الرؤية والتفكير وفي أمور الثقافة جميعا"[2] ونذكر فيما يلي بعض آراء المؤلّف في الموضوع:

- تتغير اللّغة العربية كغيرها من اللغات بمرور الزمن وما يستجد من أحوال اجتماعية، ودينية وثقافية، وسياسية، ولعلّ دلالة الألفاظ عرضة التغير في لغتنا مقارنة ببقية أنظمة اللغة الصوتية والصرفية، والنحوية، ففي الفصحى المعاصرة تغيرت معاني ألفاظ كثيرة عما سجلته المعاجم القديمة إما بتعميم دلالتها بعدما كانت خاصة، أو العكس، وإما بالنقل المجازي للدلالة بسبب المجاورة، أو السببية، أو باعتبار ما سيكون، أو غيرها من طرق النقل.
- يرى المؤلّف أن علماءنا القدماء أدركوا هذا التغيير في معاجمهم وكتبهم الأخرى من حيث تفرقتهم بين أصل المعنى الجديد، الذي يسمونه لفظا إسلاميا أو مولّدا اصطلاحيا، غير أنّه جعل دراسته هذه معنية فقط بالتغير التركيبي الذي يحدث في النظامين الصرفي والنحوي.
- يعرض المؤلّف للحركة التصويبية- واعتبرها امتدادا لكتب اللحن- وما ظهر في إطارها من كتب وقف أصحابها على بعض الظواهر الجزئية في العربية المعاصرة، يبينون فيها خطأها ويحاولون ردها إلى الصواب حسب رأيهم، موضحا أن جلّ هؤلاء تجمعهم المعرفة الناقصة المتعلّقة

---

[1]- أحمد محمد المعتوق، نظرية اللّغة الثالثة:دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، ص 138.

[2]- عباس سوسوة، العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية، دط. القاهرة: 2002، دار غريب، ص1.

ببعض الاستعمالات اللغوية، فلا يكادون يعثرون على استعمال معاصر للفصحى لا يجدون مثله في المعاجم القديمة وكتب النحو، حتى يسارعوا بالتحريم.

- هناك اتّجاه آخر لدراسة الظواهر التركيبية في العربية المعاصرة دراسة وصفية أو تقابلية مع لغة أوروبية حديثة، ويجمع بين أصحاب هذا الاتّجاه أنّهم إذا وجدوا شبها بين جملة أو تركيب ما في العربية المعاصرة، وإحدى اللّغتين الفرنسية أو الانجليزية، جزموا أن العربية اقتبست هذه الظاهرة التركيبية من إحداها، أو من كلتيهما.

- ولا ينفي المؤلّف التأثير اللغوي الأوربي على العربية المعاصرة، غير أن التشابه غير كاف للقول بالاقتباس، ويشترط لذلك أن تكون الظاهرة، المزعوم اقتباسها، كثيرة الاستعمال في اللّغة الأوروبية المعنية، وأن تخلوا منها العربية المكتوبة قبل أواخر القرن التاسع عشر (19) الميلادي ويلاحظ أن أصحاب هذا الاتّجاه ينظرون فقط إلى الفصحى كما وصفها علماء العربية في عصر الاحتجاج، وفي الفصحى المعاصرة دون النظر في الفترة الزمنية الممتدة بينهما (أكثر من اثني عشر قرنا).

ونجد تعريف الفصحى المعاصرة عند (نهاد الموسي) في كتابه (اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول) كما يلي: "هي عربية وسطى، هي عربية المتعلّمين المحكية، وهي مزاج من العامية المكتسبة والفصحى المتعلّمة، تقترب من الفصيحة في معجمها وهيئات أبنيتها وطرائق نظمها ولكنّها تقع دون الفصيحة، لأنّها غير معربة إلاّ في بعض المأثور والرواسم"[1] وضرب لذلك أمثلة: "مثلاً، طبقاً، بدايةً، أصلاً، شكراً..." ويقول بأنّها عربية التخاطب بين المتعلّمين الناطقين بلهجات عربية مختلفة، ويحسن هنا أن سوق بعض أقواله في هذا الشأن:

- تمثّل الازدواجية في العربية مظهرا حاسما من مظاهر التحول الذي جرى على العربية ذلك أنّه-وإن تكن الفصحى قد تشبثت بمثالها المعياري- مرت العاميات في مجرى التطور(بعوامل زمانية ومكانية متشابهة) فأسقطت الإعراب، واستبدلت دوال تركيبية خاصة للإبانة عن المعاني النّحوية.

---

[1]- نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث: قيم الثبوت وقوى التحول، ط1. عمان:2007، دار الشروق ص21.

- نجم في العربية من بعد، وفي أوساط القرن الماضي مستوى لغوي يقع بين النموذج الفصيح وهو المثال المتعلّم، والعامية وهي النموذج اللّغوي المحلّي المحكي المكتسب، وقد عرف هذا المستوى (بالعربية الوسطى) كما عرف (بعربية المتعلّمين المحكية).

- أن هذا المستوى الثالث، أو عربية المتعلّمين المحكية، يشبه أن يكون سليقيا لدى المتعلّمين والمثقّفين ولكن الإعراب ما يزال غائبا، إلاّ نادرا، وإن قد يكن تخلّص من الخصوصيات المعجمية اللهجية وعدل انحرافات بعض الأبنية الصرفية.

- وإنّما يقتنيها من أمر هذا المستوى الثالث الذي نجم عن تلاقح الفصيحة المتعلّمة، واللهجات المحكية المكتسبة، أنّه يمثّل تحولا متدانيا من الفصيحة، بل إنّه في بعض تجلّياته يشبه أن يكون فصيحا، كما في تقارير بعض مراسلي الفضائية التي يسهمون بها في سياق نشرات الأخبار.

- العربية الوسطى" تمثّل تحولا متقدما نحو العربية الفصيحة بتلاقح المكتسب والمتعلّم تلقائيـا وأنّنا بها نشهد عربية محكية مشتركة، ولكنّها لم ترق إلى مرتبة (الاعتماد) لأنّها غير معربـة ولأنّها بذلك مفارقة لإحدى خصائص العربية الفصحى"[1] وطرح الأستاذ (محمد كامل حسين) في كتابه: (اللغة العربية المعاصرة) فكرة اللّغة المخفّفة قاصدا بها اللغة التي تقف وسطا بين العربية الفصحى والعالية واللغة العامية الدراجة، وذلك حين تحدث عن موقف الأمة العربية من لغتها القومية إذ قال:"نحن نتكلّم ونفكّر بلغة ولا نكتبها، واللغة التي نكتبها لا نتكلّمها ولا نفكّر بها إلاّ في مناسبات قليلة"[2] لا نجد كثيرا من الصعوبة في فهمها عندما نسمعها، ولكنّنا لا نجيد التعبير بها، وقد لا نتمكّن حتى من قراءتها قراءة سليمة، ولهذا كان لابد لنا من أن نقبل لغة عربية صحيحة إلى حد كبير، ولكن دون إسراف في التمسك بقواعد الإعراب وبناء الكلمات، وهذه اللغة هي (الفصحى المخفّفة) كما سماها، أو الثالثة التي تقف وسطها بين اللّغة الفصحى العالية وبين اللغة الدارجة التي نتكلّم بها ولا نكتبها، وللّغة العربية في نظر الكاتب أربعة مستويات[3]:

- ***اللّغة الفصحى العالية:*** وهي تصلح للأدب الرفيع والخطب والمواعظ، والناس لا يجدون صعوبة في فهمها، وإن وجدوا صعوبة في التحدث أو الكتابة بها.

---

[1]- نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث: قيم الثبوت وقوى التحول، ص145/137.

[2]- محمد كامل حسن، اللغة العربية المعاصرة، دط. القاهرة: دت، دار المعارف، ص7.

[3]- نفسه، ص5.

- ***اللّغة الفصحى المخفّفة:*** وهي وسط بين العامية المنقّحة والفصحى العالية، حيث تكون في أدنى مراتبها قريبة جدا من العامية المنقّحة، على حين تكون في أعلى هذه المراتب قريبة جدا من الفصحى العالية.
- ***العامية المنقّحة:*** وهي اللغة التي يجب أن يبدأ منها الأطفال حتى لا يثبت في آذانهم أن الفصحى لغة تختلف اختلافا تاما عن اللغة التي نشأوا عليها.
- ***اللغة العامية الدارجة:*** وهي لغة عامة الناس، والتي تنقسم إلى لهجات بحسب المواقع الجغرافية.

وقد أشار الكاتب إلى بعض الخصائص التي نجدها في هذه اللغة، أو في هذا المستوى، وهي أن تخلوا من الألفاظ الوحشية، أو البعيدة عن روح الحياة الحاضرة، وذوقها، وواقعها، وحاجاتها، كما نص على أهمية التخفيف من استعمال كلّ ما يعوق استيعابها،أو استساغتها من قبل مستعمليها ومتعلّميها ويمنع من انتشارها والإقبال عليها.

ويرى الكاتب أن إنكار التطور، وإغفال عامل الزمن، وما أحدثه في الحياة العامة من آثار الخوف من كلّ جديد، كلّ ذلك يحول دون النجاح.

ويرى الباحث أن العودة إلى الفصحى العالية، كما كانت في صدر الإسلام، تكاد تكون مستحيلة ومثّل الذين يريدون العودة إليها كما يقول: "كمثل أهل الكهف حين حسبوا أن أوراقهم، وهي غير زائفة يمكن أن تكون عملة رائجة يقضون بها حوائجهم...، ومثل الذين يبحثون في أوصالها كما وضعها القدماء، كمثل علماء الحفائر، وعملهم له قيمته التاريخية الكبرى، دون أن يكون ذلك مدعاة للاحتذاء بما يجدونه فيها"[1] وحسب المتحدث، لابد أن نعي ونقدر المناسبات التي تقتضي استعمال الفصحى العالية فيها، والمناسبات التي نتكفي فيها بالفصحى المخفّفة، أو العامية المنقّحة، على حد قوله، ونجد تعريفا آخر للّغة العربية المعاصرة لـ(محمد حسن عبد العزيز) من خلال كتابه (الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة) وهو يقول أن: "العربية المعاصرة هي لغة فصحى مكتوبة، تستخدم في التعليم

[1]- محمد كامل حسن، اللغة العربية المعاصرة، ص7-8.

وفي العلم وفي الأدب، وفي الصحافة، وهي اللغة الرسمية المشتركة في العالم العربي اليوم"[1] وفصل القول في تفسير هذا التعريف:

- العربية المعاصرة فصحى لأنّها تلتزم بقواعد الفصحى المعروفة في كتب النحو، وإن أصابها شيء من التغيير يقع غالبا في النواحي الصرفية والدلالية.
- وهي لغة مكتوبة في الأعم الأغلب، وأشكالها المنطوقة في الغالب مصدرها مكتوب.
- وهي لغة التعليم في معاهد متعددة، ولغة العلم بفروعه المختلفة، ولغة الأدب بفنونه المتنوعة ولغة الدولة بمؤسساتها المحلّية والدولية، وهي اللّغة التي يترجم منها وإليها، وهي لغة الصحف، وبعض المواد الإذاعية والمرئية في نشرات الأخبار، والتعليق عليها.
- وهي اللغة المشتركة التي يعدها العرب لغتهم القومية، ومظهر شخصيتهم، ورمز استقلالهـم ومن ثم فلها مكانة تفضل أي شكل لغوي آخر في المجتمع العربي.
- اللّغة العربية المعاصرة متأثّرة باللغات الأجنبية من حين أنّها تعترض منها بعض الألفاظ فتعربها أو بعض المفاهيم فتترجمها، ومتأثّرة بالعامية، لأن بينهما رصيدا عربيا مشتركا من الألفاظ، ومن حيث إنّها قد تقترض منها بعض الألفاظ الشائعة.
- اللّغة العربية المعاصرة شكل لغوي مختار، يتعلّمه العربي تعلّما، ويتفاوت مستعملوه في إتقانه تفاوتا ظاهرا، ومن ثم فلا أحد يكتسبها في بيئته، أو يستعملها في شؤون الحياة العامة.

ونجد مقالا للأستاذ صالح بلعيد بعنوان (الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة؟) قد تناول فيه الموضوع من مختلف جوانبه، إذ عرف الفصحى المعاصرة بأنّها اللّغة الوسطى المحكية، لا يلغى الإعراب فيها بتاتا، وإنّما يتخفّف منه إلاّ في مواقف الشبهة واللبس، وتعني في واقعها بمستوى لغوي يقف وسطا بين الفصحى والعامية، وبين لهجاتها المحلّية المختلفة، وتكون بمثابة لغة مشتركة سليمة شائعة يجيدها الخاصة ولا تعجز عنها العامة، وهي لغة التواصل، وأساس تحقيق المزيد من الترابط الفكري والتماسك الحضري"[2] ووصف الوضع اللغوي العربي ونوجزها في بعض النقاط التالية:

---

[1]- محمد حسن عبد العزيز، الوضع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ط1. القاهرة: 1992، دار الفكر العربي، ص11.

[2]- صالح بلعيد "الفصحى المعاصرة طعنة ضرورة" مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر:2008، المجلس الأعلى للغة العربية، ص172-173.

- تزايد استعمال العامية في فصول الدراسة، وفي وسائل الإعلام، وتسللها إلى مناحي الحياة وسريانها على ألسنة الخاصة.

- الفصحى الراقية غير متيسرة للكثيرين من أبناء الشعب العربي، وأصبحت لغة النخبة.

- الضعف والتهجين والاستسلام للمؤثّرات الخارجية والداخلية، والتأثير الفعال لوسائل الإعلام الأجنبية حول قدرة اللغة العربية الفصحى، وبثّ التشكيك فيها.

- ويرى الأستاذ أن الحلّ الأمثل يكمن في العمل على تسهيل الفصحى، وتقريب العامية منها والبحث عن القاسم المشترك البسيط، ويمكن أن يحصل هذا عن طريق التخطيط لإصلاح اللغة العربية وتيسيرها، والارتقاء بها عن طريق الإجراءات التربوية المساعدة في توطيد اللغة الثالثة وذلك بالاهتمام بلغة الإعلام، والعمل على محو الأمية، والاهتمام بترقية العامية ورد ألفاظها إلى الفصيح والاهتمام بالألفاظ والمصطلحات العلمية المعاصرة، فالفصحى المعاصرة فرضت نفسها بديلا وحلاّ للإشكال اللغوي، وقد تكون الحل الأمثل للأزمة التي تواجهها اللغة العربية "ويمكن أن تكون الوسيلة التي تكون الوسيط الواصل الذي يتوحد عليه، أو يلتقي عنده أفراد المجتمع العربي في مجالات التعليم والتثقيف"[1] في حين نجد أن الأستاذ (كمال بشر) في كتابه (اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم) يرى عكس الآراء السابقة، بحيث يقول بأن (العربية المعاصرة) مصطلح غامض غير محدد المفهوم، وأن في توظيفه إشارة إلى الحكم المؤكّد بانقطاع حبل مسيرة لغتنا، واستقلال صورها بعضها عن بعض بحسب فترات الزمن، والعربية التي ينعتونها (بالعربية المعاصرة) هي العربية الممتدة عبر تاريخها الطويل في حبل موصل غير منقطع الخيوط، أو مشتّت النسيج، وهذه التسمية كما يراها (كمال بشر) تحمل في طياتها أمرين خطيرين، ليس لهما قبول لدينا بحال:

- **الأول:** تعني هذه التسمية تفكيك جسم العربية، وتوزيع أوصالها على فترات الزمن المختلفة بحيث يصير لكلّ فترة عربية مستقلة من نوع ما، انقضى زمانها، وأدت دورها في زمانها الذي حددوه لها، فيمكن تركها جانبا، وحسبانها أثرا من الآثار انقضت فعاليتها، وانتهى التفاعل أو التعامل بها أو معها.

---

[1]- صالح بلعيد "الفصحى المعاصرة طعنة ضرورة" مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر:2008، المجلس الأعلى للغة العربية، ص173.

- **الثاني:** أن هذا المصطلح (العربية المعاصرة) مصطلح "غامض غير محدد المفهوم، وقد يعني انتظامه لأنواع وأشتات من الكلام المعاصر، في صورة لهجات ورطانات عربية تملأ السوق اللغوية في البيئة العربية"[1] ويرى أن اللغة العربية في عصرنا هذا الذي نعيش فيه مضطربة اضطراب أهلها فاللغة مرآة عاكسة لكلّ مناحي النشاط الإنساني في مجتمعها، وفي حديثه عن المستويات اللغوية قال: "نحن لا ننكر وجود مستويات من الكلام، ذوات أخلاط وأمشاج نافرة متباينة تحاول تضييق الخناق على الفصحى أو الفصيحة، وتنازع أرضها، وتملأ ساحتها صخبا وفوضى"[2] وفي البحث عن المستوى اللغوي، يقول الباحث :"وأصبحنا عاجزين عن تحديد مستوى معين يتّفق عليه ونرشّحه لسانا عربيا موحدا، يمثّل مفهوم العروبة بقيمها الأصيلة، ذات الموروث المشترك من تاريخ، وآمال، وآلام وحضارة وفكر"[3] وهذا في نظرنا لا يشكّل خطورة، لأن اللغة العربية ليست مفكّكة، وأوصالها غير منقطعة فاللغة العربية في العصر الجاهلي، هي نفسها في العصر الإسلامي، ولم تتغير في العصر الراهن لكنّها تلبس ثوب عصرها بمستجداته، في الألفاظ والأساليب، وتساير تغيراته وتحولاته، فاللغة التي لا تستجيب لمتطلّبات العصر ولا تسايره، فمآلها العزلة أو الانقراض، أما مصطلح (العربية المعاصرة) يمكن أن نصطلح عليها (الفصحى المعاصرة) ولا نقول (العربية المعاصرة) بحيث إن التسمية الأخيرة يمكن أن توحي بأن هناك عربية جديدة منقطعة عن سابقتها، وأما (الفصحى المعاصرة) فيفهم منه أن هذه اللغة لم تختلف عن اللغة العربية الفصحى في العصور السابقة، لكن فصاحتها استجابت لمتطلّبات العصر من ألفاظ وأساليب، إذ لم تستعص للتحول والتغير، واستقطبت كلّ ما هو جديد، ولم يؤثّر ذلك في أصولها وقواعدها، فالفصحى المعاصرة تلتزم بقواعد النحو، أما الحديث عن المستويات اللغوية نعم لم يحدد مستوى لغوي معين يتّفق عليه، بحيث هناك دراسات وبحوث تعني بالموضوع، إذ من المحتمل أن تكون (الفصحى المعاصرة) أو غيرها مستوى لغويا ونرجحه لسانا عربيا موحدا يقتدى به، ويقلّص الفجوة بين اللغة العربية الفصيحة وعاميتها.

---

[1]- كمال بشر، اللّغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، ص34-35.

[2]- نفسه، ص35.

[3]- نفسه، ص 32.

بعد أن ذكرنا تعريفات الباحثين لما يسمى (الفصحى المعاصرة) واستعرضنا بعض آرائهم حول الموضوع، يمكن أن نستخلص تعريفا للفصحى المعاصرة، بأنّها مستوى لغوي وسيط بين اللغة العربية الفصيحة وعاميتها، يستمد عناصره ومكوناته الأساسية من الفصحى، ويكيف فيه عناصر أخرى من العامية ذات أصول فصيحة، وتقترض ألفاظا من اللغات الأجنبية فتعربها، وسمي هذا المستوى بـ (الفصحى المعاصرة) لأنّه يلتزم بقواعد اللغة العربية الفصيحة إلى حد ما، إلاّ أن فيه تغييرا على المستوى الصرفي والدلالي.

ونقول: (مستوى لغوي) ولا نقول: (لغة ثالثة) أو (لغة وسطى) لأن مصطلح (اللغة) يوحي بأنّه نظام لغوي مستقلّ بذاته، ونحن نلاحظ أن هذا المستوى الوسيط -كما جاء في التعريف- يستمد عناصره ومكوناته الأساسية من الفصحى، وعناصر أخرى من العامية، والمستوى الفصيح والمستوى العامي كلاهما من نظام لغوي واحد، والمستوى الوسيط الذي نتحدث عنه يقع بينهما.

2- تاريـخ البحث في المستوى اللغوي الوسيط: لم تخلق اللغة دفعة واحدة ولم يأخذها الخلف عن السلف كاملةً، إنّما يخلق الناس ألفاظا في أول أمرهم على قدر حاجتهم، فإذا ظهرت أشياء جديدة خلقوا لها أسماء جديدة، وإذا اندثرت أشياء اندثرت معها مسمياتها، وهكذا فاللغة في حياة وموت مستمرين، وكذلك الاشتقاقات والتعبيرات، هي أيضا تنمو وترقى تبعا لرقي الأمة، وحاجاتها التواصلية.

فإن البحث عن مستوى لغوي مشترك، يسمح باللجوء إلى اللفظ السلس المختصر السائغ وإن كان أجنبيا، ويسمح أحيانا بتجاوز القاعدة، عرفته كلّ العصور منذ القدم، لأن الظروف الاجتماعية تختلف من عصر إلى آخر، واللغة تساير في كلّ مرة هذا الاختلاف، وتخضع لذلك التطور والتحول وتصاحب مستجدات الزمان، فالفرد لا يمكن أن يعيش بمعزل عن الفضاء الخارجي، وكذلك بالنسبة للّغة، فلا يمكن لها أن تتقوقع وتتحجر وتنغلق على نفسها حتّى تأخذ طريق الاندثار والانقراض، وفي هذا العنصر نبحث عن تاريخ بداية الحديث والبحث في ما يعرف اليوم بـ (المستويات اللغوية) أصلا وبالتحديد ما يسمى (المستوى اللغوي الوسيط) والذي يعرف اليوم بـ (الفصحى المعاصرة) إذا سلّمنا بأن لكلّ عصر لغته الفصيحة وما يحيط بها من عاميات، بتتبع الروايات التاريخية، ومعطيات أخرى عبر حقب مختلفة من الزمن، والتي نرى أن نقسمها إلى فترتين: فترة ما قبل ظهور الإسلام، وفترة ما بعد ظهوره.

1/2- قبل ظهور الإسلام: وإذا نظرنا إلى العصر الجاهلي لوجدنا كيف كان العربي في هذا العصر يتحرى لغة يعبر بها عن حاجاته في حياته اليومية العادية في قبيلته، ولغة يتواصل بها خارج قبيلته ولم يبق على نمط تعبيري واحد، واختلفت اللغة العربية منذ العصور باختلاف القبائل المستعملة لها والمنتشرة في بلاد العرب، ولم تحافظ على وحدتها الأولى، بل انقسمت إلى لهجات كثيرة يختلف بعضها عن بعض في كثير من مظاهر الصوت، والدلالة، والقواعد، والمفردات، فاختصت كل قبيلة بلهجة، ونظرا لمجاورة القبائل العربية بعضها لبعض، وتنقّلها للتجارة وتبادل المنافع، وفي مواسم الحج، وكذا بحثا عن الكلأ "سمح لهذه اللهجات أن تحتك فيما بينها، ودخلت في صراع لغوي كتب النصر فيه للهجة قريش"[1] فطغت على جميع اللهجات الأخرى في المحادثة وفي ميادين الأدب والشعر والخطابة، ثم انتشرت في مختلف القبائل العربية، فأصبح العربي أيا كانت قبيلته، يؤلّف شعره وخطابته ونثره بهذه اللغة الفصيحة النقية، المتمثّلة في لهجة قريش، التي كانت أوسع اللهجات العربية ثروة لفضية، وأغزرها مادة، وأرقاها أسلوبا، وأدناها إلى الكمال، وأقدرها على التعبير في مختلف فنون القول، وحدث لها ذلك بما انتقل إليها من هذه اللهجات، واللغات المجاورة، من مصطلحات وأساليب زادتها ثروة، وسدت ما كان يعوزها في بعض مناحي التعبير، فأصبحت (لغة وسطى) مشتركة بين اللهجات "وهناك فرض قوي قد يجد سنده هو أن العربية الفصحى لغة وسط أو لغة مشتركة نشأت لحاجة القبائل المختلفة الأصول والمنازل إلى لغة التفاهم فيما بينهم، أو وسيط لغوي تساعد على ظهوره اللقاءات المتعددة في المصالح المشتركة في الأسواق أو متعارضة في الاحتكاك الدائم ومعارك الأيام بين القبائل"[2] ومن مميزات هذه اللغة أن ليس فيها لكنات بعض اللهجات، وكذلك خالية من عيوب نطق بعض الحروف "كعنعنة تميم وكشكشة أسد، وعجرفية قيس، وأصبحت لغة الأدب عند جميع قبائل العرب ينظم بها الشعر، وتُلقى بها الخطب، وترسل الأمثال والحكم، وتدون الرسائل، وتتفاوض بها الوفود"[3] وقد تم ذلك قبل بعثة الرسول (ﷺ) بزمن غير قصير.

وما نستخلصه من ذلك أن لهجة قريش (الفصحى المشتركة) هي (الفصحى المعاصرة) لذلك الزمن فقد استجابت لميولات المتكلّمين، لا يتعداها عن غريب اللفظ، وأصبحت لغة مستعملة ينشد استعمالها كلّ عربي خارج قبيلته، فهي فصيحة كانت متداولة في المجتمع العربي، إذن "لا نعدو الواقع

[1] - علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص63.

[2] - محمد زغلول سلام، مدخل إلى الشعر الجاهلي: دراسة في البيئة والشعر، ص46.

[3] - سمر روحي الفيصل، المشكلة اللّغوية، ص12.

إذ قلنا أن لهجة (قريش) هي الفصحى لتلك الفترة، إذ عمت وسادت في الجاهلية لا في الحجاز ونجد فحسب، بل في كلّ القبائل العربية شمالا وغربا وشرقا، مما يدلّ على ذلك سرعة استجابتهم للقرآن الكريم ودعوته"[1] فالمتكلّم في كلّ زمان يبحث عن لغة سلسة سهلة تستجيب لمتطلباته التعبيريـة وأحداث التواصل والتفاهم دون جهد يبذل.

2/2- بعد ظهور الإسلام: نزل القرآن الكريم باللغة الأدبية المشتركة التي اصطفيت في العصر الجاهلي طوال قرون، لا يمكن تقديم تحديد زمني دقيق، فهي لغة الشعر الجاهلي، والحكم والأمثال والخطب قبل ظهور الإسلام، ولغة القرآن الكريم والحديث الشريف والأدب بعد ظهور الإسلام، وكانت العامة تفهم هذه اللغة، وتستعملها في حياتها العامة، كما كانت الخاصة تنظم بها شعرها، وخطبها وهكذا بلغت اللغة العربية، أرقى مراحل تطورها في هذا العصر، وقد وصلت إلى منتهى الكمال والنضج وأقصى ما يمكن أن تصل إليه من حيث الفصاحة وقوة البيان.

ولما اتسعت الدولة الإسلامية واختلط العرب بالشعوب الأجنبية التي دخلت في الإسلام، أو خضعت للحكم الإسلامي، أخذ اللحن يشيع تدريجيا على ألسنة الموالي والأعاجم، خاصة بعد انتشار الفتوحات الإسلامية، ولئن سبق للعرب بعض اتّصال بتلك الشعوب، خاصة الفرس والروم، فما كان ذلك عميقا فقد أصبح الامتزاج شديدا، تداخلت به اللغات، والأفكار، والعقائد، فتوسعت بذلك آفاق العرب إذ أخذوا منها ما راقهم، ويناسب أذواقهم، فزادت ثقافات تلك الأمم الثقافة العربية ثروة وغنى فوسعت العقل العربي بتراثها الثقافي الضخم، وتنوعت الثقافات بحيث نجد الثقافة العربية الخالصة التي تعتمد على القرآن الكريم وما يتّصل به من علوم الدين، وعلى الشعر وما يتّصل به من العلوم الأدبية كالنحو واللغة وغيرها، والثقافة اليونانية، ثم الثقافة الشرقية، قد وصلت علوم اليونان وآدابهم إليهـم وكذا فلسفتهم وطبهم وفلكهم، أما الثقافة الشرقية، وهي ثقافة الفرس، والهنود، والأمم السامية التي كانت منتشرة في العراق[2] انتشرت في البلاد العربية، وسبب ذلك يرجع إلى المدارس، والترجمات، وتشجيع الخلفاء ونشرهم لها وبذلك ازدهرت حركة النقل والترجمة، فانتشرت تلك العلوم في جميع الأقطار العربية وجعلتها على منال الجميع.

---

[1]- شوقي ضيف، تاريخ آداب العرب: العصر الجاهلي، ط16. القاهرة: 1960، دار المعارف، ص 34.

[2]- حنّا الفخوري، تاريخ الأدب العربي، دط. تونس: 1951، دار الكتب العربية الشرقية، ص354.

وحين نتفقّد الجانب اللغوي، نجد أن كثيرا من الألفاظ الجديدة قد تسربت إلى اللغة العربية من لغات أخرى كثيرة، خاصة من الفارسية والسريانية واليونانية، بعد أن عربوها وصقلوها بمناهج اللسان العربي، ومن تلك الألفاظ نذكر: (الديوان، العسكر، البند، الصهريج، القيروان، المغناطيس الأسطول ..الخ، وقد "جرت عادتهم في الغالب أن يجدوا للمعنى الجديد لفظا عربيا عن طريق الاشتقاق والنحت والمزاج أو التعريب، ولهذا أثر بليغ في نهضة لغة الكتابة وتهذيبها، واتّساع نطاقها وزيادة ثروتها"[1] فظهر تغير في معاني ألفاظ كثيرة عما سجلته المعاجم القديمة، فبعض الألفاظ عممت دلالتها بعد أن كانت خاصة، وحدث في بعضها الآخر العكس.

وأمام هذا الوضع، اقتضت الحاجة إلى مستوى لغوي فصيح، يرتفع عن الرطانات التعبيرية والألفاظ العامية السوقية المبتذلة، وينبذ الألفاظ الوحشية الغريبة الجافّة، وكذا يساير مستجدات العصر بمصطلحات دالّة، وذلك ما نجده في مؤلّفات الكتّاب في تلك الحقبة، إذ استعملوا ألفاظا مما لم يكن وعرا وحشيا ولا ساقطا سوقيا، أمثالهم (ابن المقفّع) و(ابن العميد) و(عبد الحميد الكاتب) و(أحمد بن فارس)[2] والبحث عن المستوى اللغوي الوسيط بدأت تظهر إرهاصاته في ذلك العصر، بعد ظهور الإسلام، وأصبحت الحاجة ملحة إليه في العصر الحديث، بحيث إن اللّغة العربية تواجه مزاحمة مزدوجة من العامية من جهة، ومن اللغات الأجنبية من جهة أخرى، وظهر في العصر الحديث ما يسمى (لغة الصحافة) أو (لغة الإعلام) أو ما يعرف بـ (الفصحى المعاصرة) ونذكر خصائص هذا المستوى اللغوي في العنصر الآتي:

3-خصائص الفصـحى المعاصرة: تتميز الفصحى المعاصرة بمميزات تفرق بينها وبين الفصحى القديمة (التراثية) من ناحية، وبينها واللهجات العامية من ناحية أخرى، فقد أخذت البحوث تتوالى في رصد تلك المميزات، ولعلّ من أوائل البحوث التي حاولت تشخيص الفصحى المعاصرة، وتحديد ملامحها، ذلك البحث الذي أعده (شوقي ضيف) بعنوان (الفصحى المعاصرة) واهتم فيه بالإشارة إلى توسيع الفصحى المعاصرة في الألفاظ والمصطلحات، وتحولها إلى الأسلوب المبسط، من خلال استخدام كلمات شائعة في العامية ذات أصل فصيح، وباستخدام صيغ وعبارات جديدة لها أصل ممتد

[1]- علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص95.

[2]- صالح بلعيد "الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة" ص166.

إلى الفصيح في الغالب[1] ومما ينبغي الإشارة إليه، أن بعض مميزات الفصحى المعاصرة يمكن أن تختلف من مكان إلى آخر، ومن تأثّر بلهجة إلى تأثّر بلهجة أخرى، فعلى سبيل المثال: مازال مجيدو القراءة يقرؤون القرآن بجميع أصوات الفصحى القديمة، بما في ذلك صوت (الضاد) الذي اختفى في بعض البلاد العربية، وتغير مخرجه في بلاد أخرى، كما توجد آثار الرطانة الأجنبية في المغرب العربي أكثر منه في المشرق العربي، لذلك يقول أحد الباحثين: "وقد رصدت نماذج من أداء من يقرؤون بالفصحى من الأقطار العربية المختلفة فوجدت أن التباين بينهم موجود بحكم ما استحكم فيهم وأنّه لم يطّرد لأحدهم أن يتخلّى عن خصوصيته، وخاصة في نطق بعض الأصوات، ولكن التباين لم يمس حكما من أحكام العربية الأساسية، ولم يمس أصول المقاصد، وكان تنويعا لطيفا يحمل فارقا ظاهريا طفيفا"[2] وفي هذا العنصر نحاول أن نبين أن الفصحى المعاصرة تظهر فيها ثلاثة مستويات تختلف بحسب اقترابها من الفصيح أو بعدها عنه، ففيها مستوى فصيح، ومستوى أقلّ فصاحة لما فيه من عدول، لكن عدوله جائز، ومستوى أقلّ من الثاني، لما فيه من عدول غير جائز.

أ- المستوى الأول: مستوى فصيح، تلتزم به بعض القنوات التلفزيونية في برامجها الإخبارية مثلا وعلى مستوى بعض الصحف المكتوبة التي تلتزم اللغة الفصيحة والسليمة من اللحن، ومن مخالفة القاعدة النحوية.

ب- المستوى الثاني: مستوى دون الفصيح، تستعمله بعض القنوات التلفزيونية، وبعض الصحف المكتوبة، ويتميز عن السابق باحتماله العدول عن بعض القواعد النحوية، لكنه الجائز، ولكي تتّضح أبرز مميزاته لابد من تتبعها في الإطار اللساني من خلال المستويات اللغوية التالية:

ب/1- المستوى الصوتي: يشكّل النظام الصوتي المادة الخام التي تتكون منها الكلمات، وربما يطرأ على الأصوات تغير أو تطور بفعل عوامل مختلفة، ولا ريب أن هذا التغير قد صاحب اللغة العربية على مر العصور، غير أن هذا التغير لا يكاد يذكر ما بين الفصحى التراثية (القديمة) والفصحى المعاصرة، فهما يتّفقان في جميع الأصوات تقريبا، بما في ذلك الصوائت، ويلمح اختفاء

[1]- شوقي ضيف "الفصحى المعاصرة" مجلة مجمع اللغة العربية المصري، القاهرة: 1978، مجمع اللغة العربية، ج41 ص19، 26.

[2]- نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي، دط. عمان: 1987، دار الفكر، ص195.

(الضاد) أو تغير مخرجه في بعض الاستعمالات، مع بقائه عند قراء القرآن الكريم، وعند خطباء المساجد، وفي المحاضرات الدينية.

إضافة إلى ذلك "هناك خلاف بين اللسانيين العرب المحدثين في تغير صفات بعض الأصوات ما بين الفصحى القديمة والفصحى المعاصرة مثل (الطاء والقاف) ما بين الجهر والهمس، وتحول الجيم من الشدة أو الوقفية إلى الاحتكاكية أو الرخاوة، أو إلى صفة التركيب، ومن حيث النظام المقطعي"[1] يمكن أن نقول إنّه بقي كما هو بين الفصحى القديمة والمعاصرة، مع تأثّر العربية المعاصرة في بعض الأحيان بالنظام المقطعي في بعض اللهجات المحكية، أما بقية الأنظمة الصوتية الأخرى المتعلّقة بوضع الصوت داخل الكلمة، وبطريقة كتابة الأصوات، فليس هنالك اختلاف يذكر فيها ما بين الفصحى القديمة والفصحى المعاصرة.

ب/2- المسـتوى الصرفي: يتعلّق المستوى الصرفي بأمور بناء الكلمة، وبالصيغ المختلفة للأفعال والأسماء، ولا يكاد يكون هناك فرق يذكر بين الفصحى القديمة والفصحى المعاصرة، إلاّ ظهور صيغ جديدة للتعبير عن مفاهيم جديدة، باستعمال طرائق توليدية متنوعة...، "هذا التصرف هو الذي أوجد (شعبوي) مقابل (شعبي) و(سياسوي) مقابل (سياسي) و(علماني) مقابل (علمي)...الخ[2] ومن هذه الصيغ الصرفية الجديدة ما أقرته المجامع اللغوية العربية، وعدته من الفصحى المعاصرة، وكثير من هذه الصيغ كان من إحداث الكتّاب والسياسيين والإعلاميين.

ب/1/2- أهم الظواهر الصرفية في هذا المستوى:

1- الاشتقاق من الجامد: الاشتقاق وسيلة هامة لتوليد الألفاظ، ونظرا لدور الاشتقاق في تكوين المصطلحات وتنميتها في العصر الحديث، قد اهتم به اللغويون العرب المعاصرون، وأولوه عناية كبيرة، وجاء تعريفه في المعجم الوسيط بأنّه "صوغ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرف"[3] ويقصد به أيضا "تكوين لفظ عربي جديد من مادة عربية عرفتها المعجمات، وبوزن عربي عرفه النحاة

---

[1]- عباس سوسوة، العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية، ص 35.

[2]- الطيب البكوش "إشكاليات الفصحى والدارجات" مجلة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس: 1990 ص198.

[3]- مجمع اللغة العربية المصري، المعجم الوسيط، دط. القاهرة: 1994، دار المعارف، ص489.

أو ثبتته النصوص"[1] والملحوظ في الفصحى المعاصرة، الاشتقاق من الاسم الجامد، وذلك من كلمات ذات أصل عربي، وغير عربي، وكلّها خاضعة للأوزان الصرفية العربية، فمن الأمثلة على المشتقّات ذات الأصل العربي نجد مثلا: (بحر، ثمن، حجر) وهي من أسماء الأعيان، وقد اشتقّ منها، والأمثلة على ذلك:

- (أبحرت) سفن أسطول الحرية صباح اليوم إلى غزة.
- (ثمن) الأمين العام الأممي جهود الجزائر في تحقيق السلم بين بعض الدول الإفريقية.
- (تحجرت) العلاقات بين الجزائر وفرنسا.

والأمثلة على المشتقّات ذات أصل غير عربي نذكر منها على سبيل المثال:

- (استراتيجي) كما في قولنا:
- لا بديل للسلم كخيار (استراتيجي) للدول النامية فكلمة: (استراتيجي) التي تعني "علم وفن ووضع الخطط العامة المدروسة بعناية لاستخدام مختلف أشكال الثروة والقوة لتحقيق الأهداف المختلفة"[2] تعريب للفظ الأجنبي (stratégie)
- **الدبلجة:** مصدر مشتق من الدخيل (دوبلاج) وهو مصطلح فنّي يعني "تحويل الحوار المنطوق في عمل سينمائي من لغته الأصلية إلى لغة أخرى بأصوات ممثّلين آخرين، بدون تغيير لممثلي العمل"[3] يقابله اللفظ الأجنبي: doublage، مثل: (تمت دبلجة المسلسل في عامين).
- **التقنية:** بمعنى "الأسلوب العلمي الدقيق في شتّى المجالات، والطرق العلمية المتّبعة في الصناعة أو الزراعة أو الطب...الخ"[4] وهو تعريب للفظ (Technique) وهو وصف من (technologie) أي التطبيقات العلمية في شتّى المجالات، مثل: (تمتاز هذه الآلة بتقنية عالية).

---

[1] - محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دط. القاهرة: 1993، مكتبة غريب، ص35.

[2] - محمد محمد داود، لغويات محدثة في العربية المعاصرة، دط. القاهرة: 2006، دار غريب، ص75.

[3] - نفسه، ص47.

[4] - عباس سوسوة، العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية، ص33.

- **رسكلة:** وهو تعريب للفظ (Recyclage) التي من معانيها: (إعادة التصنيع أو التحويل،... إعادة تأهيل موظفين،... تجديد معلومات) مثل: (يستدعى المهنيون للرسكلة التي ستدوم ستّة أشهر) وغير ذلك ممّا يحمل دلالة الدوران والتحويل والإعادة، حسب ما تنصّ عليه المعاجم.

- **أدجلة:** مصدر من الدخيل (إيديولوجي) أو (إيديولوجيا) بمعنى: "يقارب العقيدة أو المذهب الفكري"[1] وهناك مصطلحات كثيرة اشتقّت من ألفاظ أجنبية، ودخلت في الميزان الصرفي العربي على غرار: (ديناميكية، وريتم، وبرلمان، وروبوتاج، ومكساج، وإقليم، ومناخ وأستوديو)...الخ.

2- النحت: النحت من الظواهر اللّغوية العربية التي عنى بها الباحثون لأهميتها في رفد اللغة بالعديد من الألفاظ والمصطلحات، ومعناه "أن يعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدلّ على ما كانت تدلّ عليه الكلمتان أو الجملة نفسها"[2] ولقد وافق مجمع اللغة العربية في القاهرة على نحت الكلمات العربية عند الضرورة، وهذا نص القرار: "يجوز النحت عندما تلجئ الضرورة العلمية إليه، وهو ضرب من الاختصار تستعمله العرب قديما دفعا للالتباس خاصة في النسب"[3] ثم سار على طريقتهم المحدثون في الفصحى المعاصرة، ونذكر على سبيل المثال:

- الأوضاع الجيوبوليتيكية للعالم: فالقسم الأول منها مختصر من الجغرافية، وقسمها الثاني فيه علامة النسب الأجنبية (ique/ic) في هذه الكلمة، وزيد عليها علامة التأنيث من العربية لتطابق الموصوف السابق.

- المواد البتروكيماوية: وهذا نقل للكلمة الأجنبية (petrochimique) مع التغيرات التي تعرضت لها.

- اللغات الهندوأوروبية: فالكلمة الأخيرة تتكون من اسمين: (الهند) و(أوربا) وأضيفت إليها ياء النسب وتاء التأنيث.

---

[1] - عباس سوسوة، العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية، ص32.

[2] - جلال شوقي "المصطلح العلمي بين الثراء والإغناء" مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، الأردن: 1993، مجمع اللغة العربية الأردني، العـدد: 42، ص 23.

[3] - محمود فهمي حجازي، اللغة العربية عبر القرون، دط. القاهرة: 1978، دار الثقافة، ص97.

- دواوين بروقراطية: وتتكون من كلمتين (Bureau) التي تعني مكتب، وفيه إشارة إلى الإدارة والموظّفين، وكلمة (Cratie) بمعنى السلطة ومعناها: حكومة تتركز السلطة فيها بأيدي جماعة من الموظّفين أو الإداريين[1] وهو مصطلح كثير الاستعمال في الصحف، فيه إشارة إلى عدم الشفافية.
- حيوان برمائي: تتكون من لفظتين: بر وماء وصيغ منها اسم تلك الحيوانات التي تعيش في البر وفي الماء، وسميت بالبرمائية.

3- **التركيب:** يعد التركيب من أهم وسائل تكوين المصطلحات العربية، والمقصود بالتركيب "ضم كلمتين إحداهما إلى الأخرى، وجعلها اسما واحدا إعرابا أو بناء، سواء أكانت الكلمتان عربيتين أم معربتين"[2] وقد ساهم التركيب في تنمية المصطلحات وزيادة عددها، وتجدر الإشارة إلى أن الكثير من الأبنية التركيبية الحديثة في الفصحى المعاصرة، كانت نتاج الترجمة للمصطلحات الأجنبية، خاصة الإنجليزية والفرنسية، ويمكن تقسيم المصطلحات في اللغة العربية في العصر الحديث من حيث مكوناتها إلى عدة أنواع منها: "التركيب المزجي العربي، والتركيب المزجي المختلط، والتركيب المزجي الدخيل"[3] وتتكون صيغ التركيب العربي من مكونات عربية، ولعلّ من أقدم هذه التراكيب وأكثرها شيوعا منذ عصر الحضارة الإسلامية (لا+اسم) مثل:(لا كون، ولا وجود، ولا ثبوت، ولا مانع) وصار هذا التركيب شائعا في الفصحى المعاصرة للتعبير عن مصطلحات فلسفية، واجتماعية وسياسية مثل: (لا مبالاة، ولا مركزية، ولا سلكي، واللاحرب، واللاسلم، واللاوعي، واللاعقلاني واللافقريـات) كما تكونت صيغ مركّبة أخرى عنصرها الأول كلمة (شبه) مثل: (شبه حربي، وشبه جزيرة، وشبه رسمي، وشبه عسكري، وشبه طبي...)

وتكونت صيغ أخرى عنصرها الأول (غير) مثل: (غير إنساني، وغير مباشر، وغير دستـوري وغير رسمي، وغير قانوني...) وتكونت صيغ أخرى عنصرها الأول كلمة (عدم) مثل: (عدم الانحياز، وعدم الارتياح، وعدم الشغل، وعدم الاستقرار، وعدم الصلح...)

---

[1] - عباس سوسوة، العربية الفصحى المعاصرة وأصولها التراثية، ص55-56.

[2] - نفسه، ص47.

[3] - مجمع اللغة العربية، المعـجم الوسيط، ص489.

كما تكونت كذلك، مركبات أخرى عنصرها الأول كلمة (سوء) مثل: (سوء السلوك، وسوء النيـة وسوء التغذية، وسوء التسيير...)

ونجد في الفصحى المعاصرة كذلك مركّبات تتكون من اسمين مختلفين مثل: (حوار جنوب جنـوب، وطريق شرق غرب، والعلاقات الجزائرية المغربية...)

وأما التركيب المزجي المختلط فيتكون من اسم عربي ونهاية أجنبية، أو عكس ذلك، اسم أجنبي ونهاية عربية، وهذا ضرب شائع في مصطلحات الكيمياء، على وجه الخصوص، فالمصطلح (Lact**ate**) ترجم عنصره الأول (Lact) على (لبن) واحتفظ المصطلح العربي بالنهاية الأجنبية (**ATE**) فقيل (لبنات) كذلك (كبريات) وهناك مصطلحات أجنبية ونهايتها عربية مثل: (تقنيات) (أكاديمي) و(ميكانيزمات) و(تكنولوجيات)

أما التركيب المزجي الدخيل فيشير إلى التراكيب المكونة من عناصر أجنبية مثل: (ترمومتر ميكروسكوب، تلسكوب، تلفزيون، تلفون، مايكروفون...)

4-المصدر الصناعي: شاع في الفصحى المعاصرة استعمال المصدر الصناعي، و"هو اسم تلحقه ياء النسبة مردفة بالتاء للدلالة على صفة فيه"[1] وقد أكثر منه المولّدون في مصطلحات العلوم وغيرها حيث تكونت هذه الصيغة عند العرب المعاصرين بإضافة النهاية إلى أنواع مختلفة من المفردات منها:

- (اسم جمع+ية) مثل: قومية، وجنسية، ووطنية...إلخ.
- (مصدر+ية) مثل: تقدمية، وتعاونية، وانهزامية...إلخ.
- (اسم فاعل+ية) مثل: عاطفية، وجاذبية...إلخ.
- (كلمة مركبة+ية) مثل: رأسمالية، وبرلمانية، وكهرومغناطيسية...إلخ.
- (كلمة أجنبية+ية): مثل فيدرالية، كلاسيكية، برلمانية، دبلوماسية...إلخ.

هذه الصيغة القياسية أخذت تنمو بعد مجيء الإسلام شيئا فشيئا، بحسب حاجات المجتمع العربي الإسلامي "وصيغت منها المصطلحات في العلوم والفنون كافّة، إذا وجدوا فيه المراد حين لا يفيد

---

[1]- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دط. بيروت:1992، المكتبة العصرية، ج1، ص177-178.

المصدر الصريح"[1] فالفصحى المعاصرة ليست لغة جامدة أو متحجرة، فهي تتّصف بصفات كثيرة تجعلها صورة متطورة عن العربية الفصحى في التراث، ومستوى لغويا مختلفا بعض الاختلاف عنها.

ونذكر بعض الظواهر الصرفية للفصحى المعاصرة في نقاط متفرقة:

- زيادة النون في صيغة (فعل) فتصير (فعلن) وما يشتق منها مثل: (علمن، وعقلن، وطبعن) كأفعال و(علمنة، وعقلنة، وطبعنة) كمصادر.
- استعمال صيغة (تفاعل) بصورة قياسية للدلالة على التكرار والموالاة، كما في (تعاطي الدواء والتشاغل بالأمر، وتمايل الغصن، وتساقط الشيء،...إلخ) أو للدلالة على وقوع الفعل في مهلة وتدرج كما في: (تكاثف الضباب، وتكامل العمل، وتماثل للشفاء وتقاعس عن الأمر...إلخ).
- النسب بالألف والنون في مجال المصطلحات العملية للتعبير عن النظرية، أو النزعة، أو الاتجاه كما في (العقلانية، والشكلانية، والشخصانية).
- في هذا المستوى "سقط استعمال كثير من الأوزان التي كانت قديما جمعا لمفرد واحد"[2] فمن ذلك سقوط (أحمرة) وبقاء (الحمير) واختفاء (أبطن) وبقاء (بطون) واختفاء (أغربة) وبقاء (غربان) كلّها أوزان صحيحة، لكن أصبح بعض منها يستعمل، وبعضها الآخر قد اختفى، ولم يعد يستعمل.

ب/3- المسـتوى النحوي: يتميز المستوى النحوي بتركيب الكلمات في جملة سليمة، ولعلّ أبرز ما يميز الفصحى القديمة في المستوى النحوي، هو الإعراب، وقد ترخّص فيه في الفصحى المعاصرة "وصارت هذه الأخيرة معربة، خاصة في المواضع التي يكون فيها الإعراب دالاّ على معنى أساس في الإفادة، أو مقترنا باختلاف الرسم الكتابي، ولكن يترخص بالإسكان في ما عدا ذلك"[3] ومما خالفت فيه الفصحى المعاصرة الفصحى القديمة بعض الظواهر النحوية، نذكرها على النحو التالي:

1- الإعراب: هو من أهم خصائص اللغة العربية، وهو تغير الحركات في أواخر الأسماء والأفعال نتيجة لتغير العوامل الداخلة عليها، وما يقتضيه كلّ عامل من هذه العوامل، وحسب مواقع

---

[1]- عباس سوسوة، اللغة العربية المعاصرة، 98.

[2]- نفسه، ص61.

[3]- عباس حسن، النحو الوافي، ط10. القاهرة: دت، دار المعارف، ج2، ص322.

الكلمات من الكلام، كما يخبر بذلك النحويون، ومستخدمو الفصحى المعاصرة يتفادون الإعراب ويلجأون إلى التسكين الدائم لأواخر الكلمات فرارا من الوقوع في الخطأ.

2- **الموقعية:** تستعمل في اللغة العربية الجملة الفعلية، والجملة الاسمية بقدر مختلف، بخلاف اللغتين الفرنسية والإنجليزية، اللّتين تكتفيان باستعمال الجملة الاسمية، وإثر الاحتكاك بالحضارة الغربية في شتّى المجالات، حتّى في المجال اللّساني، إذ دخلت أنماط وأساليب جديدة على اللغة العربية المعاصرة خالفت فيها الفصحى التراثية، ومنها استعمال الجملة الاسمية على الجملة الفعلية.

ومما خالفت فيه الفصحى المعاصرة اللغة العربية التراثية بعض الظواهر الموقعية التي نذكرها في الأمثلة التالية:

أ- تصدر المفعول لأجله الجملة، والمعروف عن اللغة العربية أن المفعول لأجله يأتي متأخّرا عن الفعل والفاعل، لكن في الفصحى المعاصرة نجده يتصدر الجملة مثل:

- ردا على السؤال الذي طرحته قناة الجزيرة عبر موقعها في الانترنيت.
- تلبية لدعوى الرئيس الفرنسي، سافر اليوم رئيس الجمهورية متجها إلى فرنسا.
- نتيجة لانتشار الوباء، اتّخذت الحكومة إجراءات وقائية.

ب- تقدم لفظ التوكيد على المؤكّد، والأصل أن يأتي لفظ التوكيد متأخّرا عن المؤكّد ويتّصل بلفظ التوكيد ضمير يعود على المؤكّد ويطابقه في الجنس والعدد، "والغاية من التوكيد رفع الشك والاحتمال وإرادة الحقيقة"[1] لكن في الفصحى المعاصرة، يرد لفظ التوكيد قبل المؤكّد مثل:

- شاركت نفس الدول في أسطول الحرية.
- اتخذت الدولتان نفس الموقف.
- صوت جميع النواب بنعم.
- أمضى كلّ الوقت في البحث والمطالعة.

[1]- عاصم بيطار، النحو والصرف، دط. دمشق: 1982، مطبعة الجاحظ، ص283.

ج- تصدر الظرف أو الجار والمجرور الجملة، مقترنا بضمير، ويعود على متأخّر مثل:

- من جهته رد الوزير الأول على مداخلات النواب.
- في إطار التعاون بين البلدين، أقلعت طائرة محملة بمساعدات إنسانية صبيحة اليوم.
- تحت الرعاية السامية لرئيسي الجمهورية انطلقت فعاليات لملتقى...الخ.
- فوق كلّ اعتبار، جدد الوزير عزمه على الحفاظ على الفيئات المعوزة.

3-المصاحبة: توجد ظاهرة المصاحبة في الفصحى المعاصرة بين الحرف والاسم، أو بين الأداة والفعل، لكن في الغالب، لا تفي بالغرض، إما أن تكون بلا معنى، أو تحدث تناقضا في المعنى ونضرب بعض الأمثلة لنبين ذلك:

أ- مصاحبة (سوف) للفعل المضارع، والأصل أن (لن) أداة نصب وتوكيد، تدخل على الفعل المضارع فتنصبه مثل: (لن أغادر وطني) فالفعل مع الأداة يدلاّن على زمن المستقبل، دون أن نظيف إليها (سوف) أو (السين) التي تدل على المستقبل، والأمثلة عن ذلك:

- أبدت الجزائر موقفها في القضية، وسوف لن ترضى بالدخول الأجنبي.
- سوف لن تتمكّن إسرائيل من القضاء على المقاومة.

ب- مصاحبة نائب الفاعل لشبه جملة مكونة من جار ومجرور (من قبل/ من طرف) في صيغة البناء للمجهول، وهذه الظاهرة النحوية نجدها في اللغة الفرنسية (la voix passive) إذ يذكر الفعل، ثم تصاحبه الأداة (Par) و(By) في اللغة الانجليزية، وذلك ما نجده في الفصحى المعاصرة والأمثلة على ذلك:

- استقبل الرئيس الفرنسي من قبل نظيره الجزائري.
- أصدر البيان الختامي من طرف الدول المشاركة في القمة.
- ٱختطف المبعوث الأممي بواسطة جماعة تنظيم القاعدة.

هذا في حالة ما جاء الفعل مبينا للمجهول، حيث إن الفعل قد يأتي مبينا للمعلوم وتصاحبه أشباه الجمل مثل: (من قبل) و(من طرف) و(بواسطة):

- الفصل في القضية تم من قبل لجنة خاصة.
- هذه التعليمة تم إصدارها من طرف القاضي الأول في البلاد.
- الوصول إلى النتيجة يمكن بواسطة خبراء مختصين.

ج- مصاحبة الواو لشبه جملة، تصاحب الواو شبه الجملة، ولا توضع في خانة الجملة الاعتراضية وذلك ما نجده في الأمثلة التالية:

- ندد المجتمع الدولي وبشدة الاعتداءات الإسرائيلية على غزة.
- قدم أوراق اعتماده وفي نفس الوقت أدى بهذا التصريح.
- أبدى النواب، ومن خلال مداخلاتهم ارتياحهم لبرنامج الحكومة.

ب/4- المستوى الدلالي: يعد المستوى الدلالي من أكثر المستويات اللغوية عرضة للتغيير ويصدق هذا الحكم على الفصحى المعاصرة التي تغيرت فيها دلالات الألفاظ تحت تأثير العامل الزمني والعامل الحضاري، فاختفت ألفاظ وظهرت ألفاظ أخرى، وكثرت الألفاظ والمصطلحات الدخيلة، فاللغة في حراك مستمر، وتغير سريع، بفعل التغيرات التي تحيط بها، سواء في المجتمع الذي تُستعمل فيه أم في المحيط العام من حولها، وهذا الحراك الدائم يؤدي إلى تكوين مفردات، ومصطلحات، وأساليب جديدة "منها ما يكون من اللغة ذاتها، يستنبطه أبناؤها، ومنها ما يكون مقترضا من لغات أخرى، مما يثريها وينميها، فيعطي الناطقين بها مجالا وقدرة أكبر للتعبير، ويعزز من سبل الإفصاح عن الحاجات والغايات"[1] فإن التوسع المعرفي، والتقدم العلمي والتكنولوجي، يقتضي استعمال عدد جد متزايد من الألفاظ والأساليب واستحداثها، وفيما يلي نذكر بعض الألفاظ المستحدثة في الفصحى المعاصرة على سبيل التمثيل لا الحصر:

أ- اشتقاق صيغ جديدة من أصول عربية معروفة للدلالة على معان مستحدثة، كالصحافة، والطباعة والمجهر، والمصعد، ويطّرد هذا تقريبا في أسماء الآلات، والدلالة على المهن، والأماكن المخصصة للعمل: كالمصنع، والمتجر، والمنصة، والمطار، والمحطّة.

---

[1]- جلال شوقي "المصطلح العلمي بين الثراء والإغناء" مجلّة مجمع اللغة العربية الأردني، ص11.

ب- تعريب الألفاظ الأجنبية بما يتّفق وصيغ اللّغة العربية وأصواتها مثل: البرلمان، والتلفزيون والليبرالية، والدينامية، والفيلم، والسينما، وتكنولوجيا، وريتم، وتقنية، وآلية، وميكانيكية...إلخ.

ت- استحداث مركّبات مزجية صالحة للتعبير عن كثير من المعاني المركّبة، مثل: الفوتوغرافية والبيولوجيا، والجغرافيا، وتكنولوجيا...إلخ.

ث- استحداث التعابير المنقولة عن اللّغات الأوروبية، كالفعل ورد الفعل، وأزمة الثقة، وأزمة الضمير والقفص الذهني، والستار الحديدي، ويد من حديد، والأغلبية الساحقة، وفي ضوء كذا، وعلى ضوء كذا، ومهما يكن من شيء، وعلى أي حال، وأكثر من أي وقت مضى، وبالرغم من ذلك، وإلى حد أنّه...الخ.

ج- استحداث ألفاظ تغيرت دلالاتها مثل: التطبيع، والمنظومة، والهيكلة، والتواجد، وتمشيط، وتنموي وجواري، والمستدامة، ونهضوي، وأخلاقيات، وفعاليات، والجاري...إلخ.

فهذه الألفاظ والأساليب ذات الطعم الغربي، لم تدخل اللغة العربية من باب الترجمة وتأثير الإعلام الأجنبي (المرئي والمسموع) في لغتنا فقط "وإنّما جاءتنا من تأثّرنا بمنهج الأوروبيين في التفكير والتحليل للظواهر الاجتماعية والسياسية والحضارية"[1] فالفرد عندما يتكون ثقافيا بلغة معينة كالفرنسية أو الإنجليزية، إنّما يظلّ متأثّرا بطبيعة صياغة ثقافته ذاتها بتلك اللغة، وحين يضطر إلى الكتابة بلغة أخرى، كاللغة العربية مثلا، فإنّه لا يمكنه تفادي القوالب اللّغوية التي كانت عالقة في تفكيره، وما دخل اللغة العربية من تطور في معجمها ونحولها لم يخرج عن نظام اللغة العام فيها والنظام في اللغات يتأسس عادة على مكونين أساسين[2]:

- **أولهما:** المكون المعجمي وقوامه المفردات، وما يتعلّق بها من أصوات وأبنية صرفية ودلالات.
- **وثانيهما:** هو المكون النحوي وقوامه الجمل، وما يتّصل بها من أنماط التركيب، والوظائف الإعرابية، وعلامات الإعراب والتصريف، ولقد مر المكون المعجمي بتغيرات كثيرة طيلة حياة اللغة العربية، إذ لم تكن جامدة متوقّفة عن التطور، بل كانت لغة حية قادرة على التعبير عن

[1]- محمد الكتاني "آثر الصحافة ووسائل الإعلام في تطور اللغة العربية: سلبيات الوضع وإيجابياته" مطبوعات أكاديمية المهلكة المغربية، الرباط: 1993، ص205.

[2]- نفسه، ص 206.

حاجات الجماعة اللّغوية التي تتكلّم بها، كما عرف المكون النحوي تغيرات خاصة في التصريف وأنماط التركيب، أما ما لم يتغير، فهو الإعراب وما يرتبط به من وظائف وعلامات.

إن الفصحى المعاصرة لغة مكتوبة ومنطوقة، وذات خصائص صوتية، وصرفية، ونحوية ودلالية وأسلوبية معينة، تتّصل مع الفصحى القديمة أو التراثية في كثير من خصائصها، وتتواصل مع عصرها في خصائص أخرى، تتعلّق بالحتمية التطورية للغات خصوصا التطور الدلالي.

ج- المستوى الثالث: دون المستوى الثاني، وأقلّ فصاحة منه، وهو يتميز بالعدول، إلاّ أنّه عدول غير جائز . وفي هذا العنصر نذكر بعض الأمثلة عن ذلك:

- نصب ما حقه الرفع: مثل:(أصبح لها صدى واسعا في البلاد) نلاحظ في الجملة نصب ما حقه الرفع فكلمة (واسع) صفة لـ(صدى) و(صدى) اسم أصبح مرفوع، وعلامة رفعه ضمة مقدرة، ولهذا تكون (واسع) مرفوعة، والصواب أن نقول: (أصبح لها صدى واسع في البلاد).
- (ما تكلّم إلا واحدا): فكلمة (واحد) فاعل للفعل (تكلّم) والجملة من قبيل الاستثناء المفرغ[*] ولهذا يعرب (واحد) حسب موقعه في الجملة ونقول: (ما تكلّم إلا واحد).
- (ستكون الرياح أغلبها شرقية) بفتح كلمة (أغلبها) وهي بدل من (كلّ) وهو الرياح، والرياح مرفوعة لأنّها اسم (يكون) ولهذا تكون كلمة (أغلبها) مرفوعة أيضا، لأنّها بدل، والبدل يتبع المبدل منه في الإعراب.
- رفع ما حقه النصب، مثل: (إن ثمة أمور كثيرة) والصواب أن نقول: (إن ثمة أمورا كثيرة) لأن كلمة (أمورا) اسم إن الناسخة مؤخّر، و(ثمة) اسم إشارة للمكان البعيد تقع خبرا.
- استعمال حيث وحيثما، مثل: (حيث تذهبوا تجدوا لكم عملا) فحيث لا تجزم فعلين إلاّ إذا اتّصلت بها (ما) الزائدة والصواب نقول: (حيثما تذهبوا تجدوا لكم عملا)أو: (حيث تذهبون تجدون لكم عملا) وفي هذه الحالة تعتبر (حيث) ظرف مكان.

---

[*]- سمي الاستثناء مفرغا لأن ما قبل "إلاّ" تفرغ للعمل الإعرابي فيما بعدها ولم يشتغل في غيره، والاستثناء المفرغ ما حذف في جملته المستثنى منه، وكلامه غير موجب.

- استعمال حينما، مثل: (حينما تذهبوا أذهب معكم) نلاحظ أن (حينما) استعملت استعمال أدوات الشرط والصواب أن نقول: (حينما تذهبون أذهب معكم) فـ ـ (حينما) ليست من أدوات الشرط التي تجزم فعلين مضارعين، بل ظرف زمان تختلف عن (حيثما).

- دخول حرف الجر (الباء) على المقسم عليه مثل: (أقسم بأن يعود إلى فلسطين) فالباء لا تدخل على المقسم عليه، والثابت في الاستعمال العربي لأسلوب القسم، دخول (الباء) على المقسم به أما الشيء المقسم عليه فتستعمل مع (على) مثل: (أقسم على أن أعود إلى فلسطين).

- تثنية اسم المقصور مثل:(أقام دعوتين على خصمه) نلاحظ خطأ في تثنية الاسم المقصور (دعوى) والقاعدة تقول أن تثنية الاسم المقصور الذي ألفه رابعة أن تُبدل هذه الألف (ياء) والصواب: (أقام دعويين على خصمه).

- إثبات لام المعتل الآخر مثل: (كانت طائرتان قد اختفيتا بعد إقلاعهما/ ارتميتا في أحضان والدتهما) وهي صياغة مرفوضة لإثبات لام الفعل المعتل الأخر عند تثنية وإسناده إلى الضمير، والصواب: (كانت طائرتان قد اختفتا بعد إقلاعهما) والجملة الثانية(ارتمتا في أحضان والدتهما).

فعند إسناد الفعل المعتلّ الآخر بالألف المتصل بتاء التأنيث مثل (اختفى) إلى ألف الاثنين تحذف ألفه مثل قوله تعالى: **قَـد كَانَ لَكُم آيةٌ في فئتين التقَتا** (آل عمران 13).

- جمع الاسم المنقوص مثل: (صاروا راضيين بما أنعم ا عليهم) عند جمع الاسم المنقوص جمعا مذكرا سالما يجب حذف الياء، وضم ما قبل الواو ويكسر ما قبل الياء فيقال (راضون) في حالة الرفع و(راضين) في حالتي النصب والجر.

- هذه بعض من الشواهد الإعرابية التي نجدها خاصة في لغة الإعلام، أو في لغة المثقفين في خطابتهم وأصبحت شائعة، ولا يتحرجون من الوقوع في مثل هذه الأخطاء.

- عدم المطابقة: ذلك سواء بين العدد والمعدود في التذكير والتأنيث، كذلك في العدد المركب وبين اسم التفضيل المقترن بـ (ال) وموصوفه، وبين الصفة والموصوف، وفيما يلي أمثلة عن ذلك:

- قابلته في إحدى الأحياء جنوبي بيروت، نلاحظ أن (إحدى) مؤنّث، والأحياء جمع (حي) وهو اسم مذكّر فالعدد المفرد لم يطابق المعدود في التذكير والتأنيث، والصواب أن نقول: قابلته في أحد الأحياء جنوب بيروت.

- فاز بأحد الجوائز الكبيرة، نلاحظ الشيء نفسه في هذه الجملة، والصواب أن نقول: فاز بإحدى الجوائز الكبيرة.

- انصب اختيار اللجنة على أربع أفلام سينمائية، جملة مرفوضة لعدم المطابقة بين العدد والمعدود في التذكير والتأنيث، والصواب أن نقول: انصب اختيار لجنة التحكيم على أربعة أفلام سينمائيـة فالأعداد من 3 إلى 10 تخالف المعدود في التذكير والتأنيث، بشرط أن يكون المعدود مذكورا في الكلام، وأن يكون متأخّرا عن لفظ العدد[1].

- وفي مثال آخر: ضحى بالقيم الأدنى ليظفر بالقيم الأعلى: عدم المطابقة بين اسم التفضيل المقترن بـ (ال) وموصوفه، والصواب أن نقول: ضحى بالقيم الدنيا ليظفر بالقيم العليا، إذ اشترط النحاة في أسماء التفضيل المقترنة بـ (ال) المطابقة لما قبله في التذكير والتأنيث، وفي الإفراد والتثنية والجمع.

- في الإطار التي تمت فيها اللقاءات بين الرئيسين، جملة مرفوضة لعدم المطابقة بين الصفة والموصوف في النوع، والصواب أن نقول: في الإطار الذي تمت فيه اللقاءات بين الرئيسين والقاعدة هي مطابقة الصفة للموصوف وجوبا في العدد، والنوع، والتعيين (التذكير والتعريف) والإعراب. وقد رأينا أن نورد نماذج من التجاوزات التي يمكن أن تظهر على ألسنة المذيعين على النحو الآتي:

- استعمال (إلاّ) في غير موضعها مثل: الإسلام - وإن قلّل من أغراض الشعر- إلاّ أنّه لم يحاربه والصواب في ذلك أن نقول: الإسلام وإن قلّل من أغراض الشعر فإنّه لم يحاربه.

- دخول (إلى) على الظرف: مثل تأخّر إلى بعد المغرب، فظاهرة دخول حرف الجر على الظرف لم ترد عن العرب والصواب أن نقول: تأخّر إلى ما بعد المغرب، أو انتظرته إلى ما قبل المغرب.

---

[1]- عباس حسن، النـحو الوافي، ط10.القاهرة: دت، دار المعارف،ج1 ،ص350.

- الفصل بين (أن) والفعل المضارع مثل: إعلم أن ستعود فلسطين: فصل بين (أن) والفعل المضارع المنصوب بعدها، وتنص القاعدة على أن الحرف الناصب للفعل المضارع لا يفصل بينه وبين مضارعه بـ (السين) أو (سوف) أو (ما) أو (قد) أو (لو).

- تعريف الألفاظ المبهمة مثل**:** الأمر **الغير** صحيح والصواب أن نقول: الخبر **غير** الصحيح.

- استعمال (ربما) مثل: ربما الفكرة حسنة فيستفيد منها: ربما دخلت على الجملة الاسمية والصواب أن نقول: ربما تكون الفكرة حسنة فيستفيد منها.

- اجتماع (ربما) و(لن) مثل: ربما لن تشارك الجزائر في القمة، والصحيح أن نقول: قد لا تشارك الجزائر في القمة، فلا يمكن الجمع بين (ربما) التي تفيد الريب والشك، وبين (لن) التي تفيد التوكيد.

- صرف ما لا يتصرف مثل: سلّم المدير على طلاب أذكياء، صرفت كلمة (أذكياء) مع وجود ما يستوجب منعها من الصرف، لأنّها منتهية بألف التأنيث الممدودة، وهي ليست من أصل الكلمة والصواب: سلّم المدير على طلاب أذكياء، لأن (أذكياء) أصلها (أذكياي) أبدلت الألف الثانية همزة لمنع التقاء الساكنين، فأصبحت (أذكياء) ومنعت من الصرف، لأن الألف تمنع الصرف[1].

- وضع المتصرف مرتبة غير المتصرف مثل: رزقه ا بأبناء بررة: منعت كلمة (أبناء) من الصرف وهي متصرفة، لأن همزتها منقلبة عن أصل، فهي ليست زائدة، والصواب أن نقول: رزقه ا بأبناء بررة[2].

- إضافة (آل) إلى الضمير مثل: اللهم صلي على محمد وعلى آله، و(آل) لا تضاف إلى الضمير وإنّما تضاف على الاسم الظاهر، والصواب أن نقول: اللّهم صلي على محمد وعلى آل محمد.

- التعارض في المعنى: أجمع معظم المعلقين الرياضيين على هذا الأمر، نلاحظ استخدام لفظ (معظم) الذي يدل على الأغلبية مع الفعل (أجمع) مما يؤدي إلى التعارض في المعنى، سواء نقول: اتّفق معظم المعلقين الرياضيين على هذا الأمر، أو أجمع المعلقون الرياضيون على هذا الأمر، فالإجماع غير الأغلبية، ولا يصح جمعهما في عبارة واحدة.

---

[1]- أبو إسحاق الزجاج، ما ينصرف وما لا ينصرف، تح: هدى محمود دقراعة، دط. القاهرة: 1971، ص32.

[2]- أحمد مختار عمر، العربية الصحيحة، ص170-171.

- مصاحبة حرف الجر للمقسم عليه، مثل: أقسم بأن يعود إلى غزة، فالباء لا تدخل على المقسم عليه والثابت في الاستعمال العربي لأسلوب القسم دخول (الباء) على المقسم به، أما الشيء المقسم عليه فتستعمل معه (على) أقسم على أن يعود إلى غزة.

- استعمال (ياء النسب)، مثل: شهدت الستينات نهاية الاستعمار، نلاحظ أن جمع لفظ العقد دون إلحاق (ياء النسب) به، والصحيح أن نقول شهدت الستينيات نهاية الاستعمار، لأن إذا قلنا (ستينات) بدون (ياء النسب) يتغير المعنى، إذ تدلّ على عدة وحدات، وكلّ منها تتكون من ستّين عنصرا.

- زيادة (السين) للدلالة على المستقبل، مثل: سرعان ما سيبدأ العمل فيها، فزيادة (السين) التي تدل على المستقبل، مما يناقض دلالة التعجب في الجملة، والصواب أن نقول: سرعان ما يبدأ العمل فيها و(سرعان) اسم فعل ماض بمعنى (عجل) و(أسرع) وقد يتضمن في الوقت نفسه التعجب في السرعة والتعجب لا يكون من شيء سيحدث في المستقبل.

- استعمال (سيما): وافقت دول البحر الأبيض المتوسط على المشاركة سيما دول المغرب العربي نلاحظ أن (سيما) مجردة من (الواو) و(لا) إذا اتّفق اللغويون على ضرورة سبق (سيما) بحرف النفي (لا) أما (الواو) فقد ذهب بعضهم إلى أن دخولها على (لاسيما) واجب وذكر بعضهم الآخر أن الاستغناء عنها لغة صحيحة، فلا يمكن أن نجردها من الواو واللام معا[1].

- استعمال (ثم): ضربته ثم بكى، جملة مرفوضة لأن حرف العطف (ثم) يدلّ على وجود فترة زمنية بين الضرب والبكاء، وهذا غير معقول، والصواب أن نقول: ضربته فبكى، فحرف العطف (فاء) هو الذي يدلّ على الترتيب والتعقيب، والفورية.

- استعمال (كلّما) مثل: كلّما تتحصل عليه مقبول، لاحظنا أن كتابة (كلّما) في بعض الصحف خاطئة فـ (كلّما) تكتب موصولة إذا كانت أداة شرط مركّبة، أما إذا جاءت (ما) بمعنى الذي وجب فصلها فتكتب (كلّ ما) والصواب نقول: كلّ ما تتحصل عليه مقبول.

- تكرار (كلّما) مثل: كلّما ارتقت الأمة كلّما ازدهرت فنونها، نلاحظ تكرار كلمة (كلما) وهذا أسلوب خارج على النمط العربي، والصواب أن نقول: كلّما ارتقت الأمة، ازدهرت فنونها، فكلمة

---

[1]- عباس حسن، النـحو الـوافي، ج1، ص360.

(كلّما) أداة شرط تقضي جملتين: جملة فعل الشرط وجملة جواب الشرط، وقد وردت في القرآن الكريم بهذه الصورة: **كلّما أضاءَ لهم مشوا فيه** (البقرة 20) ولا يجوز أن تسبق (كلّما) جواب الشرط.

- مصاحبة حرف الجر (في) (ما خلا) مثل: يكثر في جميع الدول في ما خلا في استراليا، ورد خطأ في تركيب هذه الجملة، وهو زيادة (في) بين (ما خلا) ومفعوله، والصواب أن نقول: تكثر في جميع الدول ما خلا أستراليا، والقاعدة النحوية تنص على أن: إذا تقدمت (ما) المصدرية على (خلا) وجب نصب المستثنى باعتباره مفعولا به لفعل الاستثناء المذكور في الجملة[1].

- استعمال (مثلما) مثل: أخذت مثلما أخذ المتفوقون، فقد ورد خطأ في تركيب (مثل) و(ما) وفي هذه الحالة، جاء (ما) اسما موصولا، فيجب أن لا تتّصل بكلمة (مثل) السابقة عليها، والصواب أن نقول: أخذت مثل ما أخذ المتفوقون، كما في قوله تعالى: **يا ليت لنا مثْلَ ما أوتي قارونَ** (القصص 79).

- ويجب الوصل بينهما فيما عدا ذلك مثل: يجب أن نتّخذ مثلما اتّخذ الغرب.

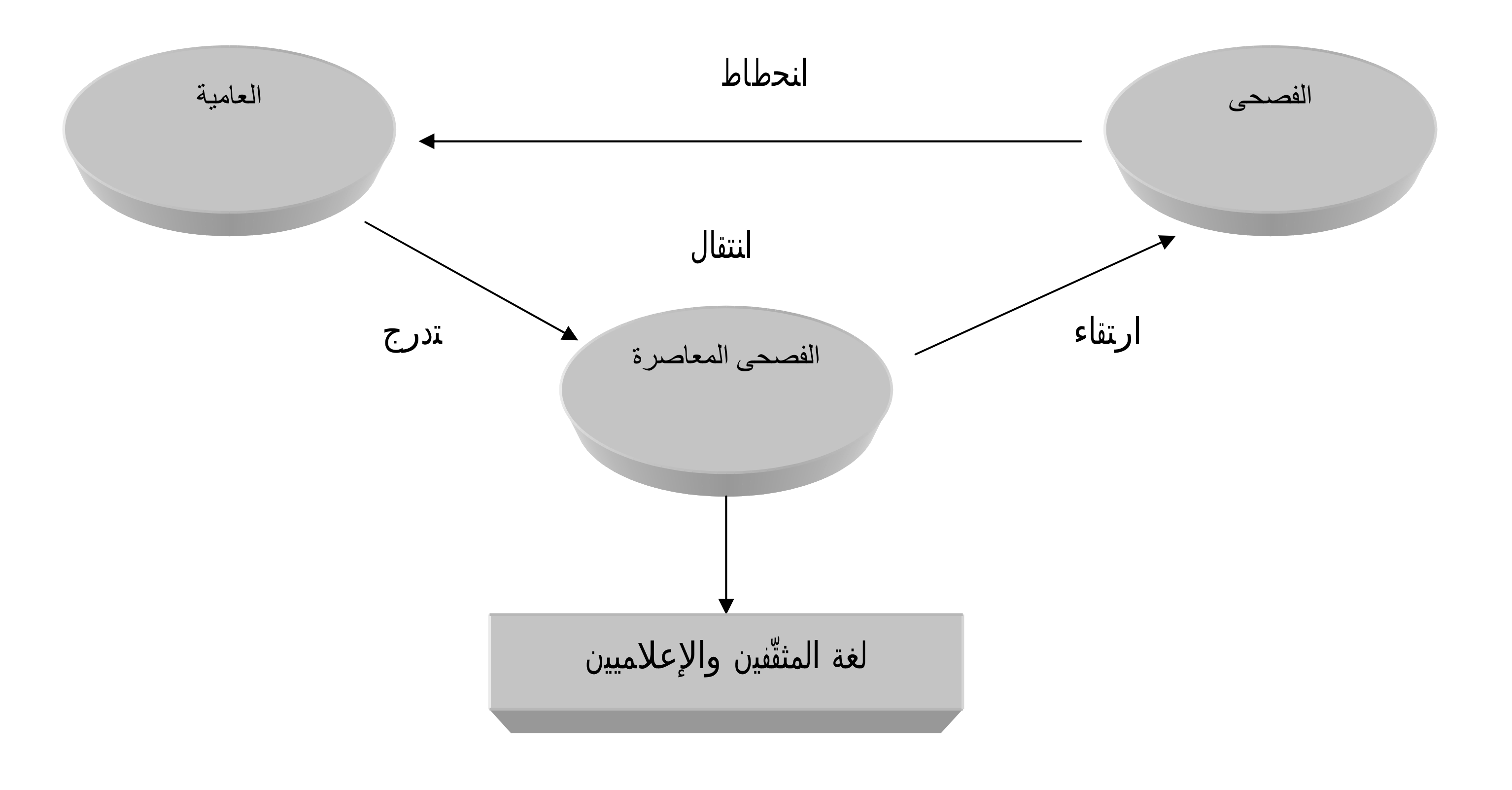
- الاستثناء بـ (إلاّ): مع أنّه سيء الصوت إلاّ أنّه يغني، فالاستثناء هنا يخالف التركيب الصحيح والصواب أن نقول: مع أنّه سيء الصوت، فإنّه يغنّي، فالمقام هنا مقام جمع بين صفتين في شيء واحد، فالاستثناء هنا لا وظيفة له، لأن قاعدة الاستثناء هي: أن يأتي المستثنى في مثل هذه التراكيب مخالفا المستثنى منه في الحكم[2].

---

[1]- عباس حسن، النحو الوافي،ج1، ص355.

[2]- نفسه،ج1، ص315.

رسم توضيحي لبيان موقع الفصحى المعاصرة



4-الفصـحى المعاصرة والتنمية اللّغوية: لم تعرف اللغة العربية عبر تاريخها الطويل ما تعرفه اليوم من السرعة في النمو والتغير بحكم عوامل كثيرة، ونتيجة لأسباب متعددة، لعلّ أقواها تأثيرا، النفوذ الواسع الذي تملكه وتمارسه وسائل الإعلام، المقروءة، والمسموعة، والمرئية، والذي يبلغ الدرجة العليا في التأثير على المجتمع في ثقافته، ولغته، وذلك لما يعرفه هذا العصر من انفجار للمعرفة وثورة للمعلومات.

ولقد ترتّب عن هذا الوضع ظهور ما يسمى (لغة الإعلام) فتأثّرت اللغة العربية الفصحى بخصوصيات هذه اللغة، إذ وقع تداخل بين اللّغتين الفصيحة والعامية، وتولّدت عنه مستوى لغوي وسيط يعرف بـ (الفصحى المعاصرة) ويقول الأستاذ (شوقي ضيف) في هذا الصدد: "ولا نتقدم بعد منتصف القرن الماضي طويلا حتّى تتكاثر عندنا الصحف، وحتّى تنشأ معها لغة ثالثة وسطى بين الفصيحة والعامية، لغة فصيحة مبسطة، لا تنزل إلى مستوى الابتذال العامي، ولا تعلو على العامية بحيث يفهمونها دون أي عسر أو مشقّة، لغة بسيطة سهلة يخاطبون بها طبقات الأمة، ولا تميز بين

طبقة وطبقة"[1] نظرا إلى التأثير العميق الذي تمارسه وسائل الإعلام في اللغة والمجتمع، فإن اللغة العربية والإعلام يشكّلان ظاهرة لغوية جديرة بالتأمل والدراسة، وهي ذات مظهرين[2]:

- **أولهما:** أن اللغة العربية انتشرت وتوسع نطاق امتدادها وإشعاعها إلى أبعد المدى، وكان للصحافة دور في تكوين العديد من الكلمات الجديدة، وجعلت الكلمات القديمة تؤدي دلالات مستحدثة تتطلّبها الحياة الحديثة، وهذا مظهر إيجابي باعتبار أن مكانة اللغة العربية قد تعززت وزاد الإقبال عليها.

- **ثانيهما**: ويتمثّل في شيوع الخطأ في اللغة وفشو اللّحن على ألسنة الناطقين بها، والتداول الواسع للتراكيب والصيغ والأساليب التي – في أغلب الأحيان- لا تمتّ بصلة إلى الفصحى، والتي تفرض نفسها على الحياة الثقافية والأدبية والإعلامية، فيقتدى بها، وينسج على منوالها على حساب الفصحى التي تتوالى وتنعزل إلاّ في حالات استثنائية، وبذلك تصبح اللغة الهجينة هي القاعـدة واللغة الفصحى هي الاستثناء، وهذا مظهر سلبي للظاهرة. فلغة الإعلام لا تستقر على حال، بل هي في تطور مطّرد لا يكون دائما في خدمة اللغة، ولكن يجب أن نضع في الحسبان أن هناك قسمين من لغة الإعلام: القسم الأول "وهي اللغة المستخدمة في الصحف والمجلاّت والروايات، ويجب أن تكون لغة فصحى، وفيها يجب أن تُحترم خصائص اللغة مهما كان الوضع، وهذه مهمة الإعلامي في المقام الأول، فلا نتسامح في الأخطاء المخلّة بالنظام اللّغوي"[3] والقسم الثاني ما يتعلّق بـ"لغة التلفاز التي تمس كلّ طبقات الجماهير، وهي أن تكون لغتها مبسطة بعيدة عن التقعير اللّغوي"[4] ولتجاوز هذه السلبية، ويكون الإعلام في خدمة اللغة العربية دائما، ويطغى تأثيره الإيجابي، لابد أن تواكب الجهود التي تبذل على مستوى مجامع اللغة العربية في الوطن العربي، وعلى مستويات أخرى في أقسام اللغة العربية بالجامعات العربية في بحوثهم، التطور الذي تعرفه اللغة بحكم تأثير وسائل الإعلام فيها، وذلك بدراسة مختلف التقلبات الطارئة على اللغة والتعريف بها، ونشرها

---

[1]- شوقي ضيف "بين الفصحى والعامية" مجلّة مجمع اللغة العربية المصري، القاهرة: 2000، مجمع اللغة العربية العدد89، ص44.

[2]- عبد العزيز بن عثمان التويجري، مستقبل اللغة العربية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إسيسكو، 2010، ص48.

[3]- صالح بلعيد، مقالات لغوية، دط. الجزائر: 2004، دار هومه، ص168-169.

[4]- نفسه، ص169.

لتخرج من الكمون إلى الفعل، "وإعداد برنامج تلفازي يرصد الأخطاء الكبيرة للصحافة، ويعمل على تصحيحها"[1] حتى تقوم العلاقة بين اللغة والإعلام على أساس سليم، فيتبادلان التأثير في اعتدال وفي حدود معقولة، فلا يطغي طرف على آخر، وتبقى اللغة محتفظة بشخصيتها، ويظلّ الإعلام يؤدي وظيفته في التنوير، والتثقيف، والترفيه النظيف.

وللحفاظ على سلامة اللّغة أمام الركب الحضاري السريع، لابد أن نفتح المجال أمام التنمية اللغوية التي يعاد فيها الاعتبار للّغة العربية الفصحى، والتنمية اللغوية جزء لا يتجزأ من التنمية البشرية والاقتصادية، والصناعية، والعلمية، والثقافية، "والتنمية اللغوية عملية واعية هادفة إلى إحداث تغير محدود منشود، وليست مجرد رصد لتغيرات لغوية، وتعد التنمية اللّغوية ضرورة دائمة، فالحياة متغيرة ومن ثم يتطلّب التعبير عنها توسيعا متجددا لمفرداتها"[2] وللتنمية سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية، أم ثقافية، قواعد وضوابط ومعايير وأهداف، فكذلك هي التنمية اللغوية التي لن يتحقّق الغرض منها ما لم تتوفّر لها الشروط، ونسوق هنا كلاما للأستاذ (عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام لإيسيسكو) في كتابه (مستقبل اللغة العربية) حدد فيه هذه الشروط في ثلاثة نقاط[3]:

1. أن تلتزم اللغة القواعد، والأبنية، والتراكيب، والمقاييس المعتمدة التي بها تكتسب الصحة والسلامة في غير ما تزمت أو تقعر أو انغلاق، مع مراعاة المرونة والتكيف مع المستجدات التعبيرية ولكنّها تحافظ على طبيعتها وأصالتها.

2. أن تفي اللغة بحاجات المجتمع، وأن ترتقي إلى المستويات الرفيعة لشتّى ألوان التعبير، بحيث تكون لغة متطورة مسايرة لعصرها، مندمجة في محيطها، معبرة عن ثقافة المجتمع، ونهضته، وتطوره مواكبة لأحواله.

3. أن يحتفظ بمساحات معقولة بين لغة الخطاب اليومي عبر وسائل الإعلام جميعا، وبين لغة الفكر والأدب والإبداع في مجالاتها، حيث يكون هناك المثل الأعلى في استعمال اللغة، يتطلّع إليه المتحدثون والكتّاب، على اختلاف طبقاتهم، ويسعون إلى الاقتداء به، ويجتهدون للارتفاع إليه، وهذه الشروط

---

[1] - صالح بلعيد، اللغة العربية العلمية، دط. الجزائر: 2003، دار هومه، ص140.

[2] - محمود فهمي حجازي "اللغة العربية في القرن الواحد والعشرين" مجلة مجمع اللغة العربية السوري، دمشق: 1998 مجمع اللغة العربية بدمشق، العدد 73، ص450.

[3] - عبد العزيز بن عثمان التويجري، مستقبل اللغة العربية، ص49.

الثلاثة تتمثل في الفصحى المعاصر التي تجري على سنن اللغات، فتراكيبها، وصيغها جميعا لا تستعصي على التطور، فهي في حركة مستمرة، وتطور سريع، بفعل التغيرات التي تحيط بها.

هذا الحراك الدائم يؤدي إلى تكوين مفردات، ومصطلحات، وتعبيرات لغوية جديدة، منها ما يكون من اللّغة ذاتها، يستنبطه أبناؤها، أو يكون مقترضا من لغات أخرى مما يثريها وينميها، فيعطي الناطقين بها مجالا وقدرة أكبر على التعبير، ويرى (شوقي ضيف) أن "الفصحى المعاصرة هي خلاصة التطور الذي عرفته اللغة العربية في هذا العصر، وهي اللغة الوسطى التي هي أعلى مستوى وأرفع مقاما من اللغة السيارة، فهي لغة عربية تحافظ على خصائصها ومميزاتها وتراكيبها وصيغها ولكنها لغة عربية معاصرة بكل ما في المعاصرة من دلالات"[1] ولذلك كانت - يضيف- الفصحى المعاصرة "تعيش مرحلة خصبة من جميع الوجوه، إذ وسعت مضامين شتّى من العلوم والآداب ونفذت إلى أسلوب ميسر مبسط، من شأنه أن يساعدها على انتشارها في جميع الألسنة، وقد ظهرت بفنون كانت خاصة بالعامية"[2] فهي لغة لا تنفصل عن الماضي، ولا تتنكّر للتراث اللغوي، فهي لغة الحاضر والمستقبل.

ويصل الأستاذ (التويجري) في اجتهاده حول مستقبل اللغة العربية في ظلّ العولمة، إلى أن الفصحى المعاصرة هي "الأمل في تطور اللغة العربية تطورا سليما في هذه المرحلة التي تهاجم فيها الهوية الثقافية، والخصوصية الحضارية للأمم والشعوب، فهي لغة الإعلام، والفكر، والثقافة، والإدارة الدبلوماسية"[3] ويرى أن هذا المصطلح الجديد (الفصحى المعاصرة) يعني معان كثيرة منها ربط الفصحى بالمعاصرة، بما سيلزمه ذلك من الانخراط في العصر، والاندماج في تحولاته، وفي حديثه عن أولئك المتمسكين بالفصحى التراثية، ونبذهم لكلّ تغير يحدث على اللغة العربية الفصحى، فإن التغير يحدث لا محالة إذ يقول: "فككلّ التحولات الكبرى في التاريخ، سوف نضطرب خلال مراحل تحول القيم والموازين، وأنماط السلوك، وسوف يقارن الإنسان التغير، ويدافع بحكم الاعتياد إلى أن

[1] - شوقي ضيف، في التراث والشعر واللغة، دط. القاهرة: 1987، دار المعارف، ص242.

[2] - نفسه، ص242.

[3] - عبد العزيز بن عثمان التويجري، مستقبل اللغة العربية، ص50.

يستقر الجديد، وتثبت فعاليته وجدواه"[1] وفي الأخير قدم بعض التوصيات والاقتراحات، وهي في أربعة نقاط[2]:

1. التعامل مع اللغة على أساس أنّها كائن حي قابل للتطور وفق ما يقرره أبناء اللغة، ويأتي من إدارة الناطقين بها.

2. إحكام العلاقة بين عملية تطوير اللغة وإصلاحها وتحسنها وتجديدها، وبين المتغيرات التي تعيشها المجتمعات العربية.

3. الانفتاح على المستجدات في العالم، خاصة في مجال العوم، والثقافة، والمعلوميات، وعلم اللغة الحديث بكلّ تفريعاته، والحقول البحثية المرتبطة به، والسعي إلى الاقتباس والنقل، والاستفادة الواسعة من نتائج هذه العلوم جميعا في إغناء اللّغة العربية، وربطها بحركة الفكر الإنساني.

4. الاهتمام بالجانب القانوني والتشريعي في عملية التطوير، من خلال وضع قوانين تصادق عليها الجهات المختصة في الدولة لفرض هيبة اللغة، وإلزام أفراد المجتمع باحترامها، فاللغة العربية لا ترقى بالمدح والمبالغة فيه، ولكنّها ترقى بجهود أبنائها في العلم، والحضارة والإنتاج، والمعاصرة ضرورة في كلّ المجالات بما فيها اللغوية، "والأبحاث العلمية والتربوية واللسانية تثبت أن المستوى الثالث (الفصحى المعاصرة) يمكن تحقيقه، ويكون حبل النجاة للفصحى وقد يلحقها في لاحق من الزمان إلى عصورها الزهراء"[3] ويكون ذلك إذا أحسنّا الظن بالفصحى المعاصرة، ولم نتخوف منها، وكما سبق أن ذكرنا فإن التقريب بين المستويات اللغوية مرهون بانخفاض نسبة الأمية في المجتمع، ورفع المستوى الثقافي واللغوي معا.

وقبل الحديث عن إمكانية اقتراح بديل يحل إشكال البعد عن الفصحى التي لا تنتمي إلى واقع الحياة المعاصرة، والعامية التي يخشى أن تحل محل اللغة المثالية، والتي هي صورة مشوهة لها نرى أن نقدم النتائج التي بدت لنا من خلال الحديث عن المستويات اللغوية (الفصل الثالث، والرابع) وهي:

- التقريب بين المستويات اللغوية هو المنهج الأمثل لتصحيح المسار اللغوي.

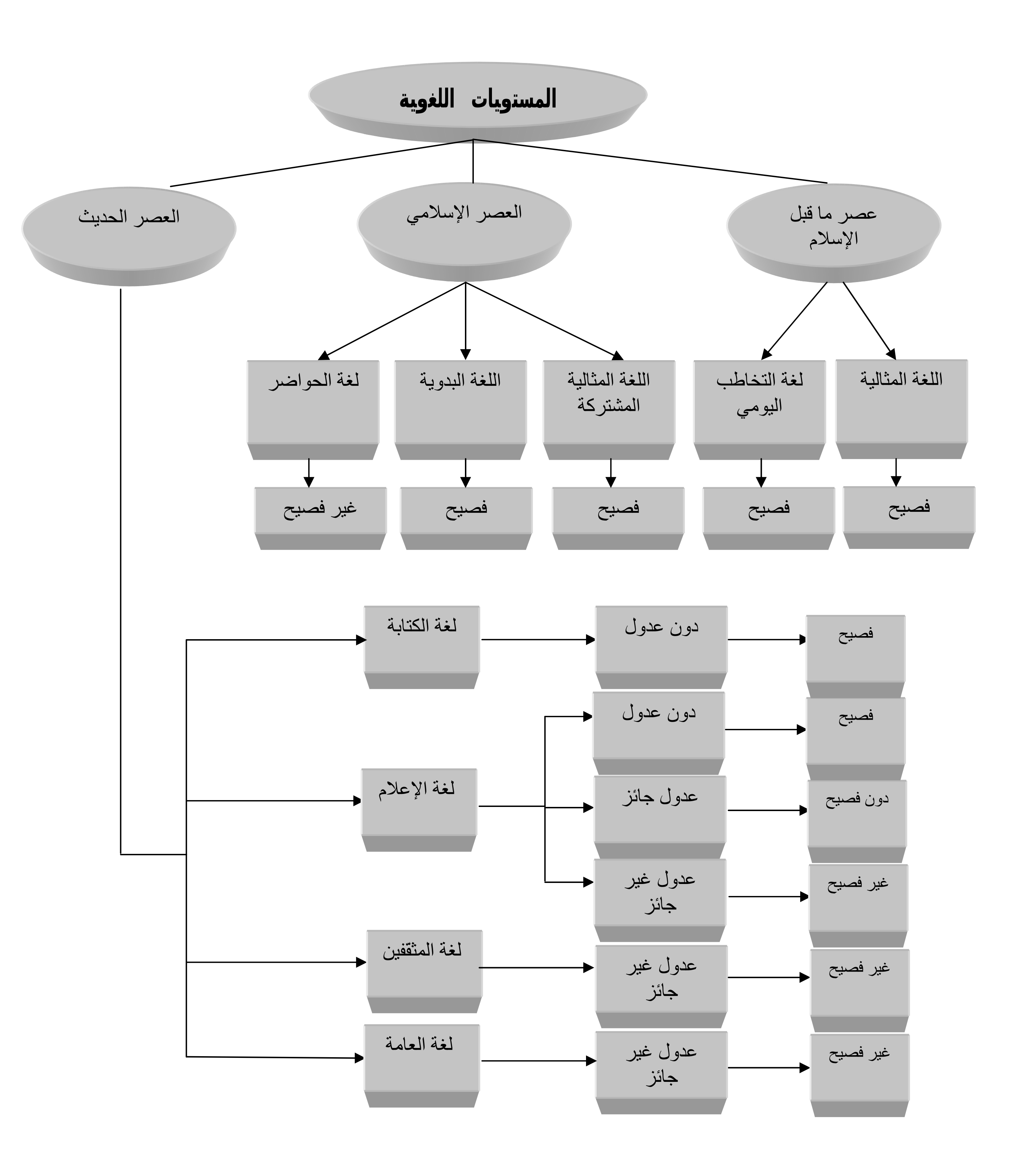
---

[1] - عبد العزيز بن عثمان التويجري، مستقبل اللغة العربية، ص51.

[2] - نفسه، ص51.

[3] - صالح بلعيد "الفصحى المعاصرة طعنة أم ضرورة" ص180.

- نميز في العصر ما قبل الإسلام مستويين تعبيريين فصيحين، يتمثّل الأول في اللغة المثالية المشتركة ويتمثّل الثاني في لغة التخاطب اليومي.
- أما في العصر الإسلامي فكان استعمال اللغة العربية مجسدا بمستويات ثلاثة، يمثّل الأول اللغة المثالية المشتركة، وهو مستوى فصيح يتمثّل بلغة الشعر والخطب والأدب عامة، ويمثّل الثاني اللغة البدوية التي كانت تستعمل في البوادي، وهو مستوى فصيح، إلاّ أن فيه اختلافا في نطق بعض الأصوات، واختلاف اللكنة، ويمثّل الثالث لغة الحواضر الذي يستعمل في التجمعات السكّانية الكبيرة يختلف عن الأول والثاني كونه تشيع فيه الألفاظ الأجنبية، وكذا اللحن، وهذا لا يعتبر فصيحا بمنظور اللغويين العرب القدامى.
- أما في العصر الحديث، فيمكن تمييز أربعة مستويات، يتمثّل الأول في الفصيح الذي نجده في المكتوب، والثاني يتمثّل في لغة الإعلام التي هي أقرب إلى الفصيح وأبعد عن العامي، دون الحديث عما فيها من عدول، أحيانا يكون جائزا مسايرا لمبدأ التطور اللغوي، وأحيانا أخرى يكون غير جائز وهو وقوع في اللحن، والثالث يتمثّل في لغة المثقّفين، وهو مستوى أقرب إلى العامي منه إلى الفصيح، والرابع يتمثّل في المستوى العامي البعيد عن الفصيح، ونلخص كل ذلك في الشكل الآتي:


المستويات اللغوية
العصر الحديث
العصر الإسلامي
عصر ما قبل الإسلام
لغة الحواضر
اللغة البدوية
اللغة المثالية المشتركة
لغة التخاطب اليومي
اللغة المثالية
غير فصيح
فصيح
فصيح
فصيح
فصيح
لغة الكتابة
دون عدول
فصيح
دون عدول
فصيح
لغة الإعلام
عدول جائز
دون فصيح
عدول غير جائز
غير فصيح
لغة المثقفين
عدول غير جائز
غير فصيح
لغة العامة
عدول غير جائز
غير فصيح

البديل:

لا تقاس صلاحية اللغة بحسب التقدم أو التأخّر في الزمان، أو الرقي أو التأخّر في الحضـارة، فلا يوجد مقياس لذلك، بل تقاس اللغة بحسب قدرتها على أداء دورها الاجتماعي بين من ينطقونها، إذ تستجيب للتعبير عن تجاربهم، ومظاهر حياتهم، وتحقيق الاتّصال والتفاهم بينهم، بحيث تعتبر نافذة يطلّون من خلالها على مستجدات العصر، فإذا تمسكنا باللغة العربية الفصحى بمستواها (الترتيلي) نجدها تؤدي دورها في الكتابة فحسب، فمن العسير أن نتواصل بها في شؤوننا اليومية العادية، فهي غير متيسرة للكثيرين من أبناء الشعب العربي، هذا من جانب، ومن جانب آخر، لابد لأي لغة كانت أن تساير وتواكب العصر في تغيراته، وإلاّ بقيت وليدة بيئتها، يتقوقع مستعملوها وينغلقون على أنفسهم وأما التمسك بالمستوى العامي، فالعامية عاميات، وهي في تغير مطرد، وتختلف من بيئة إلى أخرى ولا تصلح للكتابة، إذ ليس لها نظام لغوي محدد يعتد به، و بغض النظر عن المصطلحات الدخيلة التي لا تخضع لمقاييس اللغة العربية، فهو مستوى لغوي هجين لا يمكن اعتماده لغة تتخاطب بها الأمة بكلّ فئاتها وطبقاتها، في كلّ قطر من أقطارها، (فالفصحى المخفّفة) ولقد تحدث عنها الأستاذ (محمد كامل حسين) في كتابه (اللغة العربية المعاصرة[1]) قد تكون وسطا بين العربية الفصحى العالية واللغة العامية الدارجة، التي يمكن أن تحتلّ المقام الأوّل في جميع الممارسات الثقافية و**التعليمية،** فيمكن لهذا المستوى أن يكون البديل والحلّ للأزمة التي تواجهها اللغة العربية، ذلك المستوى اللغوي الذي يقف وسطا بين الفصحى والعامية، يجيده الخاصة ولا تعجز عنه العامة، لكن دون تجاهل الإعراب والقواعد النحوية وهذا المستوى يجمع بين التخفيف الذي أجازته العرب، والعدول الجائز الذي أحدثته لغة الإعلام، ومن خصائصه:

- التخفيف بكلّ أشكاله، والإبدال، والإضمار، والإدغام و ذلك ما استعملته العرب في زمان الفصاحة في خطابها العفوي.
- استعمال الألفاظ المستحدثة بطرائق التوليد المختلفة.
- استعمال الأساليب الدخيلة التي لا تخرج عن النظام اللغوي العربي.
- العدول الجائز الذي جاءت به لغة الإعلام.

[1]- محمد كامل حسن، اللغة العربية المعاصرة، ص5.

وللتخلّص من الضعف اللغوي و التقريب بين المستويات اللغوية، لابد من اتّخاذ تدابير محددة تهدف إلى غرس الفصحى المخففة في الأجيال الصاعدة، وذلك ابتداء من الأسرة، ويكون بتدعيم نشاطات محو الأمية، وتشجيع تعليم اللغة العربية الميسرة الصحيحة للأمهات خاصة، والمبادرة بإصلاح التعليم ووسائل الإعلام (المكتوبة، والسميعة، والسمعية البصرية) وبشكل سريع وجدي، وهذه مجموعة من مقترحات:

أولا: على مستوى التعليم:

- توفير التقنيات السمعية والبصرية الحديثة في تعليم اللغة العربية.
- دعم المعلّم ماديا ومعنويا لأن يؤدي مهمته بحب وقناعة.
- جعل اللغة العربية الفصحى المخففة لغة التعليم، وجعل إتقان الفصحى شرطا في كلّ تعيين بهذه المهنة.
- وضع قواعد للّغة العربية المنطوقة تراعي فيها الرخَص التي تتيحها مواقف الخطاب الشفوي[1].
- توفير الكتب والقواميس بصفة مجانية.
- إعادة الاعتبار للنشاطات المدرسية من صحافة وإذاعة ومسرح.

ثانيا: على مستوى البحوث العلمية:

- البحث المعمق للتعبير الشفاهي الفصيح من خلال ما تركه لنا العلماء الذين شافهوا فصحاء العرب، ثم استخراج الأنماط الأدائية لهذا المستوى[2].
- تعميم سلسة من البحوث والندوات حول اللغة العربية الفصحى، تناقش مظاهر التباين بين اللهجات العربية وما يؤدي إليه التباين من التنافر وسوء التفاهم.

ثالثا: على مستوى وسائل الإعلام:

- عدم بث أي حصة إذاعية أو تليفزيونية إلاّ بالعربية الفصحى.

---

[1]- نهاد الموسى، ثنائيات في قضايا اللغة العربية، ص136-137.

[2]- عبد الرحمان حاج صالح"اللغة العربية بين المشافهة والتحرير" ص 130.

- إعداد العاملين في التلفزيون والإذاعة إعدادا لغويا مستقيما وصحيحا لعلاج ما يبدو من تحريف في نطق بعض الحروف على ألسنتهم، ومن أخطاء في ضبط بعض الكلمات.
- إنتاج سلسلة من البرامج التي تجعل الحياة اليومية مادة لها، وتجعل اللغة العربية الفصحى لغة للتعبير عنها، حتى تأخذ الفصحى مكانها في الاستعمال الحي.
- إنتاج برامج لتعليم اللغة العربية للمبتدئين.
- إنتاج زمرا من الأغاني والأناشيد المناسبة للأطفال باللغة العربية الفصحى، واستبعاد العامية عنها.
- تنظيم دورات تدريبية للمذيعين، وكلّ الذين يشافهون الجمهور من خلال الإذاعة والتلفزيون وتدريبهم على التمييز بين الأداء (الترتيلي) الذي يلزمه المقام كنشرة الأخبار والندوات والمحاضرات، والأداء (الاسترسالي) الذي يجب أن تكون عليه الموائد المستديرة والمناقشات غير الأكاديمية، وكذلك لغة المسرح والأفلام التي تمثل واقع الحياة وغيرها[1].
- التكثيف من لقاءات متواصلة وندوات متكررة "تجمع بين الدوائر الإعلامية والدوائر التعليمية تناقش فيها، أو من خلالها مختلف المستجدات على الساحة اللغوية العربية، خاصة ما يتعلق بتطوير المعجم الإعلامي الفصيح"[2] فالتعليم يعد حجر الزاوية في رفع المستوى اللغوي والثقافي لدى الشعوب وبه يرتفع وعيها القومي.

---

[1]- عبد الرحمان حاج صالح"اللغة العربية بين المشافهة والتحرير" ، ص 133.

[2]- أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة ،دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى، ص212.

خاتـمة: يظهر بعد هذا كلّه أن اللغة في حركية دائمة، يطرأ عليها تغير في بعض جوانبها، ولا شك أن وراء ذلك أسبابا، وعليه فلابد أن نميز بين هذه الأسباب، ونذكر في هذا المقام سببين اثنين:

- قد يكون وراء هذه التغيرات الحادثة على كافّة مستويات اللغة، نحوها، وصرفها، ومعجمها وصوتها، وحتّى الجانب الدلالي منها، اللحن الذي لا يسلم منه جانب من جوانب اللغة، بما في ذلك مسائلها الجوهرية، وخصوصياتها.
- قد يكون ما يطرأ على اللغة من تغير، لا سيما حين لا يشمل جوانب اللغة ومستوياتها كافّة من ذلك النظام اللغوي، وهذا يكون عادة بفعل سنّة التطور التي تطرأ على اللغة.

فإن التطور اللغوي، الذي يصيب اللغة، لافي جوهرها الصرفي والنحوي، بل في بعض دلالات ألفاظها، وربما يصيب الجانب الصوتي أيضا، وهو استجابة اللغة لمتطلّبات جديدة، كالحاجة إلى مصطلحات علمية تقنية أو حضارية، أما اللحن فهو خروج عن نظام اللغة، وهدم لكيانها، ومساس بجوهرها الذي أسست عليه، ويحمل جملة خصائصها، وهو تطور غير جائز، والتصدي له عمل علمي، وهذا ما قصده علماء العربية الأولون، لأنّنا إذا سلّمنا بكون اللحن تطورا طبيعيا للغة، فإنّنا نعتبر اللهجات العامية اليوم لغات فصيحة، كما هو الواقع بالنسبة للغة اللاتينية التي نمت على أنقاضها لغات لا صلة لها بها.

ربما هذه المسائل تكون ذات العلاقة بقضية المستويات اللغوية التي تناولتها في هذا البحث، والتي توصلت من خلالها إلى جملة من النتائج التي يمكن حصرها في ما يلي:

- أن اللغة العربية لم تكن على هذه الصورة التي نعرفها اليوم، بل عرفت تغيرا عبر مراحل مختلفة منذ نشأتها.
- أن اللغة لما تنتشر ويكثر المتكلّمون بها، تتفرع إلى لهجات ويستحيل حفاظها على وحدتها.
- أن اللغة العربية عرفت الثنائية اللغوية منذ العصر الجاهلي، ولم يكن استعمالها متجانسا، بل كان مراع للمواقف والمقامات.
- أن استعمال اللغة العربية كلّما ابتعدنا عن عصر الفصاحة، ظهرت مستويات لغوية مختلفة من حيث بعدها عن المستوى الفصيح.
- أن النحو نشأ لغرض تعليمي بحت، واهتم النحويون بمستوى لغوي واحدة وهو المكتوب.

- أن في كلّ لغة مستويين تعبيرين (مستوى فصيح بجانبه مستوى أخف منه) يستعملان حسب ما يقتضيه المقام.
- أن لغة الحديث تختلف عن لغة الكتابة في كلّ اللغات.
- أن لغة الحديث أسهل وأقرب إلى التحول والتغير من لغة الكتابة.
- أن الألفاظ في العامية معظمها فصيحة الأصل، إلاّ أنّها محرفة في أصواتها وبنيتها.
- أن وسائل الإعلام بأنواعها لها تأثير سلبي أو إيجابي على اللغة إذ تسهم في الحفاظ على نقائها كما تسهم في اضمحلالها.
- أن لغة الإعلام فيها عدول جائز لا يمس جوهر اللغة .
- أن أكثر المجامع اللغوية لا تهتم بالعاميات، مع الإشارة إلى قلّة المصطلح العلمي، وبطء إنتاجها.
- أن تحسين المستوى اللغوي مقترن بتحسين الظروف الاجتماعية، ورفع المستوى الثقافي.
- أن مسار العامية يبتعد عن ثوابت الفصحى كلّما غصت الأمة في الجهل والأمية، فبالتعليم يتحسن المستوى اللغوي للفرد.
- أن الفصحى المخففة لغة لا تنفصل عن الماضي، ولا تتنكّر للتراث اللغوي، وتساير مستجدات العصر، فهي لغة الحاضر والمستقبل.
- أن التقريب بين المستويات اللغوية منهج أمثل لتصحيح المسار اللغوي.
- أن المستوى الوسيط، أو الفصحى المخففة، يمكن أن يكون البديل والحلّ لأزمة اللغة العربية في العصر الراهن.

وفيما يلي بعض الاقتراحات للنهوض باللغة العربية:

- تشجيع العلماء والباحثين وتحفيزهم ماديا ومعنويا قصد دفعهم نحو الإبداع والإنتاج.
- استخدام اللغة العربية في كلّ أسلاك التعليم، وإعادة الثقة في قدرتها، والوعي بأهميتها.
- ضرورة القيام بإصلاح بيداغوجي وديدكتيكي حقيقي يرفع من قيمة اللغة العربية من خلال إعادة النظر في أساليب تدريسها ومقرراتها ومناهجها.
- الاستفادة من التقنيات الحديثة في مجال تعليم اللغات، لأن اللغة ظاهرة منطوقة مسموعة، ومن ثم فإن تقديم المادة اللغوية من خلال التقنيات السمعية والبصرية يجعل استيعابها أسهل وأيسر.
- تفعيل دور المجامع اللغوية العربية، والمؤسسات الساهرة على الحفاظ على اللغة العربية لإيجاد المصطلح العلمي.

- تفعيل دور وسائل الإعلام لخدمة اللغة العربية وتطويرها، وجعلها لغة التداول والحوار.
- أن تكون هناك إرادة سياسية حقيقية فاعلة في تنفيذ التوصيات، وترجمة المقررات والمقترحات التي تخص تنمية اللغة العربية وتطويرها ودعمها في الواقع العملي والإجرائي، لتستجيب لكلّ مستجدات التطور العلمي والتكنولوجي، تلك التوصيات التي تخرج بها الملتقيات العلمية، كي لا تكون مجرد شعارات، وحبرا على ورق.

فاللغة العربية ليست ضيقة، ولا عاجزة عن مواكبة نتائج العلم، بل هي صالحة للتدريس العلمي والتقني، بفضل اتّساع طاقتها المعجمية مقارنة مع اللغات الأجنبية، ومن المزايا الإيجابية للّغة العربية أنّها تستفيد من طرائق التوليد والاشتقاق بكلّ أنواعها، ومن التعريب وكلّ هذا يساعدها على الانفتاح والاستفادة من لغات العالم.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم رواية ورش.

1- المـعاجم:

1. أبو إسماعيل بن حماد الجوهري، تاج اللغة وصحاح العربية، ط1. بيروت: 1999، دار الكتب العلمية.
2. أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور، لسـان العرب، ط1. بيروت: 1990 دار الصادر.
3. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، رجعه: عبد الوهاب السيد عوض ا ، محمد عبد العزيز القلماوي، 1985، شركة الإعلانات الشرقية.
4. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ط1. بيروت: 1979، دار الكتاب العربي.
5. محمد مرتضى بن محمد الحسين الزبيدي، تاريخ العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، سيد محمد محمود، ط1. بيروت: 2007، دار الكتب العلمية.

2- المصادر والمراجع:

1- إبراهيم عبود السمرائي، المفيد في المدارس النحوية، ط1. عمان: 2007، دار المسيرة.

2- أبو إسحاق الزجاج، ما ينصرف وما لا ينصرف، دط. القاهرة: 1991.

3- أبو البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري، نزهة الألـباء في طبقات الأدباء تحقيق: إبراهيم السمرائي، ط3. الأردن: 1985، مكتبة المنار.

4- أبو الطيب اللغوي، مراتب النحويين، تحقيق: أبي فضل إبراهيم، ط2. الكويت: 1974، دار الفكر العربي.

5- أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، ط3. القاهرة:1987، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1.

6- أبو فيداء إسماعيل بن كثير، السيرة النبوية، تح: مصطفى عبد الواحد، دط. القاهرة: 1964 دار الفكر.

7- أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دط. القاهرة: 1965، دار الفكر العربي.

8- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، شرح: محمد أحمد قاسم، دط. بيروت: 2004 المكتبة العصرية.

9- أحمد أمين، ضحـى الإسلام، أحمد أمين، ط10. بيروت: 1935، دار الكتاب العربي.

10- ــــ، فجر الإسلام، ط1 القاهرة: 1975، مكتبة النهضة المصرية.

11- ــــ، فـجر الإسـلام، ط11. القاهرة: 1995، مكتبة النهضة المصرية.

12- أحمد رحيم هبو، تاريخ العربي قبل الإسلام، ط2. 1981، منشورات جامعة حلب.

13- أحمد رضا، رد العامي على الفصيح، ط2. بيروت: 1981، دار الرائد العربي.

14- أحمد محمد المعتوق، نظرية اللغة الثالثة(دراسة في قضية اللغة العربية الوسطى)، ط1. دار البيضاء: 2005، المركز الثقافي العربي.

15- أحمد مختار عمر، البـحث اللّغوي عند العرب، ط4. القاهرة: دار المعارف، 1982.

16- ــــــــ، العربية الصحيحة، ط2. القاهرة: 1998، عالم الكتب.

17- آمنة إبراهيمي، وضع اللغة العربية بالمغرب وصف ورصد وتخطيط، ط1. الرباط: 2007 زاوية للفن والثقافة

18- أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، ط1. بيروت: 1989، دار الجيل.

19- أوي الحسين احمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم، تح: مصطفى الشويمي، دط. لبنان: 1963، مؤسسة أ.بدران.

20- بكري عبد الكريم، ابن مضاء وموقفه من أصول النحو العربي، دط. الجزائر: 1982، ديوان المطبوعات الجامعية.

21- الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيـان والتبـيين، قدمه وشرحه: علي أبو ملجم، دط. بيروت: 2000، دار ومكتبة الهلال.

22- جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1. القاهرة: 1986، ج، دار الفكر العربي.

23- جورجي زيدان، العرب قبل الإسلام، دط. 1969.

24- _ _ _ _ _ _، تاريخ آداب اللغة العربية، تقديم: إبراهيم صحراوي، دط. لبنان: 1991، دار العلم للملايين.

25- الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير، البـداية والنهاية، حققه ورجعه: محمد محمد تامر، محمد عبد العظيم محمد سعيد محمد، شريف محمد، دط. دب: 2006، ج4.

26-حسن جمعة، اللغة العربية: إرث وارتقاء حياة، دط. دمشق: 2008، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب

27- حلمي خليل، من تاريخ النحو العربي(دراسة ونصوص)، دط. الإسكندرية: 1995، دار المعرفة الجامعية.

28- حنّا الفاخوري، تاريخ الأدب العربي، دط. تونس: 1951، دار الكتب العربية الشرقية.

29- خليل عبد الكريم، قريش من القبيلة إلى الدولة المركزية، ط1. القاهرة: 1993، سينا للنشر.

30- رمضان عبد التواب، لحن العـامة والتـطور اللـغوي، ط2. القاهرة:2000، مكتبة زهراء الشرق.

31- الزجاج أبو القاسم، الإيضـاح في عـلل النحو، تحقيق: مازن مبارك، ط3. بيروت: 1979 دار التفائس.

32- سعيد الأفغاني، من تاريخ النـحو العربي، دط. بيروت: دت، دار الفكر.

33- سمر روح الفيصل، المشـكلة اللـغوية العربية، ط1. لبنان: 1992، دار جروس برس.

34- سيبويه أبو بشر عمر بن عثمان بن قنبر، الكـتاب، مجلد2 و3، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الكتب العلمية ط3. بيروت: 1988.

35- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي)، ط14. القاهرة: 1963، دار المعارف.

36- ــــــــ، تاريخ الأدب العـربي (العصر العباسي الأول)، ط12. القاهرة: 1966، دار المعارف.

37- ــــــــ، المـدارس النـحوية، ط8. القاهرة: 1968، دار المعارف.

38- صالح بلعيد، المـؤسسات العلمـية وقضايا مواكبة العصر في اللغة العربية، دط. الجزائر: 1995، ديوان المطبوعات الجامعية.

39- ــــــــ، اللغة العربية العلمية، دط. الجزائر: 2003، دار هومه.

40- ــــــــ، مقـالات لغـوية، دط. الجزائر: 2004، دار هومه.

41- ــــــــ، في أصـول النـحو، دط. الجزائر: 2005، دار هومه.

42- ــــــــ، منافـحات في اللـغة العربية، دط. الجزائر: 2006، دار الأمل.

43- ــــــــ، في المـواطنة اللـغوية وأشياء أخرى...، دط. الجزائر: 2008، دار هومه.

44- طه حسين، من تاريخ الأدب العربية، تج: علي نصيب عطوي، دط. 1985، مؤسسة عز الدين.

45- عاصم بيطار، النحو والصرف، دط. دمشق: 1982، مطبعة الجاحظ.

46- عباس حسن، النحو الوافي، ط10. القاهرة: دت، ج1، ج2، دار المعارف.

47- عباس سوسوة، العربية في العصر الحديث (قيم الثبوت وقوى التحول)، ط1. عمان: 2007 دار الشروق.

48- عبد الحميد مصطفى السيد، الأفعال في القرآن الكريم(دراسة استقرائية للفعل في القرآن الكريم في جميع قراءاته)، ط1. عمان: 2007، ج1، دار الحامد.

49- عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، دط. الجزائر: 2007 ، موفم للنشر.

50- عبد الرحمان بن خلدون، المـقدمة، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ط2. القاهرة: 1967 مطبعة الرسالة.

51- عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق: محمد جاد المولى بك، محمد أبو الفضل، علي محمد البجاوي، دط. بيروت: دت، دار الفكر، ج1.

52- عبد الصبور شاهين، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي(أبو عمرو بن العلاء)، ط1. القاهرة: 1987، مكتبة الخانجي.

53- عبد العزيز بن عثمان التويجري، مستقبل اللغة العربية، دط. 2010، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة(إسيسكو).

54- عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب (تاريخ العرب قبل الإسلام)، دط. الإسكندرية: 1968، مؤسسة شباب الجامعة.

55- عبد الغفار حامد هلال، أصل العرب ولغتهم بين الحقائق والأباطيل، دط. القاهرة: 1996 دار الفكر العربي.

56- عبد الكريم خليفة، اللـغة العربية والتعريب في العصر الحديث، ط3. عمان: 1986، دار الفرقان.

57- عبد المنعم الدسوقي الجميعي، مجـمع اللغة العـربية (دراسة تاريخية)، دط. القاهرة: 1983، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

58- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الطفل والإنسان، دط. القاهرة: 1971، مكتبة غريب.

59- ـــــــــــــــــ، اللـغة والمـجتمع، دط. القاهرة: 1981، دار نهضة مصر.

60- ـــــــــــــــــ، فقه اللغة، ط2. القاهرة: 2000، دار نهضة مصر.

61- ـــــــــــــــــ، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، دط. القاهرة: دت، مكتبة غريب.

62- عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، دط. الجزائر: 2007، عالم الكتب الحديث.

63- كمال الدين أبو البركات عبد الرحمان بن أبي الوفاء بن عبيد ا الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تقديم: حسن حمد، ط2. بيروت: 2007 دار الكتب العلمية.

64- كمال بشر، اللغة العربية بين الوهم وسوء الفهم، دط. القاهرة: 1999، دار غريب.

65- محمد أسعد النادي، فقه اللـغة (مناهله ومسائله)، ط1. بيروت: 2005، المكتبة العصرية.

66- محمد بن إسحاق النديم، الفهـرست، تحقيق: مصطفى الشويمي، ط1. تونس: 1985، الدار التونسية.

67- محمد حسن عبد العزيز، الوضـع اللغوي في الفصحى المعاصرة، ط1. القاهـرة: 1992 دار الفكر العربي.

68- محمد خير الحلواني، المفصل في تاريخ النحو قبل سيبويه، ط1. بيروت: 1979، مؤسسة الرسالة.

69- محمد زغلول سلام، دراسات أدبية (مدخل إلى الشعر العربي)، دراسة في البيئة والشعـر دط. الإسكندرية: 1995، منشأة المعارف.

70- محمد سعران، علم اللغة، دط. بيروت: دت، دار النهضة العربية.

71- محمد سليمان ياقوت، أصول النحو العربي، دط. الإسكندرية: 2000، دار المعرفة الجامعية.

72- محمد عبد ا عطوات، اللـغة الفصـحى والعامية، دط. بيروت: 2003، دار النهضة العربية.

73- محمد عبد الواحد حجازي، الثقافة العربية ومستقبل الحضارة، ط1. الإسكندرية: دت، دار الوفاء.

74- محمد عيد، المستوى اللغوي للفصحى واللهجات وللنثر والشعر، دط. القاهرة: 1981، عالم الكتب.

75- محمد كامل حسن، اللـغة العربية المعاصـرة، دط. القاهرة: دت، دار المعارف.

76- محمد محمد داود، لغويات محدثة في العربية المعاصرة، دط. القاهرة: 2006، دار غريب.

77- محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية، دط. الكويت: 1973، دار العلم للملايين.

78- ــــــــــــ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دط. القاهرة: 1993، مكتبة غريب.

79- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، دط. بيروت: 19992، ج1، المكتبة العصرية.

80- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط4. بيروت:1984، دار الكتاب العربي.

81- نبيه عقيل، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي، دط. دمشق: 1976، المطبعة الجديدة.

82- نهاد الموسى، قضية التحول إلى الفصحى في العالم العربي، دط. عمان: 1987، دار الفكر.

83- ــــــــــــ، ثنائيات في قضايا اللغة العربية، ط1. عمان: 2003، دار الشروق.

84- ــــــــــــ، قضـية التـحول إلى الفصـــحى، دط. عمان: دت، دار الفكر.

3- الرسـائل:

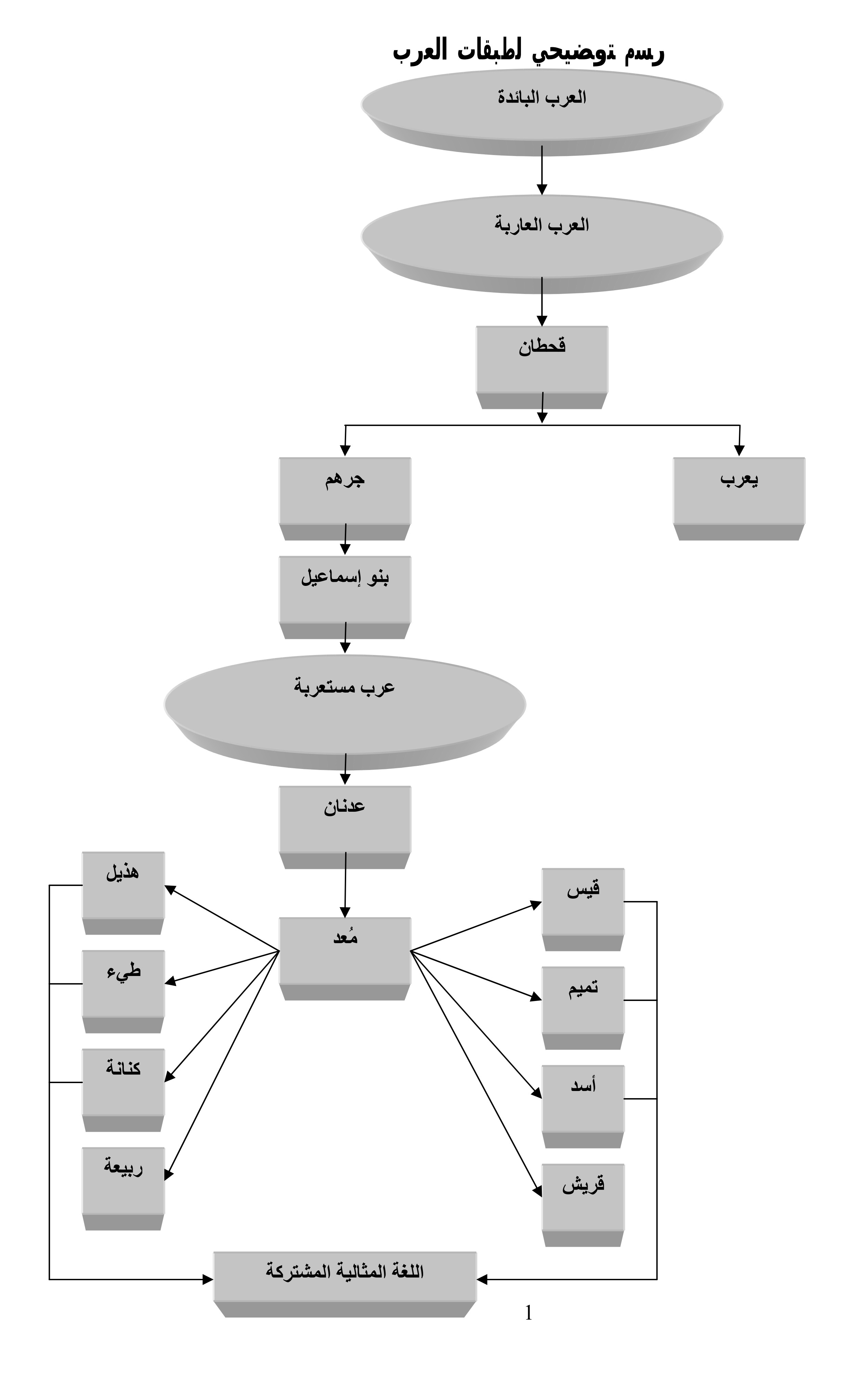
- كريمة أوشيش، التداخل اللغوي في اللّغة العربية (تدخل العامية في الفصحى لدى تلاميذ الطور الثالث من التعليم الأساسي)، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في علوم اللسان والتبليغ اللّغوي الجزائر: 2002.

4- المـجلات:

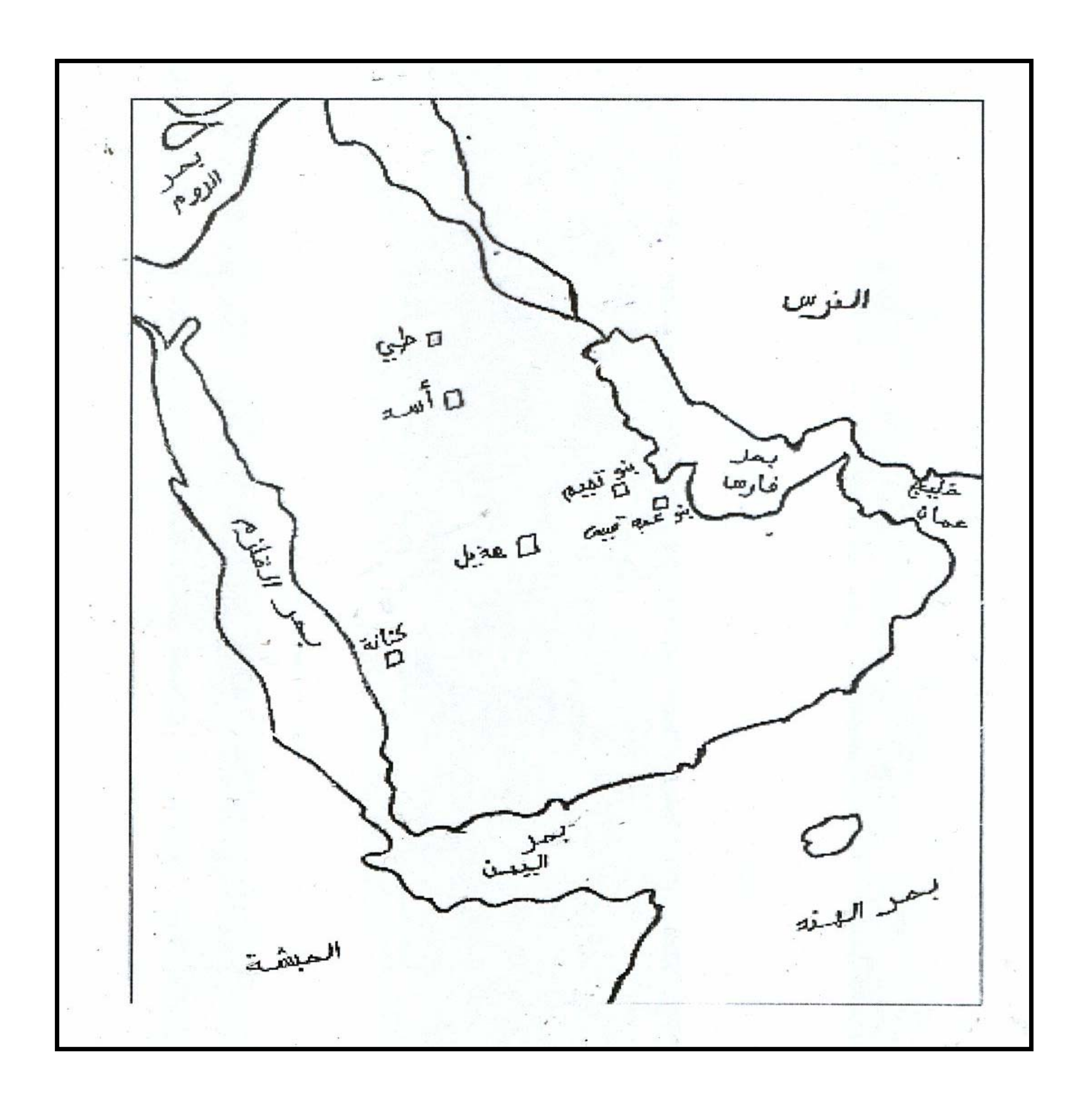
- مجلة البلاغ، السنة الأولى، العدد8.
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 1953، العدد7.
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 1978، العدد41.
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 1990، العدد66.
- مجلة مجمع اللغة العربية الأردني: 1993، العدد المزدوج42-43.
- مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: 1998، العدد73.
- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: 2000، العدد 89.
- مجلة المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر: 2009، عدد خاص.
- مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، الجزائر: 2005، العدد1.

الملاحق

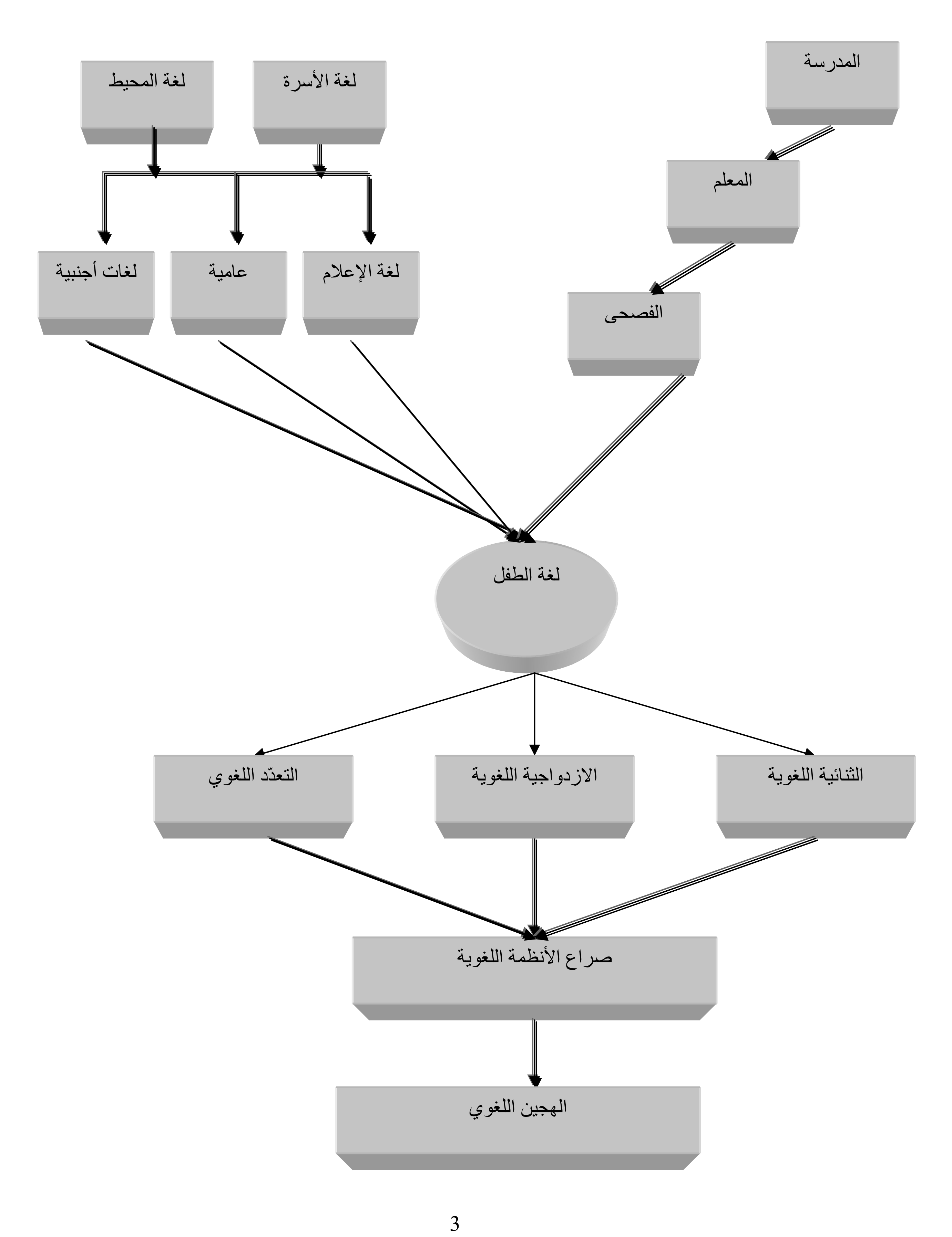
رسم توضيحي لطبقات العرب



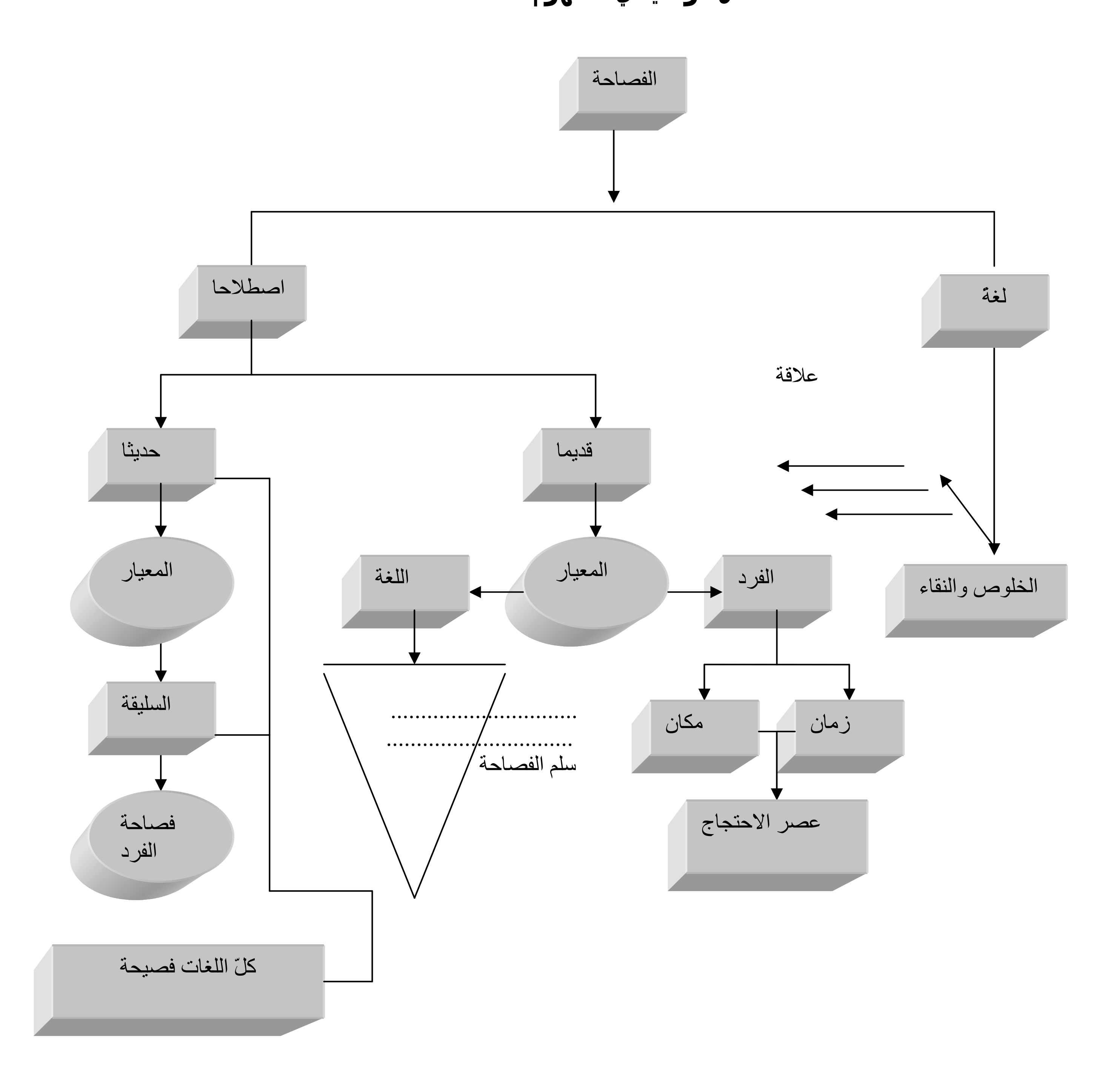
خارطة القبائل التي أخذت عنها اللغة في عصر التقعيد النحوي العربي



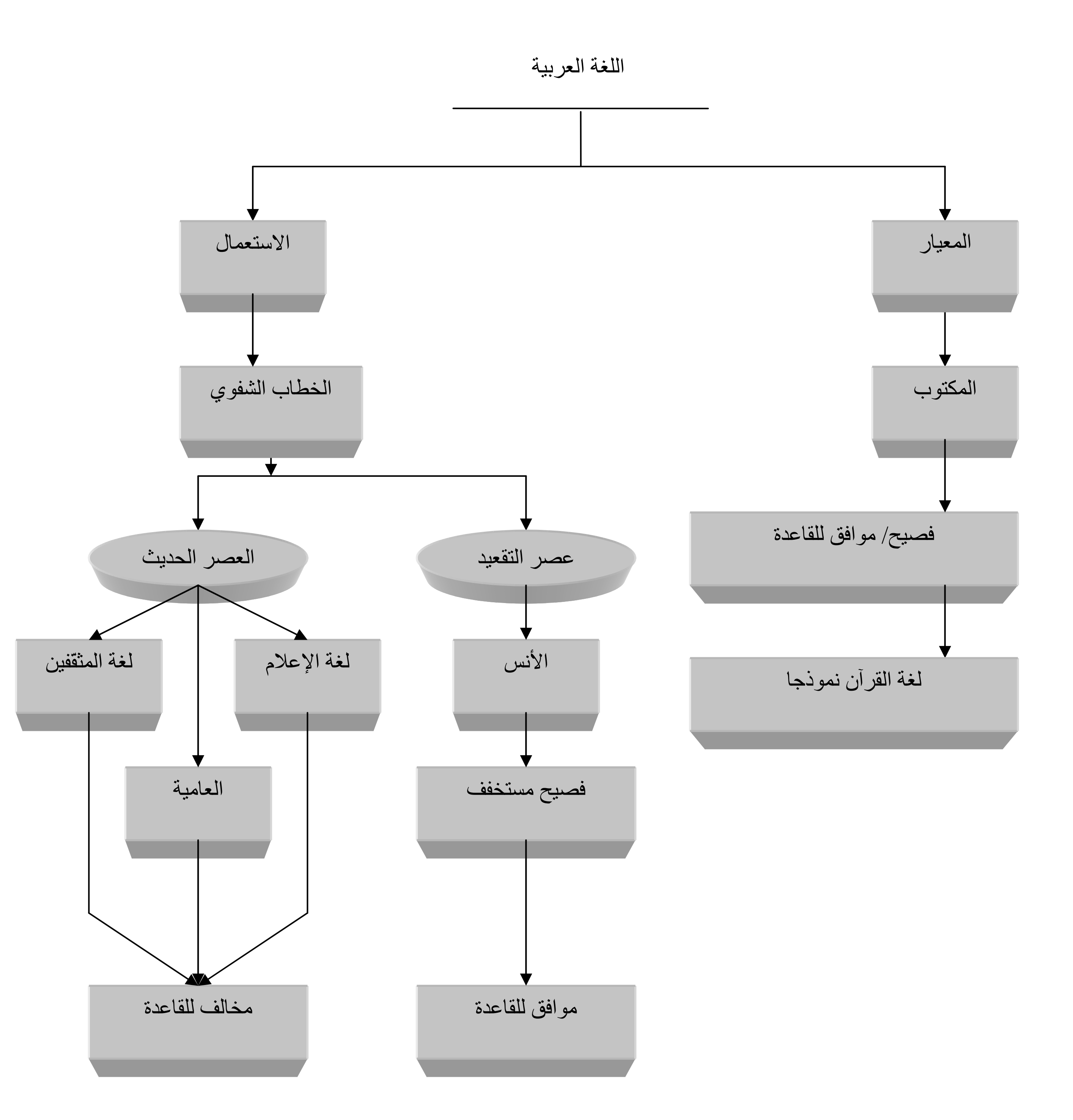
رسم بياني لواقع استعمال اللغة العربية في العصر الحديث



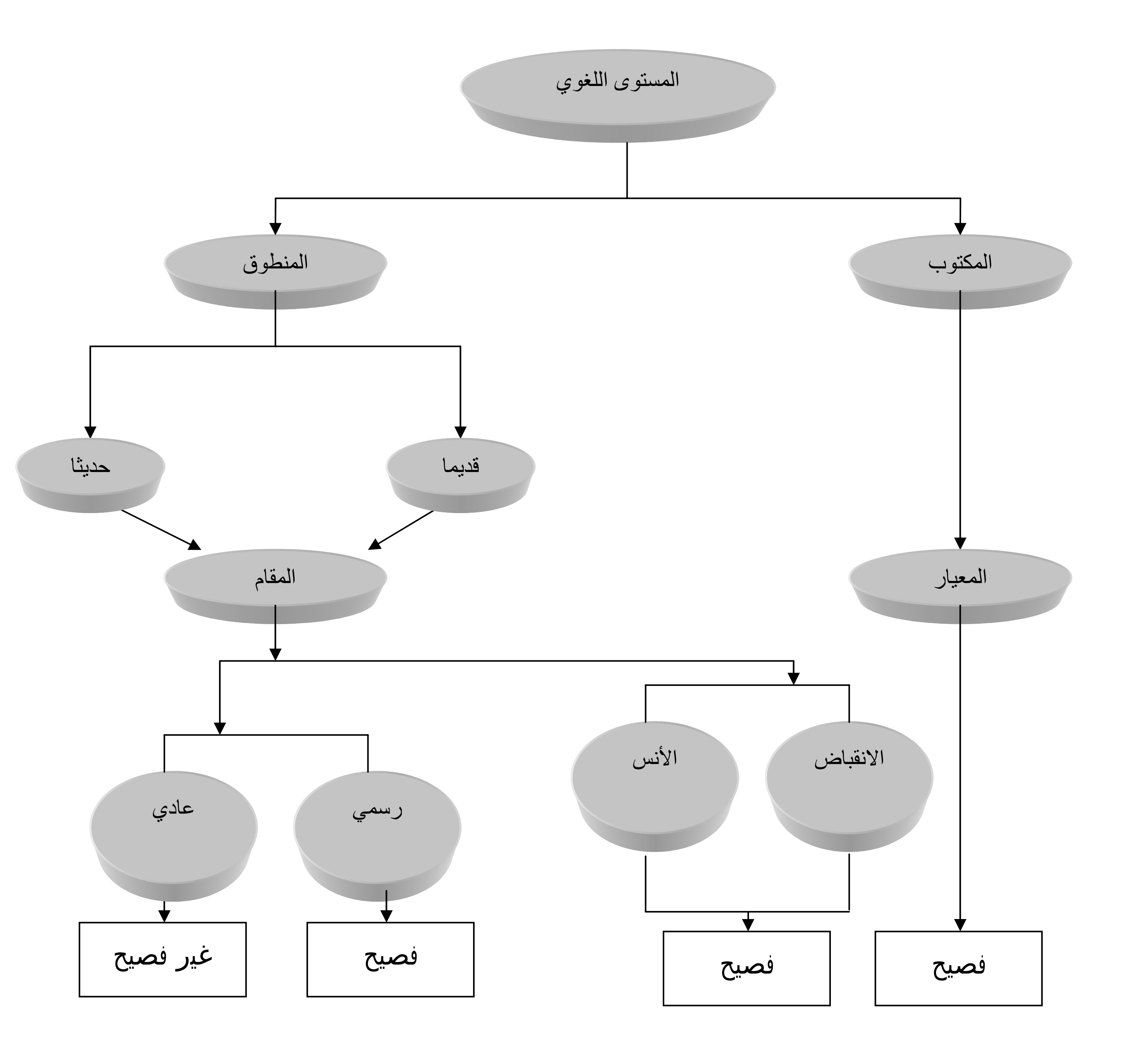
شكل توضيحي لمفهوم الفصاحة



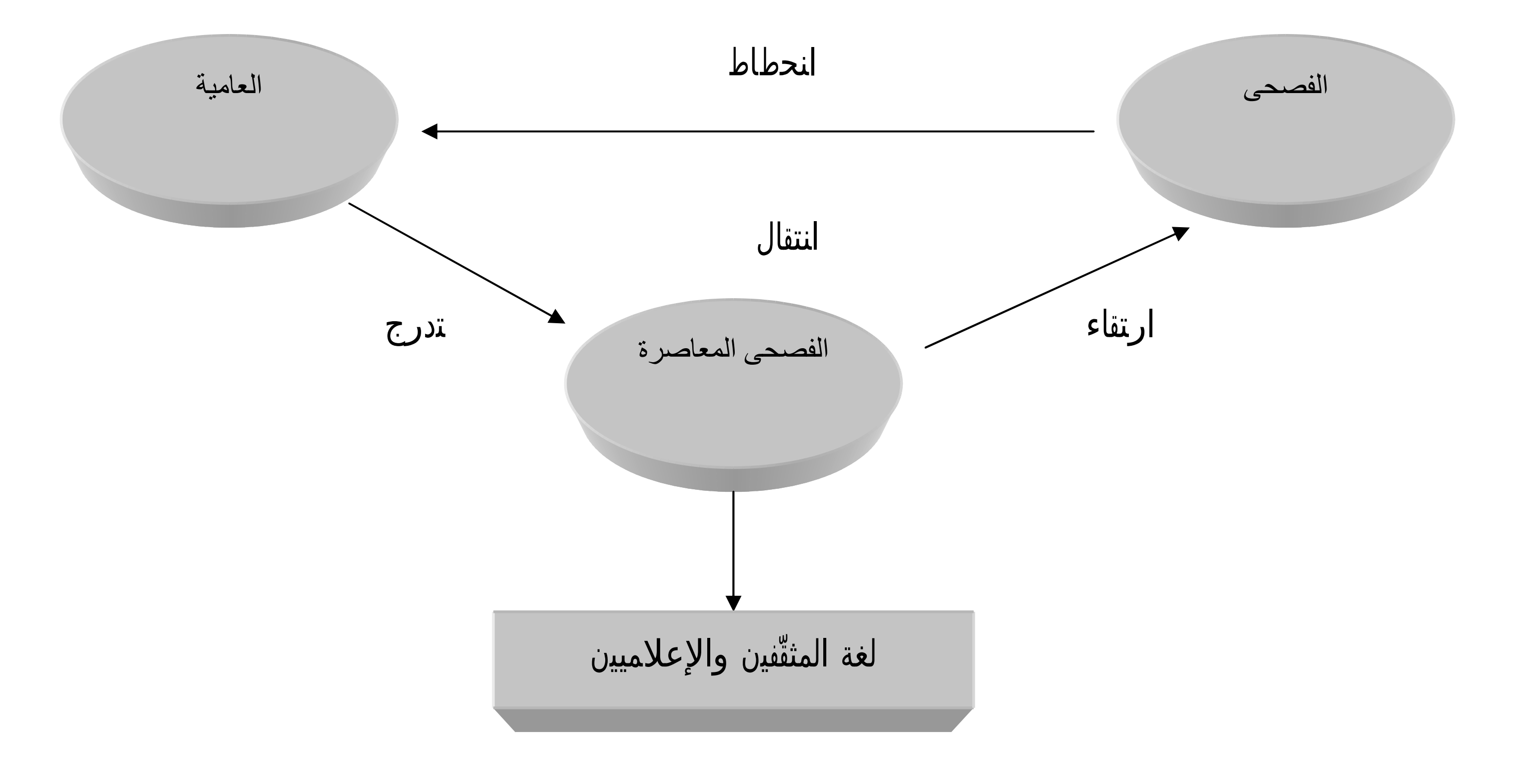
رسم توضيحي للمستوى اللغوي بين القاعدة والاستعمال

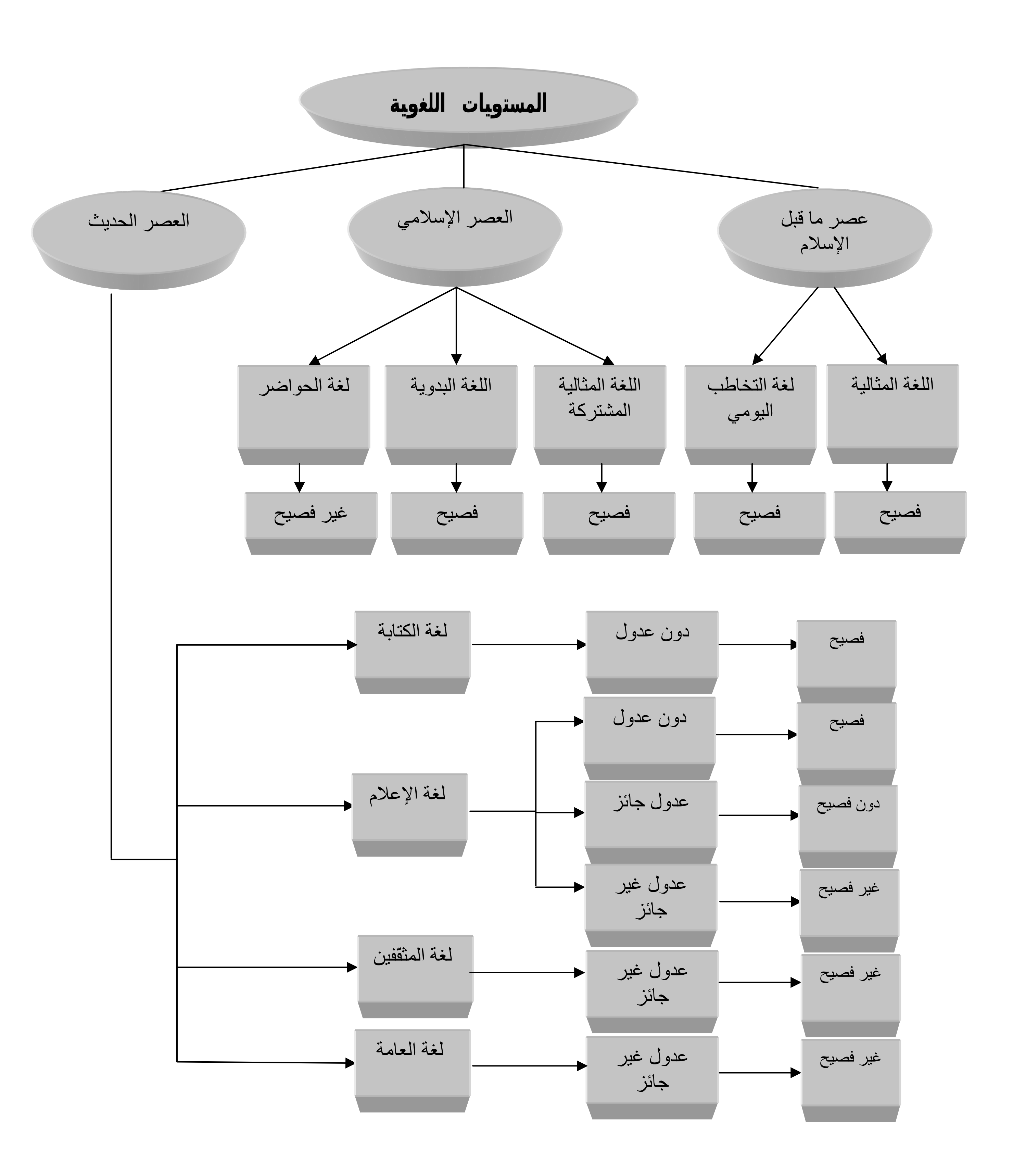


رسم توضيحي لبيان علاقة استعمال اللغة بالمقام



رسم توضيحي لبيان موقع الفصحى المعاصرة




المستويات اللغوية
عصر ما قبل الإسلام
العصر الإسلامي
العصر الحديث
اللغة المثالية
لغة التخاطب اليومي
اللغة المثالية المشتركة
اللغة البدوية
لغة الحواضر
فصيح
فصيح
فصيح
فصيح
غير فصيح
لغة الكتابة
دون عدول
فصيح
لغة الإعلام
دون عدول
فصيح
عدول جائز
دون فصيح
عدول غير جائز
غير فصيح
لغة المثقفين
عدول غير جائز
غير فصيح
لغة العامة
عدول غير جائز
غير فصيح

فهرس الموضوعات

الفصل الأوّل: اللغة العربية في عصر التقعيد

الفصل الثاني: واقع استعمال اللغة العربية في العصر الحديث

الفصل الثالث: مستويات اللغوية

الفصل الرابع: الفصحى المعاصرة